إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

يوم الحسين عليه السلام

الجزء الرابع

الأئمة من ولد الحسين تكملة ليوم الحسين الموعود
"السجاد، الباقر، الصادق، الكاظم عليهم السلام"

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الدكتور علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٣٠

يَوْمُ الحُسَيْن

الجزء الرابع

الأئمة من ولد الحسين تكملة ليوم الحسين الموعود
"السجاد، الباقر، الصادق، الكاظم عليهم السلام"

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

كلمة البدء.. ..... ٥

(١) الإمامة الإلهية بعد الحسين (ع) ٧

عدم خلو الأرض من حجّة بعد الحسين(ع)؟ ٧

الحسين (ع) علامة فارقة للأئمة بعده: ١٦

الأئمة بعد الحسين (ع) لم يستخدموا السلاح: ٢٧

(٢) إمامان شاهدان على الطف ٥١

الإمام علي بن الحسين (ع): ٥١

الإمام محمد بن علي الباقر(ع): ٩٧

(٣) الإمام الصادق عطاءٌ حسيني لا ينفد ١٤٥

رسالة الإمام الصادق(ع): ١٦٢

الإمام الصادق(ع) ومو اقف الحسنيين: ١٩٠

الإمام الصادق(ع) والمنصور العباسي: ٢٣٩

(٤) الإمام الكاظم صبرٌ حسينيٌ جميل ٢٦٥

رسالة الإمام الكاظم(ع): ٢٧٤

الإمام الكاظم(ع) وأهل بيته: ٢٨٢

الإمام الكاظم(ع) وبني العباس: ٣٠٤

ما حلَّ بالبرامكة نكبة أم نعمة؟ ٣٥٦

المصادر ٣٧٩

الفهرست التفصيلي ٣٩١

كلمة البدء..

لم ينتهِ يوم الحسين بغروب شمس العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ، و إنما شاء الله سبحانه له أن يمتد بعده:

يقول السيد أحمد الحسن: (يوم الحسين امتد بزينب بنت علي صلوات الله عليها ثم بالأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، أي أنه ليس ثورة تمت و انتهت في ساعات، بل هو ثورة أُريد لها أن تستمر وتبقى إلى قيام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم، لهذا مثلاً تجد الأئمة أكدوا على إحياء يوم الحسين بصورة كبيرة جداً لا مثيل لها في دين الله، ولعل أهم ما تهدف له هذه العبادة هو جمع المؤمنين وربطهم ببعضهم وتهيئتهم ليوم القائم الذي هو امتداد ليوم الحسين صلوات الله عليه.

يوم الحسين لا ولم ينحصر في العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ في كربلاء بل ممتد على طول الزمان والمكان بورثة هذا اليوم والقائمين به صلوات الله عليهم وصولاً إلى القائم، بهم فقط وليس بغيرهم من المتبرعين المتخرصين) انتهى [١].

كلام السيد أحمد الحسن فيه رد واضح على من يستهينون أو يحاولون الاستخفاف بإحياء ثورة الحسين ويعتبرونها مجرد أعمال طقسية (ربما سيئة عند بعضهم) ولا علاقة لها بغرض الدين الأخلاقي وأهدافه السامية! كثير من الأصوات نسمعها تتردد ليل نهار بهذا الخصوص؛ سواء كان أصحابها يخصّون "عاشوراء" بالاسم أو لا؛ لكنهم يقصدونه بالتأكيد!

"يوم الحسين" بجزئه الرابع طرح استمرار الإمامة الإلهية بعد الحسين صلوات الله عليه بالأئمة من ولده، وعرض رسالات أربعة من الأئمة المعصومين مع بيان أبرز مهامهم الإلهية التي قاموا بها وكلّفتهم بالنهاية حياتهم صلوات الله عليهم، والأئمة هم:

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

١- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.
٢- الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.
٣- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.
٤- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

بالتأكيد، إنّ الإحاطة الشاملة بسيرة ومنجزات كل إمام منهم تحتاج إلى دراسة (أو أكثر) مستقلة بذاتها، لكننا حاولنا الاختصار قدر الإمكان والاكتفاء بالإجمال والعموميات وما له صلة وثيقة بموضوعنا.

ما يميّز هذا الجزء من "يوم الحسين" أيضاً (كما سبق من أجزاء) تضمّنه لحوارات خاصة ومباشرة مع السيد أحمد الحسن؛ لم تقتصر على إجابة الأسئلة والتعليقات وحسب ولكنها تعدت إلى الإسهام والمشاركة بخطة سير البحث وفتح ما يعترض مسيره من غوامض الأحداث والنصوص دينية كانت أو تاريخية؛ لا سيما أنّ كتابة التاريخ كما نعلم خضعت لأمور كثيرة منها التأثر بسياسة الحكام الظلمة أو الخوف منهم، إضافة إلى السبب المعروف وهو تأثر كتابة الكاتب بعقيدته وميوله و أفكاره الشخصية.

بدوري سعيت إلى تدوين وكتابة بعض أجوبة السيد أحمد الحسن وتعليقاته أثناء الحوار. علماً، أني لم أشر إلى أسئلتي أو تعليقاتي في كثير من الأحيان؛ رعاية للاختصار واعتماداً على بيانه وحجّته وطرحه الذي يتسم دائماً بالوضوح، أقول هذا لأن القارئ لكلامه ربما ينتبه إلى مسألة أنه قد يتناول الأمر الواحد أكثر من مرة ومن عدة جهات، والسبب كما قلت أنّ الحوارات كانت مباشرة وليست كتابية، لذا اقتضى التنويه.

أسأل الله أن يرحمنا بالحسين ويوفقنا للسير على نهجه دائماً و أبداً حتى يختم لنا بخير بفضله ومنّه، والحمد لله وحده.

علاء السالم
١٧/٧/ ٢٠٢٥ م
النجف الأشرف

(١)

الإمامة الإلهية بعد الحسين (ع)

دين الله لم ينتهِ بشهادة الحسين عليه السلام كما لم ينتهِ بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله، فنهج الرسول استمر بعد رحيله بمن قام مقامه أعني وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ثم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ثم الأوصياء من ولد الحسين عليهم السلام.

هكذا اقتضت رحمة الله أن لا تخلو الأرض من حجة لله يحتج به على عباده، يعلّمهم ويزكيهم ويقوم بإرشادهم إلى سواء السبيل، كما اقتضت مشيئته سبحانه أن تستمر الإمامة في ولد الحسين حصراً بتعيين من الله وتكليف محدّد ومرسوم من قبله لكل إمام منهم، والملفت – كما سنرى – أنّ الإمام الحسين صلوات الله عليه هو العلامة الفارقة والشاخصة في اختيارهم كأئمة وهداة إلهيين، و أيضاً: في توجيه مجمل حركتهم ورسالتهم الإلهية!

عدم خلو الأرض من حجّة بعد الحسين(ع)؟

بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام، فإنّ إمامته وعصمته أمر مفروغ عنه عند المسلمين "الشيعة"، بل ينبغي أن ينتهي لهذه النتيجة جميع المسلمين؛ باعتبار أننا استعرضنا سابقاً بعض ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله بحق ولده الحسين سواء من خلال ذكره منفرداً، أو منضمّاً لأبويه وأخيه، أو ضمن ذكره لأهل بيته وعترته وآله الطاهرين عموماً، وهي مضامين قطعية وتؤدي بالتأكيد إلى القول بإمامته وعصمته [١].

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول – التمهيد: "وصايا الرسول بأهل بيته وبيان فضلهم" + "منزلة الحسين عند الرسول وإخباره بمصيبته".

وعموماً، لا يمكن أن تخلو الأرض بعد الحسين صلوات الله عليه من إمام حق مرضي لله سبحانه يقيم الله به الحجة على الخلق جميعاً، هذا ما تقتضيه العقيدة الحقة ونصوص الدين القطعية قرآناً وسنّة، وهو ما سيتضح من خلال البحوث التالية.

حاكمية الله سنة إلهية لا تتبدل:

تبيّن لنا فيما مضى أنّ الهدف الذي ثار لأجله الحسين صلوات الله عليه هو تثبيت دين الله المتمثل بحاكمية الله، ومعناها باختصار: أنّ الله اختار رجلاً وجعله خليفة له في أرضه وحجة له على خلقه؛ سواء كان نبياً أو رسولاً أو إماماً، قال تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" القصص: ٦٨.

قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ أصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه ولا يعرف الله ودينه وشرايعه بغير ذلك الإمام" [١].

من يستغرب هذه الحقيقة ليتصور أنه يعيش في زمن نوح عليه السلام مثلاً، وإذا بحث عن دين الله الذي يرتضيه سبحانه في ذلك الوقت فسيجده منحصراً بالاعتقاد بنوح عليه السلام وطاعته والأخذ عنه، كذلك الحال قبل نوح وبعده، وهو الدين المرضي في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وآله بلا شك، وبهذا نعرف أنّ دين الله هو الاعتقاد بالرجل المنصّب من قبل الله وأخذ كل الدين (عقيدة، تشريع، تعاليم، أخلاق، ... إلخ) منه، وهو معنى حاكمية الله التي نتحدث عنها.

دين الله = حاكمية الله: هذه الحقيقة بدأت بآدم عليه السلام كما نعلم، واستمرت نزولاً إلى زمن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فكلا الرجلين الإلهيين اختارهما الله ونصّبهما قيّمين على دينه وهاديين لخلقه، وبين رسول الله محمد وآدم آلاف السنين، بعث الله فيها آلاف الأنبياء والرسل يدعون الناس إليه ويبيّنون لهم دينه ويبلّغون أقوامهم تعاليمه ومراده، ولم يحصل أن تدخّل البشر في اختيار واحد منهم نهائياً؛ لا بصورة أساسية

١- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلي: ٨٢.

ومستقلة ولا بصورة ثانوية واستشارية أيضاً، وهذا يكشف عن أنّ حاكمية الله هي سنّة وقانون إلهي عام يحكم رسالات الله دائماً و أبداً، قال تعالى: "إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌوَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" الرعد: ٧، أي: هادي إلهي [١]،

"كل قوم" يعني: لا يوجد مقطع زمني خالٍ من وجود الهادي الإلهي المنصّب من قبل الله لهداية خلقه [٢]، وبالتالي، فالمفروض أن يكون المقطع الزمني المتبقّي من عمر الدنيا – كدار معدّة للامتحان والاختبار – بعد وفاة الرسول كحال ما سبق؛ خصوصاً وأنّ الزمن المتبقي قياساً بما مر قصير جداً، كيف! والرسول صلى الله عليه وآله يقول: "بعثت أنا والقيامة كهاتين" وضم سبّابتيه أو السبابة والوسطى [٣].

من جهتنا: نحن نعتقد بوجود أوصياء للرسول؛ وصي بعد وصي، كل منهم في وقته، وكل منهم يخلف الرسول في القيام بأمر الدين وهداية الخلق و إقامة الحجة عليهم، وله ما للرسول من الحجية ووجوب الطاعة. وبالتالي فعقيدتنا – والحال هذه – متو افقة تماماً مع السنّة الإلهية الجارية والنافذة طيلة القرون الماضية المتمادية، ومؤكدة بمحكم القرآن وقطعي السنة الشريفة. أما من يرى أنّ السنّة الإلهية تبدلّت وبطل مفعولها بعد الرسول فهو بالحقيقة يدعي أمراً خطيراً؛ باعتبار أنه يزعم أنّ سبيل تعيين "حجة الله = الإمام المرضي" تغير من التنصيب الإلهي – المعمول به طيلة ما سبق – إلى اعتماد سبل أخرى للتعيين من قبيل: اعتماد مجالس الحل والعقد أو الشورى أو الغلبة، وهذا في الحقيقة تبدّل في هوية الدين من الأساس، فبعد أن كان الناس ينصاعون لطاعة الرجل الإلهي المنصّب من قبل الله (نبي، رسول، إمام) يُطلب منهم الآن الانصياع لمن اختاره

١- ولذا فسّرت الآية بالإمام علي عليه السلام: روى الحاكم النيسابوري بسنده: (عن علي إنما أنت منذرولكل قوم هاد قال علي: رسول الله صلى الله عليه وآله المنذرو أنا الهادي * هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٢٩ – ١٣٠.

٢- لاحظ أننا نتحدث عن الهداة الإلهيين والمعلّمين الربّانيين وليس عن المهتدين والمتعلمين على سبيل نجاة (في أحسن الأحوال)، ليطبقها هذا أو ذاك على علماء مذهبه وشخصيات لا نص فيهم على إمامتهم وعصمتهم!

٣- انظر: الأمالي، المفيد: ١٨٨؛ الأمالي، الطوسي: ٣٣٧؛ صحيح البخاري: ٦ / ١٧٧.

الناس؟ أو لمن اختاره بضعة أفراد منهم بالخصوص (مجالس الحل والعقد = الخبراء مثلاً)، أو لمن غلب وقهر الآخرين بالقوة على بيعته؟!

حقيقة، يجب على من يعتقد بهذه العقيدة الخطيرة أن يقيم دليلاً قطعياً ومؤكداً عليها، وليس أي دليل كيفما كان؛ باعتبار أنّ المسألة مهمة وخطيرة كما قلت، وما لم يفعل ذلك فهو مبتدع لأمر جديد في دين الله لا أقل ولا أكثر!

لا تخلو الأرض من حجة:

حجّة الله = الهادي الإلهي الذي يقيم الله به حجّته على الخلق.

النص القرآني المتقدم "إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌوَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" يكفي لإثبات حقيقة أنّ الأرض لا تخلو من حجّة وهادٍ إلهي ما دام يسير عليها أقوام و أناس مكلّفون، والسبب في ذلك أنّ وجود الأقوام بدون وجود الحجّة والهادي الإلهي يعني أنّ بإمكانهم أن يعتذروا لضلالهم أمام الله بعدم نصب و إقامة حجة عليهم يهديهم إلى مراده وما فيه رضاه، ومحال أن يكون الله تعالى (وحاشاه) محجوجاً لخلقه، قال تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء: ١٦٥.

يقول السيد أحمد الحسن: (حيث إنّ تنصيب الخليفة: يهدف إلى إقامة الحجة وقطع العذر وهذا جارٍ سواء كان هناك قابل أم لم يكن هناك قابل، و أيضاً يهدف إلى استنقاذ المكلفين من غفلتهم بتذكيرهم ليقبلوا إرادة الله التي تصلهم من خلال خليفته في أرضه ...) انتهى [١].

ولهذا ورد التأكيد بنصوص قطعية أنّ الأرض لا تخلو من حجة، هذه نماذج منها:

١- عقائد الإسلام: ٣٦ – الهامش ٤.

- الإمام الباقر عليه السلام: "والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده" [١].
- الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم" [٢].
- وقال أيضاً: "لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام وقال: إنّ آخر من يموت الامام، لئلا يحتج أحد على الله عزوجل أنه تركه بغير حجة لله عليه" [٣].

عقيدة عدم خلو الأرض من حجة لله، لا تقتصر رواياتها القطعية عند المسلمين (الشيعة) فحسب، ولكن يمكن استفادة نفس المضمون من أحاديث كثيرة قطعية (متواترة) وردت في مصادر جميع المسلمين، منها على سبيل المثال:

- حديث الثقلين [٤]:

الرسول صلى الله عليه وآله – بمقتضى الحديث – ترك لأمته من بعده أمرين اثنين ووعد المتمسك بهما بالهدى وعدم الضلال، هما: القرآن والعترة (آل محمد)، وهذا يعني أنّ الزمن اللاحق للرسول؛ في كل مقطع منه، كما يوجد القرآن يوجد بجنبه رجل من آل محمد، والمهتدي بنظر الرسول هو المتمسك بهما، وطالما أنّ القرآن موجود حتى قيام الساعة، فبحكم ضرورة تصديق الرسول في وصيته ووعده لأمته، يكون الحجّة من آل

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٧٩.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ١٧٨.

٣- المصدر نفسه.

٤- هذه بعض صيغ حديث الثقلين الواردة في صحاح السنة:

- "عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من المساء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" مسند أحمد: ٣ / ١٤.

- "عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي" سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٧ – ٣٢٨.

محمد موجود إلى قيام الساعة أيضاً، وإلا لانفرط الثقلان و افترقا ولم يتحقق وعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وهذا باطل بالضرورة! لهذا، وجدنا حتى أشد المخالفين لمنهج آل محمد اعترف بالقول: (فَإِنَّ الْأَرْضَ لَنْ تَخْلُوَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ؛ لِكَيْلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ) [١]، لكنه بالتأكيد لا يقصد بـ "الحجة" في كلامه الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، و إنما يقصد أشخاصاً يناسبون منهجه وهواه [٢]!

- حديث: "من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية" [٣]، أو: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" [٤].

إمام = حجة الله، فهو الفرقان بين الهدى (الإيمان) والضلال (الجاهلية)، فمعرفته يعني الإيمان والهدى وعدم معرفته يصيّر الإنسان جاهلياً بلا إيمان ولا هدى! وهذا الإمام هو الذي تجب بيعته والتمسك به على كل مسلم يعتقد بالله ورسوله.

ثم إننا إذا لاحظنا هذا النحو من الأحاديث وجدناها تخاطب جميع الناس في مختلف العصور والأزمنة، فهي تقول: "من مات...." أي أنّ المخاطب هو الجميع بدون استثناء، وهذا يعني أنّ الحجة والإمام موجود في كل مقطع من مقاطع الزمن اللاحق لوفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى قيام الساعة، وواضح أنّ هذه النتيجة هي نفس مؤدى "عدم خلو الأرض من حجة" بدون شك.

إذن، بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه يوجد حجج لله؛ يقوم كلٌّ منهم مقام الحسين في هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم ... إلخ، وقبل هذا كله يقيم الله بهم الحجة على الخلق؛ لئلا يبقى عذر لمعتذر يحيد عن صراط الحق والهدى وينقاد إلى الباطل والضلال.

١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٢٥ / ١٣١.

٢- بعض أتباع ابن تيمية فسّروا معنى "الحجة" في كلامه بما أسموهم: "أهل العلم"، مثل: ابن باز و ابن عثيمين وما شاكل!

٣- مسند أحمد: ٤ / ٩٦.

٤- صحيح البخاري: ٦ / ٢٢.

الرسول (ص) ينص على أوصيائه:

من يطالع الوثائق التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وآله في تحديد وتشخيص الأوصياء والحجج الإلهيين من بعده يصادفه بالتأكيد نصوص كثيرة جداً مبثوثة في مصادر المسلمين ويحتاج استيعابها – أو حتى بيان المهم منها – إلى دراسة مستقلة بذاتها، لكننا – بنحو عام – يمكننا فهرستها إلى فئتين رئيسيتين:

فئة - ١: ما تضمّن تشخيصاً إجمالياً، بمعنى أنّ الرسول أشار إلى من يخلفه بنحو إجمالي تحت عنوان جامع وكلي مثل: "عترتي، أهل بيتي" بدون ذكر أسماء، ومن هذا النحو أحاديث: الثقلين، السفينة، النجوم، الإثني عشر أميراً أو خليفة ... ونحوها [١].

فئة - ٢: ما تضمّن تشخيصاً تفصيلياً، تعرّض فيه الرسول إلى تحديد الأسماء (كلها أو بعضاً منها)؛ وهي روايات كثيرة جداً وردت في مصادر المسلمين، ولا أقل فإنّ حديث "المنزلة" و"الولاية" بحق أمير المؤمنين أمر مسلّم به عند الجميع [٢].

١- حديث الثقلين معروف وقد مرّت الإشارة له، أما حديث السفينة: فهو قوله صلى الله عليه وآله: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"، والحديث ورد في مصادر وطرق كثيرة، منها: فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٢ / ٨٥ رقم الحديث ١٤٠٢؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥٠، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

وأما حديث النجوم، فهذا نصّه: "عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه لعلم للساعة فقال: النجوم أمان لأهل السماء فإذ أذهبت أتاها ما يوعدون وأنا أمان لأصحابي ما كنت فإذا ذهبت اتاهم ما يوعدون وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي اتاهم ما يوعدون * صحيح الاسناد ولم يخرجاه" المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٤٤٨.

وأما حديث الإثني عشر أميراً أو خليفة، فهي كثيرة، هذا مثال لها: قال صلى الله عليه وآله: "يكون اثنا عشر أميراً ... كلهم من قريش" صحيح البخاري: ٨ / ١٢٧. "إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ... كلهم من قريش"، "لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً" صحيح مسلم: ٦ / ٣ – ٤.

٢- حديث المنزلة: هو قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٨. "الا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي" صحيح البخاري: ٥ / ١٢٩. "أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي" صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠.

وعموماً، تعد وصية رسول الله ليلة وفاته أهم وثيقة دينية في هذا الصدد؛ لأنها حدّدت جميع أوصياء الرسول من بعده إلى قيام الساعة. علماً، أنّ الرسول أراد أن يكتبها بمحضر العامة لولا اتهام بعض الحاضرين له بالهجر وحصول النزاع الذي أدّى إلى طردهم في الحادثة المعروفة بـ"رزية الخميس" سيئة الصيت [١]، ثم ذكر صلى الله عليه وآله أسماء الأوصياء من بعده لمن قبل وصيته بمحضر الخاصة فقط [٢].

وهذا نص الوصية (المقطع الخاص منها بأسماء الأوصياء) كما نقله ولده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

(عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأملا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى

وأما حديث الولاية: فهو قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "من كنت مولاه فعلي مولاه ..."، ورد في مصادر كثيرة، منها: مسند أحمد: ١ / ٨٤؛ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٠٩.

يقول الألباني: (حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وهو حديث صحيح غاية، جاء من طرق جماعة من الصحابة ...) السنة، ابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الألباني: ٥٥٢.

١- روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال: "يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس فقال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصى عند موته بثلاث أخر جوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة" صحيح البخاري: ٤ / ٣١؛ صحيح مسلم: ٥ / ٧٥.

٢- روى النعماني بسنده: (عن سليم بن قيس: أنّ علياً عليه السلام قال لطلحة - في حديث طويل عند ذكر تفاخر المهاجرين والأنصار بمناقبهم وفضائلهم -: يا طلحة، أليس قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعانا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال: صاحبك ما قال: إن رسول الله يهجر، فغضب رسول الله وتركها؟ قال: بلى قد شهدته. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالذي أراد أن يكتب فيها ويشهد عليه العامة، وأن جبرئيل أخبره بأن الله تعالى قد علم أن الأمة ستختلف وتفترق، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان الفارسي، و أبا ذر، والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة ...) الغيبة: ٨٤.

انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما ومن بعدهم إثنا عشر مهديا، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماما ..... فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول ، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كإسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين) [١].

الحق، إنّ الاعتقاد بإمامة آل محمد بعد الرسول صلى الله عليه وآله، يفترض أن ينتهي إليه كل مسلم يؤمن بالله ورسوله ويعتقد بأنه معصوم لا ينطق عن هوى، إذ روت صحاح المسلمين ومسانيدهم أحاديث الرسول الصحيحة التي وصف فيها أهل بيته وعترته الطاهرة بما يثبت إمامتهم ووصايتهم للرسول ووجوب طاعتهم على الجميع من بعده بما لا يقبل الشك، وهذه بعض المضامين التي مرت بنا بالتفصيل في "التمهيد":

أهل البيت: أمان للأمة من الضلال، لن يفترقوا عن القرآن، مثلهم في الأمة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، مثلهم مثل النجوم أمان لأهل الأرض من الضلال، إنهم طاهرون مطهّرون بشهادة الله ورسوله، قرن الرسول الصلاة عليهم بالصلاة عليه، وهم أولو القربى الذين تجب مودتهم على الجميع، كما أنهم المقصودون بآية المباهلة، فهم نفس النبي و أبنائه، وهو راضٍ عنهم ورضاه رضا الله، سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم، وهم معه في موضع واحد يوم القيامة، وهم ومحبّوهم من أهل الجنة [٢].

١- هذا نص رواية الوصية المقدسة: الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول – التمهيد: "وصايا الرسول بأهل بيته وبيان فضلهم".

وإذا كانت هذه المضامين لا تكفي لإثبات إمامتهم ووجوب طاعتهم بعد الرسول، فأتونا بمعشار هذه المنزلة وردت بحق غيرهم ممّن تعتقدون بحجيتهم ووجوب طاعتهم وبيعتهم بعد الرسول!

الحسين (ع) علامة فارقة للأئمة بعده:

الإمام الحسين صلوات الله عليه علامة شاخصة وفارقة لمن تلاه من الأئمة من ولده عليهم السلام، ولتوضيح هذه المسألة أقول:

لا شك أنّ جميع حجج الله (أنبياء، رسل، أئمة) هم علامات تدل على الله وترشد إلى دينه وطريقه ومراده ورضاه، لكن بالتأكيد ليس كل العلامات "الحجج" بمستوى واحد ولها نفس قوة الدلالة، بل هناك تفاوت بين الحجج الإلهيين بحسب إخلاص ومعرفة كل منهم قياساً بالآخر، ولهذا ورد بخصوص بعض الحجج من آل محمد عليهم السلام: "أنّ الله هداهم به" [١]، أي: هداهم بحجة من آل محمد أعلى منهم مقاماً.

وبخصوص الحسين صلوات الله عليه، فإنه علامة مميزة وفارقة في طريق الله، بحيث صار معرّفاً لمن بعده من الأئمة والحجج الإلهيين [٢] من جهتين:

- تحديد هويتهم وأشخاصهم والتعريف بهم.
- تحديد طبيعة رسالة وتكليف كل منهم في زمنه ووقته.

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ضرب بيده على الحسين عليه السلام: "يا سلمان، مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً من ولد هذا. إمام بن إمام، عالم بن عالم، وصي بن وصي، أبوه الذي يليه إمام وصي عالم. قال: قلت: يا نبي الله، المهدي أفضل أم أبوه؟ قال: أبوه أفضل منه. للأول مثل أجورهم كلهم لأن الله هداهم به) كتاب سليم بن قيس: ٤٢٩.

٢- الحجج الإلهيين بعد الحسين عليه السلام هم واحد وعشرون حجة؛ لأن آل محمد – بحسب وصية الرسول ليلة وفاته – هم أربع وعشرون حجة: ١٢ إماماً و١٢ مهدياً، وبعد الحسين عليه السلام يوجد: ٩ أئمة و١٢ مهدياً.

الحسين(ع) كمعرّف بالأئمة:

من يلاحظ أسماء أوصياء الرسول بعد الإمام الحسين يعرف أنّ مشيئة الله سبحانه اقتضت أن تكون الإمامة بعد الحسين وحتى قيام الساعة في عقب الحسين حصراً، وهذه الحقيقة أمر واقع أشارت له رواية الوصية المقدسة التي مرّت بنا، وأكدته الروايات المتواترة التي بينت أسماء الأئمة (كلهم أو بعضاً منهم)، فهي جميعاً أوضحت أنّ الأئمة التالين للحسين صلوات الله عليه هم من ولده حصراً: إمام بعد إمام إلى قيام الساعة.

وأيضاً: وردت روايات خاصة بعنوان: "ولد الحسين"، "عقب الحسين"، ونحو ذلك كمعرّف بالأئمة من بعده، وهذا مثال لها:

- (عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن اثنا عشر إماماً منهم حسن وحسين ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام) [١].

- (عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فيمن نزلت؟ فقال: نزلت في الإمرة، إنّ هذه الآية جرت في ولد الحسين عليه السلام من بعده، فنحن أولى بالأمر وبرسول الله صلى الله عليه وآله من المؤمنين والمهاجرين والأنصار، قلت: فولد جعفر لهم فيها نصيب؟ قال: لا، قلت: فلولد العباس فيها نصيب؟ فقال: لا، فعددت عليه بطون بني عبد المطلب، كل ذلك يقول: لا، قال: ونسيت ولد الحسن عليه السلام، فدخلت بعد ذلك عليه، فقلت له: هل لولد الحسن عليه السلام فيها نصيب؟ فقال: لا، والله يا عبد الرحيم ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا) [٢].

- (عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليه السلام وصفاتهم: أنّ الله عزوجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٣٣.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٨.

وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة (حسن) إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبار، يمد بسبب إلى السماء، ولا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعميات السنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضي بهم لخلقه ويرتضيهم، كل ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً، علماً بيّناً، وهادياً نيراً، وإماماً قيّماً، وحجّة عالماً، ...) [١].

- (عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال: فينا نزلت هذه الآية: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" وفينا نزلت هذه الآية: "وجعلها كلمة باقية في عقبه" والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى يوم القيامة) [٢].

- (عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبه" قال: هي الإمامة جعلها الله عز وجل في عقب الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة) [٣].

لا شك أنّ الروايات في توسّط الحسين صلوات الله عليه كمعرّف لمن بعده من الأئمة عليهم السلام كثيرة جداً، والسؤال: ما علة ذلك؟

أقول: المسألة – ولا شك – مرتبطة بعطاء الحسين لله، الحسين صلوات الله عليه هو "ذبيح الله" الموعود به منذ الأزل، وكانت نتيجة ذلك العطاء الحسيني العظيم أن قوبل

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٠٣.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٣.

٣- معاني الأخبار، الصدوق: ١٣٢.

بعطاء إلهي لا نظير له ولا مثيل؛ تمثّل بجعل "الإمامة" فيه وفي ولده لا تخرج عن مسارها الحسيني أبداً إلى قيام الساعة!

- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما علقت فاطمة عليها السلام بالحسين صلوات الله عليه قال لها رسول الله يا فاطمة إنّ الله قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين تقتله أمتي قالت فلا حاجة لي فيه قال: إنّ الله عزوجل قد وعدني فيه أن يجعل الأئمة من ولده، قالت: قد رضيت يا رسول الله) [١].

- (عن عبد الرحمان بن كثير الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من أين جاء لولد الحسين الفضل على ولد الحسن وهما يجريان في شرع واحد فقال: لا أراكم تأخذون به، إنّ جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله وما ولد الحسين بعد فقال له: يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك فقال: يا جبرئيل لا حاجة لي فيه فخاطبه ثلاثاً، ثم دعا علياً فقال له: إنّ جبرئيل عليه السلام يخبرني عن الله عز وجل أنه يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك فقال: لا حاجة لي فيه يا رسول الله فخاطب علياً عليه السلام ثلاثاً ثم قال: إنه يكون فيه وفي ولده الإمامة والوراثة والخزانة، فأرسل إلى فاطمة عليها السلام أنّ الله يبشرك بغلام تقتله أمتي من بعدي فقالت فاطمة: ليس لي حاجة فيه يا أبة فخاطبها ثلاثاً ثم أرسل إليها لابد أن يكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة فقالت له: رضيت عن الله عز وجل فعلقت وحملت بالحسين فحملت ستة أشهر ثم وضعته ولم يعش مولود قط لستة أشهر غير الحسين بن علي وعيسى بن مريم عليهما السلام فكفلته أم سلمة ... فلما أنزل الله تبارك وتعالى فيه "وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي" فلو قال أصلح لي ذريتي كانوا كلهم أئمة لكن خص هكذا) [٢].

الرسول وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم بمجرد علمهم بأنّ ما يجري على ولدهم "الحسين" له علاقة بدين الله واستمرار حاكميته المتمثلة بديمومة الإمامة الإلهية رضوا

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٠٥.

٢- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٠٦.

مباشرة وسلّموا لمراد الله تسليماً! هذه العائلة مشروع عطاء إلهي لا ينضب، فهي ليست كبقية العوائل التي تعطي شيئاً وتدخر أشياء (في أحسن الأحوال)! هذه العائلة تعطي لله كل شيء، فهي لله بكلها!

واضح أنّ جعْلَ الإمامة في "ولد الحسين" أمر له علاقة بما جرى على الحسين عليه السلام، ما جرى على الحسين لا نظير له في خط رسالات الله، وكان أخوه الحسن عليه السلام يقول له: "لا يوم كيومك يا أبا عبد الله" [١]!

عطاء الحسين لله، قبله الله سبحانه منه، وقابله بعطاء عظيم باقٍ ودائم بأن جعل الإمامة في عقبه وولده لا تخرج عنهم إلى يوم القيامة:

- (عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره. قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذا الجلال ينال بالحسين عليه السلام فما له في نفسه؟ قال: إنّ الله تعالى ألحقه بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله "والذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" الآية) [٢].

- سأل المفضل بن عمر الإمام الصادق عليه السلام: (قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبه"؟ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة) [٣].

نعم، الإمامة الإلهية بعد الحسين في ولده (أب فابن) حصراً، لا ينتقل الأمر إلى أخ أو ابن أخ أو عم أو ابن عم وما شابه:

١- الأمالي، الصدوق: ١٧٧.

٢- الأمالي، الطوسي: ٣١٧.

٣- الخصال، الصدوق: ٣٠٥.

• (عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين وهي جارية في الأعقاب في عقب الحسين عليه السلام) [١].

• (عن أبي بصير: عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: "وجعلها كلمة باقية في عقبه". قال: في عقب الحسين عليه السلام، فلم يزل هذا الأمر - منذ أفضي إلى الحسين عليه السلام - ينتقل من والد إلى ولد، لا يرجع إلى أخ، ولا إلى عم ولا يعلم أنّ أحداً منهم إلا وله ولد) [٢].

• (عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه سئل أتكون الإمامة في عم أو خال؟ فقال: لا، فقلت: ففي أخ؟ قال: لا، قلت: ففي من؟ قال: في ولدي، وهو يومئذ لا ولد له) [٣].

بقاء الإمامة في عقب الحسين صلوات الله عليه يكاد يكون أمراً فريداً في تاريخ خط الرسالات الإلهية منذ آدم عليه السلام وحتى الحسين عليه السلام؛ إذ لم يحصل أن استمرت الإمامة (أو الأمر الإلهي عموماً) في الأبناء والعقب ولم تخرج عنه، فمن لاحظ دعوات الأنبياء والرسل وجد الأمر الإلهي يخرج من أخ إلى أخيه أو بقية الرحم وحتى غير الرحم، إلا "الحسين" فلما بلغه أمر الله (الإمامة) وتقلّده لم يخرج عنه بل هو في عقبه فقط (أب فابن) لا ينتقل ولا يخرج عن عقب الحسين إلى يوم القيامة، وهذا يكشف عن عظيم عطاء الله النازل للحسين صلوات الله عليه نتيجة عظيم عطائه الصاعد إلى ربه الكريم!

• (عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: اكتب ما أملي عليك. فقال: يا نبي الله، أتخاف عليّ النسيان؟ فقال صلى الله عليه وآله: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك. قال: قلت: ومن

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٠٨.

٢- الإمامة والتبصرة، علي ابن بابويه: ٤٩.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٦.

شركائي، يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك، بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم. وأومى بيده إلى الحسن بن علي عليه السلام، ثم أومى بيده إلى الحسين عليه السلام، ثم قال: الأئمة من ولده) [١].

الحسين(ع) كموجّه لرسالة الأئمة:

الإمام المعصوم لا يحدّد وجهة تكليفه ورسالته وفق اجتهاد وإعمال نظر شخصي، إنما هي رسالة إلهية مكلّف بها ومأمور بتبليغها من الله:

(عن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت و أقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة الناس إليكم؟! فقال: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله) [٢].

الإمام المعصوم أمين مؤتمن لا يحيد عن إنفاذ مراد الله قيد شعرة!

قال الإمام الباقر عليه السلام في وصف الأئمة: "لا يهتدي هادٍ إلا بهداهم ولا يضل خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقهم، أمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر، والحجة البالغة على من في الأرض، يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأولهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلا بعون الله" [٣].

لكن كثيراً من الناس للأسف ليس عندهم صبر، ولا يتحملون رسالة الله وغاياته من التكاليف التي عهد بها إلى الأئمة عليهم السلام، هم يتصورون أنّ الإمام المعصوم هو من يحدّد تكليفه، وربما هناك خيار أفضل مما فعله! نعم، قد لا يصرحون بهذا لكن عملياً

١- الأمالي، الصدوق: ٤٨٥.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٣.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ١٩٨.

تصرفاتهم وسلوكهم مع الأئمة عليهم السلام تؤكد هذا التصور والفهم الخاطئ، لذا يعترض بعضهم على الأئمة أحياناً، ويقترح عليهم أحياناً أخرى، وربما لا يعجبه بعض تصرفات الأئمة إزاء بعض المو اقف ... إلخ، كل هذا مع اعتقادهم و إيمانهم بأنهم أئمة معصومون!

(عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - وعنده أناس من أصحابه -: عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟! فقال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزذكره، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثم أجراه فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل بهم ما نزل من أمر الله عز وجل وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزوجل أن يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم) [1].

لذا – كما لاحظنا سابقاً [2] – كان إصرار الحسين صلوات الله عليه على الثورة ضد باطل و انحراف بني أمية لعنهم الله، وتصميمه على الاستمرار ورفض الاستسلام والخضوع

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٦١ – ٢٦٢.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول – التمهيد.

حتى سفك الطغاة دمه الطاهر؛ فداء لدين الله ودفاعاً عن نهجه وحاكميته عزوجل، فالشهادة والقتل في سبيل الله هو تكليفه المعهود إليه من الله سبحانه: "شاء الله أن يراك قتيلاً" [١].

أما بالنسبة للأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، فبالتأكيد أنّ لكل إمام تكليفه ورسالته المأموربإنجازها والعمل عليها بأمرمن الله عزوجل كما تقدم في كلام الأئمة عليهم السلام، وهو – أي الامام – يسعى بكل ما أوتي إلى إنجازها بتمامها بكل صدق وأمانة، فهو أمين مؤتمن كما عرفنا. ولعل النص المعروف بـ "وصية الخواتيم" من النصوص الواضحة التي تشير إلى تكليف ثلاثة من الأئمة من ولد الحسين هم: علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفربن محمد صلوات الله عليهم، وهذا نصّها:

(عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الوصية نزلت من السماء على محمد كتاباً، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك في أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلي عليه السلام وذريتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمربه فيها، فلما توفي الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى علي بن الحسين عليهما السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلما توفي ومضى دفعها إلى محمد بن علي عليهما السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسّركتاب الله تعالى وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله عزوجل وقل الحق في الخوف والامن ولا تخش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذي يليه، قال: قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: فقال: ما بي إلا أن تذهب يا معاذ فتروي علي قال: فقلت:

١- هذا ما قاله الرسول لولده الحسين عليه السلام، انظر: ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٦٠؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٠؛ العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٤.

أسأل الله الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات، قال؟ قد فعل الله ذلك يا معاذ، قال: فقلت: فمن هو جعلت فداك؟ قال: هذا الراقد - وأشار بيده إلى العبد الصالح - وهو راقد) [1].

وصية الخواتيم أكدت أنّ نصرة الدين الإلهي أوسع من القيام بالقوة، فهناك جانب من الدين يتعلق بالثورة على الباطل والدفاع عن حاكمية الله بالقوة، وهو تكليف الإمام الحسين عليه السلام كما لاحظنا، ولاحظنا أيضاً وجود جانب آخر للدين يتعلق ببيان الحق ونشر العلم من خلال تفسير الحجّة الإلهي "الإمام" لكتاب الله وبيان ما فيه من عقائد وأحكام وأخلاق ... إلخ لمن يقبل به ويصدق برسالته وإمامته، وليس بالضرورة أن يكون القابل منحصراً بأهل زمانه فقط، فربما هناك من يصدق بإمامته ويأخذ بقوله من الأجيال القادمة، وبالتالي فما يبيّنه الإمام من علم سيعم خيره وفائدته جميع القابلين سواء كانوا في زمانه أم من يأتي بعدهم. وبالتالي، سيسهم هذا العلم والحق المبيّن في صناعة الأمة المهتدية والمؤمنة (على امتداد الزمن) التي يقبل أفرادها دين الله الحق ويؤمنون بإمام زمانهم المنصّب من قبل الله.

الجانب الثاني بالضبط هو التكليف الإلهي المعهود إلى الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم، فقد كانوا مأمورين بالإبقاء على أنفسهم؛ حفظاً لدين الله القائم بهم وبيان الحق والهدى لمن شاء، وقبل هذا كله: إقامة للحجة على الخلق، وهو الغرض من تنصيب "حجج الله" وبعثهم كما تقدم.

لم يأذن الله لواحد من الأئمة من ولد الحسين القيام بالقوة بعد الحسين عليه السلام، فالله عزوجل اكتفى من "آل محمد" بدم الحسين قرباناً لدينه، والدور بقي على الناس الآخرين إن كانوا يريدون التضحية لنصرة دين الله أم لا!

الأمور عند الله ليست بالصورة التي تتراءى لنا، في كثير من الأحيان، في دنيا الامتحان المملوءة بحجب الغفلة والظلام!

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠. العبد الصالح: أي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

عند الله سبحانه:

- آل محمد: قاموا بنصرة الدين بالقوة بقيام أبيهم الحسين!
- آل محمد: ثاروا ضد الباطل بثورة أبيهم الحسين!
- آل محمد: سُفكت دماؤهم نصرة للدين بسفك دم الحسين!
- آل محمد: قدّموا أعظم أُضحية وأغلى قربان لدين الله متمثلاً بالحسين!

الحسين صلوات الله عليه خفّف عن الأئمة من ولده الكثير؛ لأنه بتضحيته العظيمة كفاهم جانباً من جانبي نصرة الدين؛ قام به وحده، والمطلوب من الأئمة من ولده أن يقوموا بالجانب الثاني! لهذا كان الأئمة يأنّون من ثقل دَين الحسين في رقابهم، وكانوا يبكون عليه بدل الدموع دماً! ربما من لاحظ بعمق وبصيرة مستوى حزنهم على الحسين، ذكرهم لمصيبته، بيانهم لحقه، حثهم على زيارته وضرورة إحياء ذكره ..... إلخ، يتلمس هذه الحقيقة بوضوح ويدركها بشكل أكبر! يقول الإمام المهدي في زيارته لأبيه الحسين صلوات الله عليه يوم عاشوراء: "فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنك صباحاً ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب" [١].

وبهذا يتضح أنّ الإمام الحسين صلوات الله عليه لم يكن معرّفاً بالأئمة من ولده وحسب، ولكن – أيضاً – صار عطاؤه وتضحيته سبباً في "توجيه" رسالتهم وتكليفهم الإلهي بترك استعمال القوة والاتجاه إلى بيان الدين والحق بـ "الكلمة" ونشر العلوم والمعارف الإلهية لمن يطلب الهدى والاستقامة ومن ثم اصطناع الأمة المؤمنة على طول الخط بغض النظر عن عدد القابلين؛ باعتبار أنّ الغرض هو إقامة الحجة على الناس وقطع عذرهم كما تبيّن. كل ذلك كان بأمر الله كما عرفناه في وصية الخواتيم، وكان لهذا التوجيه "عدم استعمال القوة" غاية وأمد وهو: مجيء القائم من ولد الحسين عليه السلام، كما سيتضح الآن.

١- المزار، المشهدي: ٥٠١.

الأئمة بعد الحسين (ع) لم يستخدموا السلاح:

عرفنا أنّ عدم استعمال الأئمة عليهم السلام للقوة العسكرية بعد الإمام الحسين صلوات الله عليه كان بأمر من الله، وتبيّنت لنا بعض أسبابه إجمالاً، ولأهمية المسألة سنزيد البحث تفصيلاً أكثر.

وجهتا الدين والإمامة:

دين الله لا يُختزل بالحكم، ومن يتصور أنّ الإمامة = الحكم وبالتالي فالإمام يعني الحاكم، فهذا تصوروفهم خاطئ. الحكم هو جانب من جو انب الإمامة الإلهية لا أكثر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان حال الأئمة وصفاتهم:

(إنّ الله عزوجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، و أبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلام، لان الله تبارك وتعالى نصب الإمام علما لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب إلى السماء، ولا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعميات السنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضي بهم لخلقه ويرتضيهم، كل ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما، علما بينا، وهاديا نيرا، وإماما قيما، وحجة عالما، أئمة من الله، يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد، جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للاسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المترجى، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذر حين ذرأه، وفي البرية حين برأه، ظلا قبل خلق نسمة عن يمين

عرشه، محبوا بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، و انتجبه لطهره، بقية من آدم عليه السلام وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله لم يزل مرعيا بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطرودا عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق (أي: مداخل الظلمات) ونفوث كل فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرءاً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلات، مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته. فإذا انقضت مدة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدة والده عليه السلام فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلده دينه، وجعله الحجة على عباده، وقيمه في بلاده، و أيده بروحه، و آتاه علمه، و أنبأه فصل بيانه، واستودعه سره، و انتدبه لعظيم أمره، و أنبأه فضل بيان علمه، ونصبه علما لخلقه، وجعله حجة على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيم على عباده، رضي الله به إماما لهم، استودعه سره، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه و انتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع، والشفاء النافع، بالحق الأبلج، والبيان اللائح من كل مخرج، على طريق المنهج، الذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي، ولا يجحده إلا غوي، ولا يصد عنه إلا جري على الله جل وعلا) [١].

واضح أنّ الصفات التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام للأئمة ومفهوم الإمامة الإلهية لا علاقة لها بمسألة الحكم أو تمكين الناس من عدمه، بل الأمر بالأصل مرتبط بتمثيل الله سبحانه في خلقه بمخلوق (عالم، حكيم، عادل، ... إلخ) يخلفه وبه تقام الحجة على الجميع ويقطع عذر المقصرين عن بلوغ الكمال أو الضالين عن بلوغ الهدى، وهذا الدور متوفر في الإمام (كل إمام) حكم أم لم يحكم.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٠٣ – ٢٠٥.

ولتقريب الفكرة أكثر: تصوّر أنّ الإمامة عبارة عن كتاب مؤلف من عدة فصول، فإنّ حال "الحكم" فيه أنه مجرد فصل وليس الكتاب كله، وهذا يعني أنّ الإمام الحق إذا لم تمكّنه الأمة من حكمها يبقى إماماً وعلماً هادياً، فمثلاً: الله سبحانه نصّب أمير المؤمنين إماماً للمسلمين بعد شهادة رسوله، لكن الأمة لم تمكّنه من قيادتها وضيّعت حظها، ومع هذا لم يضر إمامته شيئاً، وكانت واحدة من علامات إمامته: استغناؤه عن الكل وحاجة الكل إليه بما فيه حاكم المسلمين وإمامهم الذي اختاروه ونصّبوه، فقد أحصي عن عمر بن الخطاب – مثلاً – أنه قال في مناسبات عديدة: "لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن"، "أعوذ من معضلة لا علي لها"، "لولا علي لهلك عمر" ونحو ذلك [١]!

بالحقيقة، إنّ ما قام به الأئمة من ولد الحسين هو بمثابة إتمام بقية فصول الكتاب الإلهي "الدين" [٢] التي لم تتح للحسين صلوات الله عليه فرصة بيانها بحكم أنّ الدور الأساس المناط به هو القيام بالقوة، وقد كلّفه ذلك تقديم نفسه الطاهرة قرباناً لإحياء دين الله وحاكميته. ولك أن تتخيّل لو أنّ الأئمة بعد الحسين صلوات الله عليهم قاموا بالقوة وكان مصيرهم القتل كأبيهم الحسين، ولم يكن قد وصلنا منهم ما وصلنا فعلاً من دين إلهي وحق وأخلاق ومعارف وعلوم ونصائح مبثوثة بآلاف الروايات، أقول: تخيّل أنك تبحث مثلاً عن مسألة دينية (تفسير آية، مسألة عقائدية، حكم فقهي، نصيحة ربانية ... إلخ)، ولن ترى أمامك رواية عن الباقر أو الصادق أو الرضا أو باقي الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم، ماذا سيكون حالك كطالب حق وهدى، وما هي النتيجة؟!

النتيجة ببساطة: إنّك لا ترى غير "كومة" من الآراء والظنون والاحتمالات والأوهام والاستحسانات التي يطرحها هذا الطرف أو ذاك، وهذا يعني اندراس معالم دين الله تماماً، وحينئذٍ بمَ تقام الحجة على الخلق في كل زمان؟ بمن سيقطع الله عذرهم إن تحججوا لباطلهم وضلالهم وانحرافهم أو حتى تقصيرهم بأنك "يا رب" لم تجعل بيننا علماً هادياً وإماماً بيّناً وفرقاناً يميز لنا الحق عن الباطل؟ ومحال أن تكون للناس على الله الحجة!

١- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ١٠٠؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٢ / ٢٣٩؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣ / ١١٠٣؛ المواقف: الأيجي: ٣ / ٦٢٧؛ تفسير الرازي: ٢١ / ٢٢.

٢- المأذون ببيانه في ذلك الوقت، أما تغطية كل صفحات الدين وبيان "الكتاب" بتمامه فلا تتم إلا عند قيام دولة العدل الإلهي بقيادة الأوصياء المهديين صلوات الله عليهم.

لذلك، رحمة منه سبحانه بخلقه، كان تكليف الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام الإبقاء على أنفسهم؛ حفظاً لدين الله والحق من الضياع والموت!

بالتأكيد، بحكم أفضلية الإمام الحسين على الأئمة من ولده، فإنّ العلوم والمعارف والأخلاق الإلهية التي قاموا ببيانها، متوفرة في وجود الحسين ومنطوٍ عليها صدره الطاهر، بل مع زيادة يختص بها، لكن انشغاله بأداء تكليفه الإلهي الأساس وما أُحيط به من ظروف موضوعية حالت – بطبيعة الحال – بينه وبين بيانها، وبالتالي فيمكننا اعتبار أنّ كل إمام من الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام – بما اقتضته رسالة كل منهم – كان بمثابة المرآة التي تعكس صورة الحسين صلوات الله عليه من زاوية معينة؛ كلٌ في زمنه [١].

مجيء القائم (ع) هو الغاية:

عدم قيام الأئمة باستخدام القوة العسكرية أمده ينتهي بمجيء القائم من ولد الحسين عليه السلام في آخر الزمان، واعتبر الأئمة عليهم السلام أصحاب الرايات التي تقوم قبل قيام القائم عليه السلام طواغيت، وضرر حركتهم أكبر، كما أنّ مصير من يقوم هو القتل بلا تحقيق أي فائدة تذكر، وهذه بعض الروايات في هذا الصدد:

- الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (والله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم عليه السلام إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به) [٢].

- الإمام الباقر عليه السلام: (كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام صاحبها طاغوت) [٣].

١- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص كان معه.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٦٤.

٣- الغيبة، النعماني: ١١٥.

- الإمام الباقر عليه السلام: (مثل خروج القائم منّا أهل البيت كخروج رسول الله صلى الله عليه وآله، ومثل من خرج منّا أهل البيت قبل قيام القائم عليه السلام، مثل فرخ طار ووقع من وكره فتلاعبت به الصبيان) [١].

- (عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "ليس منّا أهل البيت أحد يدفع ضيماً ولا يدعو إلى حق إلا صرعته البلية، حتى تقوم عصابة شهدت بدراً لا يوارى قتيلها ولا يداوى جريحها" قلت: من عنى أبو جعفر عليه السلام؟ قال: الملائكة) [٢].

- الإمام الصادق عليه السلام: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزوجل) [٣].

- الإمام الصادق عليه السلام: (ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا) [٤].

كان الأئمة عليهم السلام يوصون أتباعهم بالسكون وعدم الخروج والاشتراك مع من يخرج بالقوة في زمانهم، ويضعون لحركة القائم الموعود التي يجب التحرك لنصرتها علامات وحدود تسهّل على المكلفين عملية تشخيص "صاحب الأمر" الحقيقي:

- الإمام الباقر عليه السلام: (اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد فإنّ أمركم ليس به خفاء، ألا إنها آية من الله عزوجل ليست من الناس، ...) [٥].

- (عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ... والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد

١- مستدرك الوسائل، النوري: ١١ / ٣٧.

٢- مستدرك الوسائل، النوري: ١١ / ٣٦.

٣- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٩٥.

٤- الصحيفة السجادية: ٢٠.

٥- الغيبة، النعماني: ٢٠٧.

استبان لها ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا على أي شئ تخرجون ولا تقولوا خرج زيد فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه فالخارج منا اليوم إلى أي شئ يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام! فنحن نشهدكم إنا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد ... وكفاكم بالسفياني علامة) [١].

- (عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم فقال ليس لكتابك جواب اخرج عنا فجعلنا يسار بعضنا بعضاً، فقال: أي شئ تسارّون يا فضل إن الله عزوجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقص أجله ثم قال: إنّ فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان، قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم) [٢].

قول المعصومين عليهم السلام لأتباعهم: "اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض": فهمه بعض أصحابهم بأنه لا "قائم" ولا "خروج" بالقوة، لكن الإمام المعصوم الذي نطق بذلك كان بصدد حث أتباعه على السكون طالما لم يحصل النداء (الآية السماوية) ولم يحصل الخسف بجيش السفياني (الآية الأرضية)؛ إذ كانوا مندفعين للاشتراك بثورات حصلت في أزمنتهم؛ خصوصاً وأنها كانت ترفع "الرضا من آل محمد" كثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى:

(عن الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ عبد الله بن بكير كان يروي حديثاً و أنا أحب أن أعرضه عليك، فقال: ما ذلك الحديث؟ قلت: قال ابن بكير: حدثني عبيد بن زرارة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أيام خرج محمد بن عبد الله بن الحسن إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: جعلت فداك إن محمد بن عبد الله قد خرج فما تقول في الخروج معه؟ فقال: اسكنوا ما سكنت السماء والأرض فقال

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٦٤.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٧٤.

عبد الله بن بكير: فإن كان الأمر هكذا أو لم يكن خروج ما سكنت السماء والأرض فما من قائم وما من خروج، فقال أبو الحسن عليه السلام: صدق أبو عبد الله عليه السلام وليس الأمر على ما تأوله ابن بكير، إنما عنى أبو عبد الله عليه السلام اسكنوا ما سكنت السماء من النداء، والأرض من الخسف بالجيش) [١].

العلامات التي وضعها الأئمة عليهم السلام (النداء، الخسف، السفياني، ... إلخ)، هي بالتأكيد تنفع الأقوام التي تدرك قيام القائم عليه السلام، وليست محصورة بأهل زمانهم، وهذا يؤشر إلى جانب عظيم من عطاء الأئمة بعد الحسين صلوات الله عليه؛ إذ لهم الفضل الكبير في اهتداء الناس لراية الحق والهدى المتمثل بنصرة القائم الموعود من ولد الحسين عليه السلام.

أيضاً: وضع الأئمة علامة بارزة للتعريف بالقائم عليه السلام بوصف أنه من "ولد الحسين"؛ باعتبار أنّ مسألة "صاحب الأمر" و"القائم" بالقوة والطالب بثأر الحسين كانت مثار انتباه كثير من المدعين بما فيهم طالبيين وهاشميين، وقد ابتلى الأئمة بهم في زمانهم كما رأينا قبل قليل في ثورة حفيد الحسن المثنى:

(عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: الزم الأرض لا تحركن يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة، .....)، ثم ذكر ما يحدث بالشام وأنّ الأمور فيها تؤول إلى السفياني، ثم ذكر خروج المهدي وأصحابه وبيعته بين الركن والمقام، إلى أن يقول: (ما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله صلى الله عليه وآله ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين فإن أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره وإياك وشذاذ من آل محمد عليهم السلام فإنّ لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايات فألزم الأرض ولا تتبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من ولد الحسين، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه، فإن عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين ثم صار عند محمد بن علي، ويفعل الله ما يشاء) [٢].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٥ / ٥٥.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢ / ٢٢٢ – ٢٢٤.

وصلُ يومين إلهيين؛ هدف الأئمة:

اليومان المقصودان، هما: يوم الحسين، ويوم القائم من ولده. اقتضت إرادة الله اتصال هذين اليومين، ويمكننا أن نشير إلى سببين مهمين في ضرورة الترابط بين اليومين:

الأول: إتمام "كلمة الله".

كلمة الله: بحسب ما عرفناه في الروايات التي تقدمت هي الإمامة، والله سبحانه وعد بأن تتم كلماته (الأئمة): "فأتمهن" [١]، فلابد – إذن – من وصل يوم الحسين بولده القائم من أجل تحقق وعد الله بإتمام كلمته (الإمامة):

(عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال سألته عن قول الله عزوجل: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عزوجل بقوله: "أتمهن"؟ قال يعني أتمهن إلى القائم عليه السلام اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام. قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزوجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبة"؟ قال يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة) [٢].

١- قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ..." البقرة: ١٢٤. (عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال: أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي صلى الله عليهم في قول الله: "ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم") تفسير العياشي: ١ / ٥٧.

وقال تعالى: "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" لقمان: ٢٧. قال الإمام الهادي عليه السلام: "نحن كلمات الله التي لا تنفد ولا تدرك فضائلنا" تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٧٩.

٢- معاني الأخبار، الصدوق: ١٢٦.

الثاني: إنّ ثورة القائم من ولد الحسين عليه السلام هي نتيجة وثمرة لثوره أبيه الحسين صلوات الله عليه، وهذا بيانه:

"يوم الحسين" في تاريخ خط الرسالات الإلهية منذ انطلاقتها بآدم عليه السلام وحتى ختامها بآخر أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله، يوم فريد ومشهود وموعود به منذ الأزل، وقد وردت رو ايات كثيرة في إعلام الله لأنبيائه ورسله ما يجري على الحسين سبط خاتم المرسلين [1]؛ وصولاً إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي ذكر مصيبته وما يجري عليه وبكاه منذ ساعة ولادته كما مر بنا [2].

١- ذكر الشيخ عبد الله البحر اني في كتاب "العوالم" جملة منها:

(١٠- أبواب إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا صلوات الله عليهم بشهادته عليه السلام:

١- باب جوامع ما أخبر به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من شهادته ولعنهم لقتلته عليهم اللعنة.. الأخبار:

١- في بعض مؤلفات أصحابنا: روي مرسلاً أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها فمر بكربلا فاغتم وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتى سال الدم من رجليه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلما، فسال دمك مو افقة لدمه، فقال آدم: يا رب أيكون الحسين عليه السلام نبياً؟ قال: لا. ولكنه سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله، ...

٢- وروي أن نوحاً لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرت بكربلا أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربه، وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل عليه السلام، وقال يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين عليه السلام سبط محمد خاتم الأنبياء، و ابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات، فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه.

٣- وروي أن إبراهيم عليه السلام مر في أرض كربلا وهو راكب فرسا فعثر به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار، وقال: إلهي أي شئ حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل عليه السلام وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل هنا سبط خاتم الأنبياء، و ابن خاتم الأوصياء، فسال دمك مو افقة لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن. فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعنا كثيرا .....) العوالم – الإمام الحسين: ١٠١ – ١٠٢.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول – التمهيد.

و"يوم القائم" من ولد الحسين عليه السلام يوم إلهي موعود به أيضاً:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "أيام الله ثلاثة يوم يقوم القائم عليه السلام ويوم الكرّة ويوم القيامة" [١]. الكرّة: أي الرجعة. و أُفرد يوم "القائم" بالذكر؛ لأنه خلاصة عالمنا الذي نحن فيها كما يقول السيد أحمد الحسن [٢].

الترابط بين اليومين أمر أكيد، وقد أشار الأئمة عليهم السلام لذلك في روايات كثيرة، فمن أوجه الترابط أنّ القائم عليه السلام هو الآخذ بثأر الحسين صلوات الله عليه:

(عن محمد بن حمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، ضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت: يفعل هذا بالحسين صفيّك و ابن نبيك؟ قال: فأقام الله لهم ظل القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا) [٣].

توضيح: لم تكن الجهة التي قتلت الحسين صلوات الله عليه هي مجرد أفراد تواجدوا في زمنه ليكون القصاص منهم أخذاً لثأر الحسين وينتهي الأمر، ما قتل الحسين حقيقة هو منهج شيطاني مستمر، وطالما له وجود على الأرض فالحسين عليه السلام يقتل كل يوم، وما سيفعله القائم من ولده أنه يطهر الأرض من هذا المنهج الشيطاني ويرفع لواء حاكمية الله، وبذلك يكون قد أخذ بثأر الحسين عليه السلام.

و أيضاً: تقدم عند بيان الأحداث التي أعقبت شهادة الحسين صلوات الله عليه [٤]: أنّ رأس الحسين الشريف نطق بآيات من سورة الكهف، ونطق أيضاً: "لا قوة إلا بالله".

١- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلي: ١٨.

٢- حيث سُئل عن رواية الإمام الصادق عليه السلام التي ذكرت أيام الله الثلاثة: هل تنفع الرواية في إفراد الرجعة "الكرّة" عالماً برأسه؟ فأجاب: (نعم، هي واضحة أنها شخّصت كل حدث بيوم أي وقت وعالم مختلف، فيوم القائم معروف أنه في الحياة الجسمانية التي نعيشها وهو خلاصتها، ويوم القيامة معروف أنه في الآخرة وعالم آخر غير العالم الجسماني، بقي يوم الرجعة فأكيد أنه عالم آخر وإلا لما خص بكونه يوم أي وقت وآن مستقل مقابل الحياة الجسمانية والقيامة، فهو ليس منهما) الرجعة ثالث أيام الله الكبرى – بحث: الرجعة يوم من أيام الله.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٥.

٤- انظر: يوم الحسين / الجزء الثاني – بحث: بماذا نطق الرأس الشريف!

وكلا هذين الأمرين له علاقة بقيام القائم عليه السلام؛ باعتبار أنّ الروايات أكدت أنّ في أصحابه من هم نظراء لأصحاب الكهف وأنهم سيقضون على الباطل بتصديقهم واعتقادهم الحقيقي بـ"لا حول ولا قوة إلا بالله"!

يقول السيد أحمد الحسن: (وأصحاب الكهف في زمان قيام القائم عليه السلام هم فتية في الكوفة وفتية في البصرة كما في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام [١]، ورأس الحسين بن علي عليه السلام نطق مرات عديدة، وفي أكثر من مرة سُمع يكرّر هذه الآية: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا منْ آيَاتِنَا عَجَباً" الكهف: ٩، وسُمع يقرأ منها فقط: "أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً" [٢]؛ وذلك لأنّ أصحاب الكهف - وهم أصحاب القائم عليه السلام - هم الذين يأخذون بثأر الحسين عليه السلام، وينتقمون من الظالمين، ويقلبون أمر الظالمين رأساً على عقب، ولهذا سُمع رأس الحسين عليه السلام أيضاً يقرأ: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ" الشعراء: ٢٢٧.

وكذلك أصحاب القائم عليه السلام قوم عابدون مخلصون لله سبحانه وتعالى، لا يرون القوة إلا بالله، يؤمنون بالله وعليه يتوكلون ويقارعون أكبر قوى الظلم والاستكبار على الأرض، ..... ولهذا سُمع رأس الحسين عليه السلام يقرأ أيضاً: "لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" الكهف: ٣٩، لأنه لن يأخذ بثأره إلا من كانوا مصداقاً لهذه الآية الكريمة: "لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ") انتهى [٣].

نطْقُ الرأسِ الشريف بآيات لها ارتباط بثورة المهدي والقائم الموعود من ولده يعني أنّ بين الثورتين اتصالاً وثيقاً ومحكماً، بل يمكننا - وفق ما لدينا من نصوص - أن نشبّه العلاقة بين الثورتين كالعلاقة بين "المقدمة" و"النتيجة" تماماً؛ باعتبار أنّ الإمام الحسين

١- عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (يخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكا الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً) الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٦.

٢- انظر: مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٤ / ١١، ١٣.

٣- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال - ٧٢.

ثار واستشهد من أجل حاكمية الله؛ وحاكمية الله بصورتها المثلى تتحقق في دولة العدل الإلهي على يد القائم من ولد الحسين عليه السلام، فيظهر دين الله على الدين كله.

يقول السيد أحمد الحسن: (..... فالدين الإسلامي المحمدي الأصيل يظهر على الأرض بالإمام المهدي عليه السلام، والإمام المهدي من ولد الحسين عليه السلام، وثورة الإمام المهدي عليه السلام أساسها ومرتكزها الحقيقي هو ثورة الحسين عليه السلام، فبالإمام المهدي تتحقق هذه الآية: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ"، ويعرف أهل الأرض محمداً صلى الله عليه وآله وعظيم شأنه ومقامه الرفيع، والإمام المهدي عليه السلام ثمرة من ثمرات الحسين عليه السلام، وثورة الإمام المهدي الإصلاحية العالمية ما هي إلا الثمرة الحقيقية التي أنتجتها ثورة الحسين عليه السلام) انتهى [1].

وإذا اتضح الترابط بين اليومين الإلهيين، فينبغي أن نعرف أنّ أحد تكاليف الأئمة عليهم السلام الأساسية المأمورين بها من الله هو وصل اليومين، أعني: "أن يكون القائم من ولد الحسين"، لكن كيف يتم الوصل والربط؟

الله سبحانه شاء أن تكون الدنيا داراً للامتحان والاختبار، وأجرى فيها سنناً وقوانين تلائم هذه الغاية، وعادة تكون تلك القوانين والسنن هي النافذة ولا يتم خرقها إلا لحكمة تستدعيها مشيئة الله، وبدونها يكون الحال السائد جريان الأمور بأسبابها المعروفة، وبالتالي فبخصوص مسألتنا (وصل يوم الحسين بيوم القائم وأن يكون القائم من ولد الحسين): لابد للأئمة من أن يحافظوا على أنفسهم من القتل ليتمكن الإمام (كل إمام في وقته) من الزواج وإنجاب الولد المقدّر له في علم الله أن يكون إماماً ووصياً لأبيه ومن ثم إعداده لاستلام مهمة الإمامة وخلافة الله في أرضه، ونفس الأمر يفعله الوصي بعد موت أبيه "الإمام = خليفة الله" مع من يليه، وهكذا وصولاً إلى القائم الموعود، فيتحقق الاتصال بين اليومين وينجز وعد الله!

يقول السيد أحمد الحسن: (وربما يضطر خليفة الله للصمت فترة من الزمن من خلافته، ولا يظهر علمه كما هو حال أزمنة الفترات. وقد بيّنتها وبيّنت علّتها، وهو عدم وجود

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال: ١١٥.

القابل للحق، أو يصمت لضرورة يريدها الله سبحانه، كأن يؤدي مهمّته الأولى وهي تهيئة من سيستلم خلافة الله من بعده، فتسليم خلافة الله أمانة كلف بها خليفة الله، ولابد له من تهيئة كل ما يمكنه ليكون هذا الأمر بأفضل صورة تقام بها الحجة على الناس، ولا يكون للمتخلف منهم عذر باتباع خطوات الشيطان، والتخلف عن دين الله أو خليفة الله اللاحق.

قال تعالى: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً" النساء: ٥٨، والمراد هو أنّ تسليم خلافة الله للخليفة اللاحق مهمة لابد أنْ يقوم بها الخليفة السابق بأتم وجه؛ لأنها أمانة إلهية في رقبته، ولهذا فقد يضطر إلى الصمت ربما للحفاظ على حياته، حتى تهيئة بعض ما يخص الخليفة اللاحق أو حتى ولادته، وهذه الروايات تبيّن ذلك: ..... [١].

إذن، فقوله تعالى: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" أي يؤدي خليفة الله أو الإمام لمن بعده، وهذا هو تكليفه الأول، لهذا ربما لا يظهر علمه ولا يكلم الناس حتى يتم مهمته الأولى وهي تهيئة من يأتي بعده لتحمّل رسالته الإلهية، وقد حصل هذا الأمر مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام [٢]) انتهى [٣].

١- ذكر السيد أحمد الحسن مجموعة من الروايات عن الإمام الباقر والصادق والرضا صلوات الله عليهم في بيان قوله تعالى: "إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" بأن المقصود بها: الأئمة؛ أن يؤدي الإمام الأمانة "الإمامة" إلى من بعده ولا يخص بها غيره ولا يزويها عنه، انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٦ – ٢٧٧؛ من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣ / ٣؛ تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٢٢٣.

٢- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٤ – ٣١٥. والرواية طويلة، ملخصها: إنّ يزيد بن سليط التقى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وسأله عن الإمام بعده، فبين له أنه ولده علي الرضا عليه السلام وطلب منه أن يكتم ذلك إلا عن أهله، ثم قال له: "إني أؤخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني علي، سمي علي وعلي: فأما علي الأول فعلي بن أبي طالب، وأما الآخر فعلي بن الحسين عليهما السلام، أعطي فهم الأول وحلمه ونصره ووده ودينه ومحنته، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره وليس له أن يتكلم إلا بعد موت هارون بأربع سنين".

٣- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: ٩٠، بحث: قانون معرفة الحجة – العلم.

واضح أنّ "الإمامة وخلافة الله في الأرض" أمانة إلهية، ودور الإمام أنه مؤتمن عليها ومكلّف بإيصالها إلى صاحبها المعيّن من الله، لذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

- "أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبه" [١].
- " إن الإمامة عهد من الله عزوجل معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده" [٢].

مسألة إيصال الأمانة الإلهية "الإمامة" إلى صاحبها ليس بالأمر السهل؛ خصوصاً في مثل حالة الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام حيث كانت حياتهم على الدوام مهددة بالخطر من قبل طواغيت بني أمية ثم بني العباس أخزاهم الله، وخصوصاً أنّ المطلوب منهم ليس فقط الحفاظ على حياتهم وإعداد الإمام لوصيه وإن كان هو أهم المهام كما تبيّن، و إنما مطلوب منهم أيضاً: القيام ببيان دين الله ونشر الحق لمن يقبل به وهداية الأمة المؤمنة كما تبيّن لنا.

لا شك أنّ الجمع بين الأمرين مهمة في غاية الصعوبة والخطورة لا يتمكن غير آل محمد من الاضطلاع بها، لكنهم – بفضل الله عليهم – قاموا بأداء هاتين المهمتين الرئيسيتين بأتم ما يكون بحكمة بالغة وصبر مرير وتسديد من الله كبير، فأنجز مراد الله وبلغ الأمر صاحبه الموعود. وبطبيعة الحال، فإنّ إنجاز الأئمة للمهمة كان مصحوباً بتضحيات كبيرة قدّموها وأذىً جسيم طالهم إلى أن قضوا ورحلوا إلى ربهم شهداء مظلومين لم يجدوا طعماً للراحة في الدنيا إطلاقاً، وتلك هي سنّة الله في أحبّائه وأوليائه، فالدار لم تعد للراحة وليست دار جزاء!

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٨.

٢- نفس المصدر.

مقام "القائم" و"صاحب الأمر" تطاولت له الأعناق!

قلنا: إنّ "المهدي، القائم، صاحب الأمر" هو الآخذ بثأر الحسين، وليس هذا فقط بل هو الإمام المأذون من آل محمد عليهم السلام باستخدام القوة العسكرية بعد شهادة الحسين عليه السلام، وكان هذا الأمر معروفاً لدى الأئمة وأهل بيتهم و أقربائهم وبعض شيعتهم، بل وقد تسرّب حتى لبعض أعدائهم، كما سنرى!

لهذا وجدنا أنّ أول من حاول التلبّس وادعاء المهدوية والإمامة بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه هو محمد ابن الحنفية، لكن الإمام علي بن الحسين عليه السلام تدارك حال عمّه – كما عرفنا سابقاً – فرجع عن الادعاء واعتقد بإمامة السجاد عليه السلام، لكن بقي بعض مريديه يعتقدون بإمامته ومهدويته، وبعد موته تزعّم ابنه عبد الله "أبو هاشم" الفرقة التي تعرف بـ "الكيسانية" التي يعتقد أصحابها بإمامة ومهدوية ابن الحنفية و أنه حي لم يمت ومقيم برضوى ... إلخ من اعتقادات لا فائدة من ذكرها بعد انقراض دعوتهم تماماً.

ذكرنا أيضاً: أنّ أبا هاشم هذا، هو أول من فتح الباب لبني العباس لادعاء الإمامة والمهدوية، إذ نقل عنه أنه بعد رجوعه من الشام مسموماً مرَّ بـ"الحميمة" بالأردن والتقى بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس (والد أبي جعفر المنصور و أبي العباس السفاح) حيث كان يقيم هناك، وأوصى إليه قبل موته قائلاً: "يا ابن عمّ إنّ عندي علماً أنبذه إليك فلا تطلعن عليه أحداً، إنّ هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم. قال: قد علمتُ فلا يسمعنه منكم أحد" [1].

أبو هاشم لم يكن يرجم بالغيب بالتأكيد، و إنما بلغه بعض ما أخبر به رسول الله وآل الرسول صلوات الله عليهم عن ملك بني العباس، وقد تعرضنا لبيان بعض تلك الإخبارات فيما سبق [2].

1- تاريخ الطبري: ٦ / ٧٨؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٠٨.

2- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – تنبيهات هامة: ٢- العباسيون يعرفون بأنّ مآل الحكم لهم.

وحتى تنجح خطة العباسيين في استتاب ملكهم الدنيوي وخداع الناس بأنّ أمر الإمامة وخلافة رسول الله صار فيهم، ولأنهم – وكثيرين غيرهم – يعلمون بأنّ القائم والمهدي هو المعهود إليه القيام بالقوة بعد الإمام الحسين عليه السلام، ويعلمون أيضاً ببعض أسمائه وألقابه، أقول: لأجل هذا قام محمد بن علي العباسي بتلقيب ابنه الكبير بـ "المنصور" و ابنه الآخر بـ "السفاح" و"أبو العباس"، ليكمل ابنه أبو جعفر المنصور ومن تلاه هذا الخداع ويسموا أبناءهم: "المهدي"، "الهادي"، "الرشيد"، "الأمين"، "المأمون" ... إلخ، وهي أسماء للمهدي والقائم من آل محمد التي أخبر بها الرسول وعلي والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، وهذه بعض رو اياتهم في ذلك:

(عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي) [١].

قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القائم عليه السلام: (... يا أبا العباس أنت إمام الناس، سبحان من يحيي الأرض بعد موتها، ويرد الولايات إلى بيوتها، يا منصور تقدم إلى بناء السور، ذلك تقدير العزيز العليم) [٢].

يقول السيد أحمد الحسن: (بنو العباس يعلمون بأنّ الحكم سيؤول لهم بالنهاية، وهم لما يأسوا من تأييد الأئمة عليهم السلام لهم لم يتبقَ لهم غير أن يوهموا الناس بأنّ المهدي والقائم منهم، وصاروا يسمّون عدة من أبنائهم بأسمائه أو يلقبونهم بألقابه، مثل: أبو العباس، السفاح، المنصور، المنتصر، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون ... إلخ. وخطتهم في هذا تقوم على الاستمرار بإيهام الناس وخداعهم فإذا لم يكن هذا هو المهدي فهذا أو هذا أو هذا .... وهكذا. ولا أقل، فإنّ مسألة تسميتهم أحد أبنائهم بـ"المهدي" واضحة ولا نقاش فيها، وهم علموا بذلك من اخبارات الأئمة، فالأئمة عليهم السلام كما ذكروا دولة بني العباس في آخر الزمان ذكروا حكم العباسيين الأو ائل بلا نقاش) انتهى [٣].

١- كنز العمال، المتقي الهندي: ١٣ / ٥١٣.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٢٠٩.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وليس بنو العباس وحدهم مدّوا أعناقهم لمقام "المهدي" و"صاحب الأمر"، بل آل الحسن كذلك، فهم لما علموا بإخبار الرسول والأئمة صلوات الله عليهم عن أنّ اسم المهدي يواطئ اسم الرسول واسم أبيه اسم أبيه [١]، وعلموا بأخبار النفس الزكية التي ذكر بعضها أنّ اسمه "محمد" [٢]، زعم عبد الله بن الحسن المثنى أنّ ابنه "محمد" هو المهدي وهو النفس الزكية الموعود بها، ودعا الناس إلى بيعته بتشجيع من العباسيين في البداية قبل أن ينقلبوا لاحقاً على الحسنيين ويقوموا بقتلهم كما سنعرف.

و أيضاً: كاد زيد بن علي أن يدعي هذا الأمر قبل اعتقاده بإمامة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو وإن رجع إلى الحق واستشهد عليه كما عرفنا عند استعراض ثورته [٣]، لكن بقي بعض مريديه يقولون بإمامته و أنه صاحب الأمر والقائم به بعد الحسين عليه السلام، وهم المعروفون بـ"الزيدية". وهؤلاء بدل أن يجعلوا النص دليلهم في التعرف على صاحب الحق صار "القيام بالسيف" هو الأصل عندهم، ولذا استغلهم كل من قام بالسيف من الهاشميين (ومنهم طالبيين بطبيعة الحال)، كما في حركة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة سنة ١٢٧ هـ، حيث زعم أنّ أبا هاشم ابن محمد

١- روى الحاكم بسنده: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه أبي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٤٤٢.

٢- من الروايات التي لم تذكر اسمه ما رواه ابن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني" الكافي: ٨ / ٣١٠.

ومن الروايات التي ذكرت اسمه: ما رواه محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (قلت: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ... وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٣١،

٣- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – ثورة زيد بن علي.

روى الشيخ الصدوق بسنده: (عن عمرو بن خالد، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد، لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه) الأمالي: ٦٣٧.

بن الحنفية أوصى إليه قبل موته، ثم حركة محمد و إبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن المثنى، فقد انضم الزيدية إلى هؤلاء كما هو الثابت تاريخياً [١].

إنّ محورية قضية "المهدي" و"القائم" بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه، كما يمكن إدراكها من خلال كثرة الادعاء كما لاحظنا، يمكن إدراكها أيضاً من خلال كثرة طرح سؤال: "أنت صاحب هذا الأمر؟" على الأئمة عليهم السلام وعلى غيرهم أيضاً:

فمثلاً: سأل عبد الله بن العلا زيد بن علي، فقال: (... فأنت صاحب الأمر؟ قال: لا ولكني من العترة. قلت: فإلى من تأمرنا. قال: عليك بصاحب الشعر - وأشار إلى الصادق عليه السلام) [٢].

و أيضاً: سُئل الأئمة عليهم السلام نفس السؤال مراراً، وهذه بعض الروايات في ذلك:

- (عن حمران بن أعين، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك، إني قد دخلت المدينة وفي حقوي هميان فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أنني أنفقها ببابك دينارا دينارا، أو تجيبني فيما أسألك عنه. فقال: يا حمران، سل تجب، ولا تنفقن دنانيرك. فقلت: سألتك بقر ابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أنت صاحب هذا الأمر والقائم به؟ قال: لا. قلت: فمن هو، بأبي أنت وأمي؟ فقال: ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز، وبوجهه أثر، رحم الله موسى) [٣].

١- بالنسبة إلى حركة ابن معاوية فقد تقدمت الإشارة لها في الجزء الثالث من "يوم الحسين" عند استعراض الأحداث التي أعقبت ثورة زيد الشهيد، وأما حركة محمد و إبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فسيأتي ذكرها.

٢- كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٣١١.

٣- الغيبة، النعماني: ٢٢٣ – ٢٢٤.

- (عن علي بن جعفر عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أخي عليه السلام [١]، فقال له: جعلت فداك من صاحب هذا الأمر؟ فقال: أما إنهم يفتنون بعد موتي، فيقولون: "هو القائم" وما القائم إلا بعدي بسنين) [٢].

- (عن أبي حمزة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: من هو؟ قال: الذي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على فترة من الأئمة، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث على فترة من الرسل) [٣].

- (عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر ولكني لست بالذي أملاها عدلاً كما ملئت جوراً ...) [٤].

- (وعن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً، فقال: يا أبا القاسم، ما منا إلا وهو قائم بأمر الله عزوجل، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عزوجل به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلاً وقسطاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيه .....) [٥].

كثرة توجيه السؤال للأئمة يكشف عن أهمية ومحورية دور القائم وصاحب الأمر الذي يقوم بالقوة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، والملفت أنّ هذه المسألة موجودة حتى في زمن حياة الحسين، وهذا يعني أنّ الأمر مخبر به من قبل الرسول وآله صلوات الله عليهم:

١- أي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٢- مسائل علي بن جعفر: ٢١.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٤١.

٤- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٧٦.

٥- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٤٩ – ٢٥٠؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٥١ / ١٥٧.

(عن عيسى الخشاب قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ قال: لا ولكن صاحب هذا الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكني بعمّه يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر) [١].

بل – بحسب بعض المؤرخين – أنّ بني أمية بلغتهم قضية القائم والمهدي أيضاً؛ سواء كان بسبب شيوع الأخبار، أو بسبب نقل الجواسيس والعيون. وعموماً، كانوا يعرفون أنّ صاحب الأمر والقائم به بالقوة بعد الحسين صلوات الله عليه هو رجل مغمور خفي مولده موتور بأبيه (وهي صفة القائم كما نصّت عليه بعض الروايات التي مرت)؛ إذ ورد:

(كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلَّب: واللَّه ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور) [٢].

من المهم – أيضاً – أن نشير إلى أنّ كلام الأئمة عليهم السلام في وصف صاحب الأمر والقائم من ولد الحسين في الروايات المتقدمة تضمن ذكر علامات وخصوصيات دقيقة تخصّه، منها: ولادته واسمه وكنيته وغيبته وصفاته الجسدية، ... إلخ.

و أيضاً: ذكروا أنه يُبعث "على فترة من الأئمة"، فماذا يعني هذا؟

نحن لما عرفنا سابقاً أنّ آل محمد الأوصياء هم اثنا عشر إماماً و اثنا عشر مهدياً، فهذا يعني أنّ صاحب الأمر والقائم من ولد الحسين صلوات الله عليه يأتي بعد غيبة الإمام الثاني عشر (الإمام المهدي عليه السلام) بحسب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله؛ باعتبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: "على فترة من الأئمة" يأتي، والفترة هي عكس الظهور والحضور، وهي لم تحصل في الزمن الممتد بين الإمام علي بن الحسين والإمام الحسن بن علي العسكري عليهم السلام، فالأئمة خلال هذه المدة الزمنية كلهم كانوا ظاهرين ولم يكن زمانهم زمان فترة. نعم، زمن الفترة يحصل بعد غيبة الإمام المهدي صلوات الله عليه، وهذا يعني أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يعلمون – بتعليم الله لهم – أنّ

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣١٨.

٢- عيون الأخبار، ابن قتيبة: ٢ / ٥٣.

زمن القائم وصاحب الأمر يتأخر عن زمنهم بكثير. ويؤكد هذه الحقيقة أنهم عليهم السلام ذكروا بعشرات الروايات علامات ظهوره وقيامه وتفاصيل كثيرة خاصة بقضيته جُمعت في كتب خاصة وأُلّفت فيها البحوث والدراسات كما هو معلوم للجميع.

الأئمة كانوا يعلمون بأنّ الأمر صائر إلى منتهاه، لهذا نهوا شيعتهم عن الثورة قبل "القائم"، وأوصوهم بالصبر وانتظار الفرج، ونهوهم عن العجلة "هلك المستعجلون"!

هلك المستعجلون!

يقول السيد أحمد الحسن: (القضية كانت تدور حول من يقوم بالقوة بعد الحسين صلوات الله عليه، ولهذا كان كثيرون يسألون الأئمة عليهم السلام: "أنت صاحب هذا الأمر"؟ لأن الناس عادة ليس لديها صبر، وكانت ترقب من يقوم ويخلّصها من الظلم المحيط بها. وكان بعضهم يسرعون إلى كل من يقوم وينصرونه؛ ظنّاً منهم أنه القائم الموعود به!

الدين دين الله وليس دين الناس، ففي الوقت الذي أراد الله من الناس القيام والثورة مع الحسين صلوات الله عليه، هم تخاذلوا عن نصرته واختاروا عدم القيام معه، وفي الوقت الذي يريد الله منهم تعلم الدين الحق من الأئمة عليهم السلام ونشره وترك الثورة والقيام إلى حين بلوغ الأمر منتهاه، هم يريدون الثورة والقيام!) انتهى [١].

الرسول صلى الله عليه وآله، أخبر بأنّ بني أمية وبني العباس أُعطوا دنيا، ولابد من أن يملكوا، ومرت بنا النصوص في أنّ مدة ملك بني أمية ألف شهر [٢]، وكانت كذلك بالضبط

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- منها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقري فأصبح كئيبا حزينا قال: فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله مالي أراك كئيبا حزينا قال: يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي ويضلون الناس عن الصراط القهقرى فقال: والذي بعثك بالحق نبيا إن هذا شئ ما اطلعت عليه فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها قال: "أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاء هم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" و أنزل عليه "إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدريك ما ليلة القدر*

بين عامي ٤١ هـ – ١٣٢ هـ بعد طرح تسع سنين حكم فيها ابن الزبير بين عامي ٦٤ – ٧٣ هـ كما تقدم [١].

أما بنو العباس، فالمنصوص عليه هو ملكهم، لكنها – أي النصوص – لم تحدده بمدة معينة؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنّ ملك العباسيين يمر بطورين:

- حكم العباسيين الأوائل الذي ابتدأ بأبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ وانتهى بآخر ملوكهم في بغداد المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ.
- حكم عباسي آخر الزمان، المتزامن مع ظهور "القائم" من ولد الحسين صلوات الله عليه، والذي يعد اختلافهم علامة على قرب أيامه؛ فتجنّب الأئمة عليهم السلام ذكر التحديد الدقيق والصريح؛ حفاظاً على هذا الرجل الإلهي الموعود؛ "القائم" و"صاحب هذا الأمر".

ولأن الزمن الفاصل بين الأئمة وقيام القائم من ولد الحسين طويل، نصحوا شيعتهم بعدم العجلة، وحثّوهم على الصبر وانتظار الفرج:

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: "هلكت المحاضير ونجى المقربون وثبت الحصى على أوتادهم، أقسم بالله قسماً حقاً إن بعد الغم فتحاً عجباً" [٢].

- (عن أبي المرهف، قال: " قال أبو عبد الله عليه السلام: هلكت المحاضير. قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإنّ الغبرة على من أثارها، وأنهم لا يريدونكم بجائحة إلا أتاهم الله بشاغل إلا من تعرض لهم) [٣].

ليلة القدر خير من ألف شهر" جعل الله عزوجل ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله خيراً من ألف شهر ملك بني أمية) الكافي، الكليني: ٤ / ١٥٩.

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – بحث: مقتل يحيى بن زيد.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٩٤. "ثبت الحصى على أوتادهم": كأنه كناية عن قوة ثباتهم.

٣- الغيبة، النعماني: ٢٠٣.

- (عن إبراهيم بن مهزم، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرنا عنده ملوك آل فلان، فقال: إنما هلك الناس من استعجالهم لهذا الأمر، إنّ الله لا يعجل لعجلة العباد إنّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا) [١].

- (عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم فقال ليس لكتابك جواب اخرج عنا فجعلنا يسار بعضنا بعضا، فقال: أي شئ تسارّون يا فضل إنّ الله عزوجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقص أجله ثم قال: إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان، قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم) [٢].

- قال الإمام الجواد عليه السلام: "أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج" [٣].

والخلاصة:

الله أراد من الحسين صلوات الله عليه الثورة وطلب من الناس نصرته، وهو أنجز مراد الله بالثلة التي وفقها الله لنصرته بالرغم من خذلان عموم الأمة له.

الله أراد أن تستمر الإمامة في ولد الحسين، كلمة باقية في عقبه، على أن تتم كلمة الله بالقائم من ولده، وبذلك ينجز وعد الله بنشر حاكميته على الأرض وقيام دولته الإلهية العادلة.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٦٩.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٧٤.

٣- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٧٧.

الله كلّف الأئمة بإنجاز هذه المهمة الكبرى المتمثلة بربط يوم الحسين بيوم ولده القائم، على أن لا يقوموا بثورة أو قيام مسلح قبله إطلاقاً، بل يقوموا بإحياء معالم الدين الحق وبيانه ونشره للأمة المرحومة التي تقبل هدى الله.

الله أعلم الأئمة أنّ الأمر صائر إلى منتهاه، وأنّ بني أمية وبني العباس أُعطوا دنيا ولابد لهم من الملك وقضاء كل منهم مدته المقررة لا تزيد أو تنقص يوماً، وأنّ زحزحة جبل راسي من مكانه أسهل من القيام على ملك لم ينقض أجله.

هذا ما أراده الله سبحانه، لكن الناس (إلا من رحم الله) كان لهم مراد ورأي آخر.

لا شك أنّ الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم سيقدّمون إنجاز مراد الله على أي شيء آخر ولو كلّفهم ذلك حياتهم ونيل أذى القريب والبعيد، لكن بالتأكيد سيصاحب إنفاذهم مراد الله ألم وأذى لو صُبّ بعضه على جبل صلد أذابه:

- فهذا يتركهم ويدعي الإمامة ويدعو الناس إليه!
- وآخر يثور بلا إذن منهم ويتسبّب لهم بأذى وسجن وتهديد بالقتل!
- وثالث يتهمهم بالحسد؛ لأنهم رفضوا القبول بمرشحه للإمامة!
- ورابع يتهمهم بالخوف؛ لأنهم لم يروا مثل رأيه!
- وخامس يتهمهم بترك سيرة علي؛ لأنهم لم يصنعوا بعض ما صنع!
- وسادس، وسابع ..... إلخ.

علماً، أنّ هذا بعض ما لاقوه من الأقربين، أما ما لاقوه من طغاة بني أمية وبني العباس من ظلم وأذى وتشريد وتضييق وحبس، وصولاً إلى القتل بالسم في نهاية المطاف فهو أمر بيّن ومسطور في كتب المسلمين عموماً.

ولهذا – كما قلت سابقاً – كان كل إمام منهم صورة لأبيه الحسين صلوات الله عليه من جهة معينة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢)

إمامان شاهدان على الطف

في يوم عاشوراء كان الإمام علي بن الحسين و ابنه محمد بن علي الباقر عليهما السلام موجودين وشاهدين على مجريات ذلك اليوم الأليم.

الإمام علي بن الحسين (ع):

المكان: المدينة المنورة
العمر: ٥٦ – ٥٧ عاماً (٣٨ – ٩٤، ٩٥ هـ)
مدة الإمامة: ٣٤ عاماً

النص على إمامته وألقابه:

أول إمام من "ولد الحسين" هو ولده "علي" الملقب بـ"زين العابدين" و"السجاد". ولد في الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ [١] قبل شهادة جده أمير المؤمنين بثلاث سنين تقريباً، وكانت وصيته المباركة عند وفاته أحد النصوص على إمامة حفيده:

(عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم اقبل على ابنه الحسين عليه

١- انظر: المقنعة، المفيد: ٤٧٢.

السلام فقال، وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي و اقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام) [١].

بالتأكيد، فإنّ وصية أمير المؤمنين صلوات الله عليه كانت مستندة إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفاته التي ذكرت الأوصياء من بعده إلى يوم القيامة، وكان اسم الإمام علي بن الحسين عليه السلام مذكوراً فيها كما هو واضح [٢].

و أيضاً: الدليل على إمامته النص عليه من قبل أبيه الحسين صلوات الله عليه قبل استشهاده، وقد تقدمت بعض الروايات في ذلك [٣]، حتى إنه لما نازعه عمّه ابن الحنفية في الإمامة، قال له علي بن الحسين عليه السلام: (يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، إنّ أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام) [٤].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٩٧ – ٢٩٨.

٢- رواية الوصية المقدسة تقدمت، انظر: الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

٣- هذه بعض الروايات التي تؤكد ذلك:

- (عن الفضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما [قد] دفعت إليك، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام) الغيبة، الطوسي: ١٩٥.

- (عن أبي الجارود، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ..... ثم إنّ حسيناً حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين عليه السلام - فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا) الكافي، الكليني: ٢٩٠ – ٢٩١.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣٤٨.

"زين العابدين": لقب خصّه به جده رسول الله:

(عن ابن عباس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين زين العابدين فكأني انظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف) [١].

وأما سبب تلقيبه بـ"السجاد": فلكثرة سجوده كما قال ولده الباقر عليه السلام:

(عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: إنّ أبي علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر نعمة الله عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزوجل وفيها سجود إلا سجد، ولا دفع الله تعالى عنه سوء يخشاه أو كيد كايد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك) [٢].

الإمام زين العابدين(ع) وواقعة كربلاء:

رأى وروى كربلاء بألم لم يبارح قلبه:

عاش الإمام علي بن الحسين مع أبيه الحسين صلوات الله عليه ٢٣ عاماً، شاهد ثورة أبيه على يزيد – لعنه الله – بالتفصيل. اصطحبه أبوه السبط الشهيد ضمن ركبه المقدس الذي ساربه إلى العراق، وكان طريحاً في مخيم الحسين يوم عاشوراء بسبب مرضه، ولم يأذن له الإمام بالاشتراك في القتال؛ لئلا تخلو الأرض من حجة كما عرفنا.

مع هذا، فقد همَّ بالنزول إلى الميدان للدفاع عن أبيه لما بقي وحيداً وسمعه نداءه، لكن الحسين طلب من أخته أن تأخذه بمجرد أن رآه:

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٣٠.

٢- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٣٢ – ٢٣٣.

(ثم التفت الحسين عليه السلام عن يمينه فلم يرَ أحداً من الرجال، والتفت عن يساره فلم ير أحداً، فخرج علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع، فقال: يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الحسين عليه السلام: يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد) [١].

شاهد الإمام زين العابدين عليه السلام أحداث كربلاء، وروى بعض تفاصيلها:

- روى دخول عمّته زينب على أبيه الحسين صلوات الله عليهما وهو ينعى نفسه بأبيات: "يا دهر أفٍّ لك من خليل ... إلخ"، وذكر ما جرى بينهما من حواروووصايا أبيه لأخته زينب عليها السلام!

- روى دعاء أبيه المظلوم يوم العاشر بعد خطبته بالجيش الأموي ووعظه لهم: "اللهم أنت ثقتي في كرب ورجائي في كل شدة ...".

- روى أنّ أباه المظلوم ضمّه إلى صدره والدماء تغلي، وعلّمه دعاء لحفظه:

قال عليه السلام: "ضمّني والدي عليه السلام إلى صدره يوم قتل والدماء تغلي وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاء علّمتنيه فاطمة عليها السلام وعلّمها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمه جبرئيل عليه السلام في الحاجة والمهم والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح، قال: ادع بحق يس والقرآن الحكيم وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين ، يا من يعلم ما في الضمير ، يا منفس عن المكروبين، يا مفرج عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صل على محمد وآل محمد، و افعل بي كذا وكذا" [٢].

١- العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٨٨ – ٢٨٩.

٢- الدعوات، الراوندي: ٥٤ – ٥٥.

• روى ورأى مقتل أبيه السبط وأهل بيته وصحبه، وهجوم الأوباش على مخيم الحسين وحرقه و انتهاب رحله، ثم حمل عياله على ظهور الجمال للسير بهم إلى الكوفة وهو ينظر إلى جسد أبيه ملقى على تراب كربلاء بلا كفن ولا دفن، فأخذ يجود بنفسه وكاد أن يموت وجعاً لولا تدخل عمّته زينب عليها السلام:

قال عليه السلام: "إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وساير أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت على الكبرى، فقالت ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي و أبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرّعين بدمائهم مرمّلين بالعراء، مسلّبين لا يكفنون ولا يوارون ....." ثم حدثته بحديث أم أيمن [1].

• عاش صلوات الله عليه كل فصول الأسر والسبي المؤلمة، وشاهد بعينه ما جرى على عيال الحسين من وقت شهادة الحسين صلوات الله عليه حتى عودة الركب الحسيني إلى مدينة الرسول، وكان الإمام عليه السلام خلال هذه الفترة القاسية تعرض للقتل أكثر من مرة، وفي كل مرة تفديه عمته زينب الكبرى بنفسها!

• قضى الإمام بقية عمره الشريف حزيناً باكياً على ما جرى على أبيه وأهل بيته يوم عاشوراء، حتى عُدَّ أحد البكائين!

عن الإمام الصادق عليه السلام: (أنّ زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الافطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جائعاً، قتل ابن رسول الله

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٢٨ / ٥٥ – ٦١. والحديث طويل تقدم ذكره في يوم الحسين / الجزء الثاني: "زينب(ع) تواسي ابن أخيها السجاد بحديث أم أيمن".

عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه بدموعه، ويمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزوجل) [١].

وعنه أيضاً: (وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة) [٢].

كل هذا تقدم بيانه بالتفصيل في الجزء الثاني من "يوم الحسين"، وما أود قوله الآن: أنّ حزن الإمام كان رسالياً؛ إذ كان يهدف به إحياء ذكر الحسين صلوات الله عليه ومن ثمَّ نصرة دين الله!

حزنه الرسالي وإحياؤه ذكر الحسين(ع):

الإمام علي بن الحسين قضى بقية عمره الشريف حزيناً على مصيبة أبيه وأهل بيته، لكن حزنه أبداً لم يقتصر على كونه أمراً عاطفياً أعني: حزن ابن على أبيه، وإن كان يحق له ذلك؛ لأننا نتحدث عن أب بمستوى الحسين بن علي وفاطمة صلوات الله عليهم، والإمام زين العابدين أكثر إنسان يعرف قدر وقيمة هؤلاء الأطهار عند الله سبحانه، لكنه صلوات الله عليه، مع هذا، جعل حزنه رسالياً، بمعنى: أنه استثمر مصيبة الحسين ومظلوميته وجعلها سبباً ووسيلة لنصرة دين الله وإعلاء ذكره، إذ كان يسعى جاهداً لأحياء ذكر الحسين بحسب ما سمح له ظرفه القاسي ورقابة السلطة الظالمة!

الإمام زين العابدين عليه السلام ما فوّت فرصة لأحياء ذكر أبيه الحسين إلا وفعلها؛ لأنه يعلم تماماً أنّ إحياء ذكره هو إحياء دين الله وحاكميته؛ الهدف الذي ثار الحسين لأجله، فكان عليه السلام يرى ضرورة إبقاء هدف ثورة الحسين وقّاداً في نفوس المؤمنين.

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣ / ٢٨٢.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢٠٤.

ومن مظاهر إحياء ذكر الحسين التي قام بها:

١- إحياء مآتم الحسين صلوات الله عليه، فقد كان يعد الطعام بنفسه للمآتم:

(عن عمر بن علي بن الحسين، قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح وكن لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم) [١].

٢- حثّه على البكاء على الحسين صلوات الله عليه:

(عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيما مؤمن من دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، و أيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه فيما مسّنا من الأذى من عدونا في الدنيا بوأه الله منزل صدق، و أيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة أو أذى فينا صرف الله من وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النار) [٢].

٣- حثّه على زيارة الحسين صلوات الله عليه:

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، والحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قالا: من أحب ان يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في النصف من شعبان، فان أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته، فيؤذن لهم، منهم خمسة أولوا العزم من الرسل، قلنا: من هم، قال: نوح و إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ...) [٣].

١- المحاسن، البرقي: ٢ / ٤٢٠؛ وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣ / ٢٣٨.

٢- ثواب الأعمال، الصدوق: ٨٣.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٣٣٣ – ٣٣٤.

(عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله عليه السلام أحياناً؟ فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك، فقال عليه السلام لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا، وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إنّ ذلك لكذلك، فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك يقولها ثلاثاً و أقولها ثلاثاً، فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون. .....)، ثم ذكر له خبر أم أيمن الذي أخبرته به عمته زينب عليها السلام [1].

٤- اتخذ الإمام علي بن الحسين عليه السلام، بعد شهادة أبيه، بيتاً من الشعر في البادية خارج المدينة وسكن فيه فترة، كان خلالها يزور أباه الحسين صلوات الله عليه، ورافقه ابنه الباقر عليه السلام في إحدى المرات:

(عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام قد اتخذ منزله من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي عليهما السلام بيتاً من شعر و أقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين كراهية لمخالطته الناس وملابستهم وكان يسير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجدّه عليهما السلام، ولا يشعر بذلك من فعله.

قال محمد بن علي: فخرج سلام الله عليه متوجهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام و أنا معه، وليس معنا ذو روح إلا الناقتين، فلما انتهى إلى النجف من بلاد الكوفة، وصار إلى مكانه منه، فبكا حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته، أشهد لقد جاهدت يا أمير المؤمنين في الله حق جهاده، وعملت بكتابه، و اتبعت سنن نبيه صلى الله عليه وآله، حتى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره لك كريم ثو ابه، وألزم أعداءك الحجة مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه.

١- انظر: العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٣٦١ – ٣٦٦.

اللهم صل على محمد وآله واجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، مولعة بذكرك ودعائك، محبة لصفوة أوليائك، محبوبة في أرضك وسمائك، صابرة على نزول بلائك، شاكرة لفواضل نعمائك، ذاكرة لسوابغ آلائك، مشتاقة إلى فرحة لقائك، متزودة التقوى ليوم جزائك، مستنّة بسنن أوليائك، مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك. .....

قال جابر: قال لي الباقر عليه السلام: ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند قبر أحد من الأئمة عليهم السلام إلا رفع دعاؤه في درج من نور وطبع عليه بخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وكان محفوظاً كذلك حتى يسلم إلى قائم آل محمد عليهم السلام، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إن شاء الله.

قال جابر: حدثت به أبا عبد الله جعفر بن محمد بن محمد عليهما السلام وقال لي: زد فيه إذا ودعت أحداً منهم فقل: السلام عليك أيها الامام ورحمة الله وبركاته، استودعك الله وعليك السلام ورحمة الله، آمنا بالرسول وبما جئتم به وبما دعوتم إليه، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي وليك، اللهم لا تحرمني ثواب مزاره الذي أوجبت له ويسّر لنا العود إليه إن شاء الله) [1].

٥- الإمام زين العابدين عليه السلام خصَّ بعض الطالبيين بالعناية دون سواهم بسبب موقفهم الإيجابي من نصرة الحسين صلوات الله عليه، ولا شك أنّ فعل الإمام المعصوم له حكمة وغاية وهدف ولم يكن منطلقاً من دافع شخصي (وحاشاه)، بقدر ما كان مستنداً إلى علمه بأنّ نصرة الحسين هي أساس الدين الإلهي، وهي ميزان التفاضل المقبول والمرضي لله سبحانه:

١- إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٢٧٣ – ٢٧٥.

(وكان علي بن الحسين عليهما السلام يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام فأرقُّ لهم) [١].

ولما وصله المختار رضوان الله عليه بالخمس والصلة، بنى لهم دورهم التي هدمها الأمويون لعنهم الله بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه [٢]:

(عن عمر بن علي عليه السلام: إن المختار أرسل إلى علي بن الحسين عليهما السلام عشرين ألف دينار فقبلها وبنى منها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت) [٣].

موقفه من ثورات الثأر:

في خاتمة بحث ثورة المختار الثقفي رضوان الله عليه [٤] بحثنا مسألة شرعية ثورات الثأر (ثورة التوابين، ثورة المختار) التي طالبت بدم الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه، وعرفنا بالتفصيل تأييد الإمام زين العابدين عليه السلام لها ومنح قادتها الإذن الشرعي للقيام بأخذ ثأر الإمام الحسين صلوات الله عليه من قاتليه. وفعلاً، أتت ثورة المختار بالنتيجة المرجوة و اقتص رحمه الله من آلاف المشتركين بقتل الحسين الشهيد وأهل بيته، منهم: ابن زياد و ابن نمير و ابن سعد وشمر وحرملة وخولي وغيرهم، وكان يبعث برؤوسهم إلى الإمام السجاد ويسجد لله شكراً ويدعو للمختار بخير، كما تقدم.

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢١٤.

٢- قال أبو الفرج الأصفهاني: (لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولّى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته؛ ... وخرج الحسين رضي اللّه تعالى عنه وعبد اللّه بن الزبير؛ فقال له عمرو: اهدم دور بني هاشم وآل الزبير؛ فقال: لا أفعل، فقال: انتفخ سحرك يا بن أمّ حريث! ألق سيفنا! فألقاه ولحق بابن الزبير. وولّى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كلّ مبلغ) الأغاني: ٥ / ٥٢؛ الأعلام، الزركلي: ٧ / ٢٤٨.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٢؛ ذوب النضار، ابن نما: ٦٦.

٤- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – ثورة المختار الثقفي: "شرعية ثورات الثأر".

شيء من سيرة الإمام زين العابدين(ع):

لما كان لقبه الذي خصّه به جده الرسول صلى الله عليه وآله "زين العابدين"، فأكيد أنّ الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه عرف بكثرة العبادة، بشكل دعا إحدى عمّاته أن تطلب من جابر بن عبد الأنصاري أن يكلّمه ليرأف بنفسه:

(عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: أنّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة، أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري، فقالت له: يا صاحب رسول الله، إنّ لنا عليكم حقوقاً، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين، قد انخرم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأباً منه لنفسه في العبادة. فأتى جابر بن عبد الله باب علي بن الحسين عليهما السلام، وبالباب أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام في أغيلمة من بني هاشم قد اجتمعوا هناك، فنظر جابر إليه مقبلاً، فقال: هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيته، فمن أنت يا غلام؟ قال: فقال: أنا محمد بن علي بن الحسين، فبكى جابر بن عبد الله رضي الله عنه. ثم قال: أنت والله الباقر عن العلم حقاً، ادن مني بأبي أنت وأمي، فدنا منه فحل جابر أزراره ووضع يده في صدره فقبله، وجعل عليه خده ووجهه، وقال له: أقرئك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله السلام، وقد أمرني أن أفعل بك ما فعلت، وقال لي: يوشك أن تعيش وتبقى حتى تلقى من ولدي من اسمه محمد يبقر العلم بقراً. وقال لي: إنك تبقى حتى تعمى ثم يكشف لك عن بصرك.

ثم قال لي: ائذن لي على أبيك، فدخل أبو جعفر على أبيه فأخبره الخبر، وقال: إن شيخاً بالباب، وقد فعل بي كيت وكيت، فقال: يا بني ذلك جابر بن عبد الله. ثم قال: أمن بين ولدان أهلك قال لك ما قال وفعل بك ما فعل؟ قال: نعم إنا لله، إنه لم يقصدك فيه بسوء، ولقد أشاط بدمك [1].

١- أشاط بدمك: أي كاد أن يهلكك.

ثم أذن لجابر، فدخل عليه فوجده في محرابه، قد أنضته العبادة، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالا حفياً، ثم أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا بن رسول الله، أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ قال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبد - بأبي هو وأمي - حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: أفلا أكون عبدا شكوراً.

فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليهما السلام وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا بن رسول الله، البقيا على نفسك، فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللاواء، وبهم تستمطر السماء.

فقال: يا جابر، لا أزال على منهاج أبوي مؤتسيا بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما؟ فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، والله لذرية علي بن الحسين عليهما السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً) [1].

عدم رضا الإمام زين العابدين بفعل جابر الأنصاري مع الباقر عليه السلام بالعلن وقوله: "أشاط بدمك"؛ بالتأكيد كان سببه الخوف على ولده من حسد أقرانه له، والأهم من ذلك الخوف عليه من أذى بني أمية إذا ما علموا بأنه الإمام من آل محمد عليهم السلام وبلغهم عظيم شأنه ومقامه!

١- الأمالي، الطوسي: ٦٣٦ – ٦٣٧.

يقول السيد أحمد الحسن، تعليقاً على الحادثة:

(إنّ الامام زين العابدين خاف على الإمام الباقر أن يُعرف أمره ويشتهر بين الناس أنه الإمام من آل محمد فيغتاله خلفاء بني أمية ومن لفَّ لفهم أو يقصدوه بأذى، وهذا في نفس معنى روايات "كتم سر الأئمة".

خوف الإمام زين العابدين على الباقر من فعل جابر في العلن من إشهار شأن إمامته يوضح أيضاً حجم الخطر المحيط بالإمامين علي بن الحسين ومحمد بن علي عليهما السلام في تلك الفترة، وبالتالي يوضح لماذا وصل الأمر أنه حتى زيد بن علي كان يناقش في أمر إمامتهما مع الصادق عليه السلام) انتهى [١].

ملاحظتان:

١- روايات كتم أو حفظ سر الأئمة عليهم السلام وعدم إذاعته ونشره تقدم بيان السيد أحمد الحسن لمعناها والغاية منها فيما مضى من بحوث، وخلاصته: أنّ الأئمة عليهم السلام نهوا شيعتهم عن كشف سرهم "بيان مصداق الإمامة" لأعدائهم بحيث يعرضون حياة الإمام المعصوم للخطر [٢].
٢- نقاش زيد مع الإمام الصادق في أمر إمامة أبيه وأخيه عليهما السلام، أشارت له بعض الروايات، وقد مر بعضها عند استعراض ثورة زيد الشهيد [٣].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – بحث: "شرعية ثورات الثار".

٣- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – ثورة زيد الشهيد. وهذه إحدى الروايات التي تذكر نقاشاً حصل بين زيد وبين مؤمن الطاق بحضور وإقرار الإمام الصادق عليه السلام لكلام مؤمن الطاق: (عن أبي مالك الأحمسي، قال: حدثني مؤمن الطاق واسمه محمد بن علي بن النعمان أبو جعفر الأحول، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زيد بن علي فقال لي: يا محمد أنت الذي تزعم أن في آل محمد إماما مفترض الطاعة معروفا بعينه؟ قال: قلت نعم كان أبوك أحدهم. قال: ويحك فما كان يمنعه من أن يقول لي فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدني على فخذه ويتناول البضعة فيبردها ثم يلقمنها، أفتراه كان يشفق علي من حر الطعام ولا يشفق علي من حر النار؟ قال: قلت كره أن يقول لك فتكفر، فيجب من الله عليك الوعيد، ولا يكون له فيك شفاعة، فتركك مرجئ فيك لله المشية وله فيك الشفاعة) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٤٢٥ – ٤٢٦.

و أيضاً: هذه صفة الإمام زين العابدين كما وصفه ولده الباقر عليه السلام:

(عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام كانت له خمس مائة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين، وكان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً، ولقد صلى ذات يوم فسقط الرداء عن إحدى منكبيه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت، إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه، فقال الرجل: هلكنا فقال: كلا إن الله عز وجل متمم ذلك بالنوافل، وكان عليه السلام ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليهما السلام، ولما وضع عليه السلام على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين، ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشتري الخز في الشتاء، فإذا جاء الصيف باعه فتصدق بثمنه، ولقد نظر عليه السلام يوم عرفة إلى قوم يسألون الناس، فقال: ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكونوا سعداء ولقد كان عليه السلام يأبى أن يؤاكل أمه فقيل له: يا ابن رسول الله أنت أبر الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تؤاكل أمك؟ فقال: إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه، ولقد قال له عليه السلام رجل: يا ابن رسول الله إني لأحبك في الله حباً شديداً فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب لك و أنت لي مبغض، ولقد حج على ناقة له عشرين حجة فما قرعها بسوط، فلما توفت أمر بدفنها لئلا تأكلها السباع، ولقد سئلت عنه مولاة له فقالت: أطنب أو أختصر؟ فقيل لها: بل اختصري، فقالت: ما أتيته بطعام نهارا قط وما فرشت له فراشا بليل قط، ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم فقال: إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم، فكان عليه السلام إذا جاءه طالب علم فقال: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج

من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة، ولقد كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمني والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده ومن كان له منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله، ولقد كان يسقط منه كل سنة سبع ثفتات من مواضع سجوده لكثرة صلاته، وكان يجمعها فلما مات دفنت معه.

ولقد كان بكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن تنقضي؟! فقال له: ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله عنه واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيا في الدنيا و أنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني) [١].

كان معروف عنه أنه إذا توضأ اصفر لونه، وإذا قام للصلاة أخذته رعدة [٢]، ويمكن تلمّس شيء من معرفته بالله في أدعيته الشريفة التي جمعها ولده عليهم السلام وأسميت بـ"الصحيفة السجادية". و أيضاً: له "رسالة الحقوق" التي تتضمن خارطة طريق توضح علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وبالناس.

مرَّ الامام عليه السلام يوماً: (برجل وهو قاعد على باب رجل فقال له: ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء. قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه، وإلى رب خير لك منه، فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: استقبل القبلة وصلِّ ركعتين ثم ارفع يديك إلى الله عز وجل فأثن (على الله) وصلِّ

١- الخصال، الصدوق: ٥١٧ – ٥١٩.

٢- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٣٩٢.

على رسوله صلى الله عليه وآله ثم ادع بآخر الحشر وست آيات من أول الحديد، وبالآيتين (اللتين) في آل عمران، ثم سل الله سبحانه فإنك لا تسأل شيئاً إلا أعطاك) [١].

شملت رحمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام حتى الحيوان، فما كان يضرب به إطلاقاً، فقد حج – كما ذكر ابنه الباقر عليه السلام – على ناقة له اثنين وعشرة حجة وما ضربها بيده قط:

(عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان لعلي بن الحسين عليه السلام ناقة، حج عليها اثنتين وعشرين حجة، ما قرعها قرعة قط، قال: فجاءت بعد موته وما شعرنا بها إلا وقد جاء ني بعض خدمنا أو بعض الموالي، فقال: إنّ الناقة قد خرجت فأتت قبر علي بن الحسين فانبركت عليه، فدلكت بجرانها القبر وهي ترغو، فقلت: أدركوها أدركوها وجيئوني بها قبل أن يعلموا بها أو يروها، قال: وما كانت رأت القبر قط) [٢].

وهذه شهادة بعض المسلمين (السنة) فيه:

- (قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان، قال: هل رأيت علي بن الحسين قال: لا، قال: ما رأيت أحداً أورع منه) [٣].
- (قال الزهري: لم أرَ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين وما رأيت أحداً كان أفقه منه) [٤].
- (عن سفيان بن عيينة قال: قلت للزهري لقيت علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: نعم لقيته وما لقيت أحد أفضل منه والله ما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية فقيل له وكيف ذلك؟ قال: لأني لم أر أحداً وإن كان يحبه إلا وهو

١- الدعوات، الراوندي: ٥٥.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٧. "بجرانها": أي بباطن عنقها.

٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٧٦.

٤- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي: ٤٢٠.

لشدة معرفته بفضله يحسده ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه) [١].

- (نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم) [٢].
- (عن أبي جعفر أن أباه علي بن حسين قاسم الله ماله مرتين وقال إنّ الله يحب المؤمن المذنب التواب) [٣].
- (سفيان بن عيينة قال: حج علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه و انتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له ما لك لا تلبي فقال أخشى أن أقول لبيك فيقول لي لا لبيك فقيل له لا بد من هذا قال فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه) [٤].
- (علي بن الحسين لما مات فغسلوه وجدوا على ظهره مجلاً مما كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل، ومما كان يحمل إلى بيوت المساكين من جرب الطعام) [٥].
- (وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبّه رجل فتغافل عنه فقال له إياك أعني فقال وعنك أعرض) [٦].
- (عن أبي حمزة الثمالي، أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب) [٧].

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٣٠ – ٢٣١.

٢- فتح الباري، ابن حجر: ١١ / ١٩١.

٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٨٣.

٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٧٨.

٥- ربيع الأبرار، الزمخشري: ٢ / ١٤٩؛ باب العمل والكد. مجلاً: أي موضع خشن.

٦- الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٢٠١.

٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٣٩٣.

يقول الذهبي: (وكان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله. قد اشتهرت قصيدة الفرزدق - وهي سماعنا - أن هشام بن عبد الملك حج قبيل ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه، وإذا دنا علي بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالاً له، فوجم لها هشام وقال: من هذا؟ فما أعرفه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
يغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّم إلا حين يبتسمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

وهي قصيدة طويلة. قال: فأمر هشام بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان، وبعث إليه علي بن الحسين باثني عشر ألف درهم وقال: اعذر أبا فراس. فردها وقال: ما قلت ذلك إلا غضبا لله ولرسوله. فردها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها، فقد علم الله نيتك ورأى مكانك. فقبلها) [1].

سجن الطاغية هشام بن عبد الملك للفرزدق يوضح مدى بغض الأمويين لآل محمد عليهم السلام بحيث إنهم لا يطيقون سماع أحد يجهر بمدحهم!

يقول السيد أحمد الحسن، تعليقاً على حادثة سجن هشام للفرزدق:

(واضح أنّ خلفاء بني أمية لم يكونوا يتحمّلون أن يمدح أحد الإمام علي بن الحسين عليه السلام فسجنوا الفرزدق، فكيف لو اشتهر بين الناس إمامة زين العابدين!

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٣٩٨ – ٣٩٩.

هذه الحادثة أيضاً تبين لماذا كان الأئمة صلوات الله عليهم يحثّون على كتم سرهم) انتهى [١].

رسالة الإمام زين العابدين(ع):

صحيح أنّ المطلوب من الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو الصمت والإطراق كما ذكرت وصية الخواتيم المتقدمة؛ حفظاً له من القتل وإتماماً لرسالة الله كما بيّنا، لكن هذا لا يعني أنه لم ينتهز أي فرصة يراها مناسبة لبيان الحق والدفاع عن دين الله المرضي:

هداية الأمة المؤمنة لدين اللّه الحق:

تحدثنا سابقاً عن الانتكاسة الكبيرة التي مرت بها الأمة (أعني هنا: شيعة ومحبي آل محمد بالخصوص) أثناء ثورة الإمام الحسين صلوات الله عليه وبعد شهادته، حتى قال الإمام الصادق عليه السلام: "ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا" [٢].

(قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر، سعيد بن المسيب ربّاه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حزن جد سعيد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام) [٣].

أيضاً: بيّنا جهود الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه الذي يكاد يكون قد بدأ مع الأمة من الصفر تقريباً، فصحّح عقيدة عمّه ابن الحنفية، ثم عقيدة المختار الثقفي الذي ساهم بنشر الدين الحق وإمامة زين العابدين في الكوفة والعراق عموماً، ومنح عليه

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الاختصاص، المفيد: ٦٤.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٣٣.

السلام ثورات الثأربقيادة سليمان بن صرد والمختار الثقفي الشرعية الدينية التي استحق المقتولون فيها وسام الشهادة رفيع القدر.

ازداد عدد المؤمنين بالحق شيئاً فشيئاً ببركة جهود الإمام السجاد عليه السلام، وقام بما أمكنه من تربية جيل من المؤمنين الذين نقلوا عنه دين الله المرضي، منهم: حكيم بن جبيربن مطعم، يحيى بن أم الطويل (أخو الإمام من الرضاعة)، سعيد بن المسيب، سعيد بن جبير، جابربن عبد الله الأنصاري، أبو خالد الكابلي، أبو حمزة الثمالي، وغيرهم.

بدأ الإمام برو اية الأحاديث – لحواريه – في إمامة الأئمة من آل محمد عليهم السلام، وبيّن أنهم – بالتحديد – في ولد الحسين وعقبه إلى يوم القيامة، وبشّرهم بالمهدي والقائم عليه السلام وذكر لهم غيبته:

(عن ثابت الثمالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال: فينا نزلت هذه الآية: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" وفينا نزلت هذه الآية: "وجعلها كلمة باقية في عقبه" والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى يوم القيامة. وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، أما الأولى فستة أيام، أو ستة أشهر، أو ستة سنين. وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الامر أكثر من يقول به فلا يثبت عليه إلا من قوى يقينه وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجا مما قضينا، وسلم لنا أهل البيت) [١].

وقف الإمام علي بن الحسين عليه السلام بالضد من بعض الأفكاروالعقائد الباطلة كمسألة رؤية الله والتشبيه والتجسيم والإرجاء التي راجت في زمن الأمويين، وكذلك بيّن بطلان بعض الأفكار المادية التي يطرحها بعض الفلاسفة والدهرية، وكان يحاور الجميع ويجيب من سأل بما اقتضته حكمته بالتأكيد، وكان لديه حوارات عديدة مع شخصيات إسلامية كبار، مثل: الشبلي والحسن البصري ورابعة العدوية و ابن المبارك ومالك بن

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٣ – ٣٢٤.

ديناروغيرهم، في مسائل دينية مختلفة، حجة الإمام فيها واضحة وكعبه عالٍ دائماً، وقد نقل كثيرمن المؤرخين تلك الحوارات [١].

دفاعه عن علي وفاطمة صلوات اللّه عليهما:

من طالع البحوث المتقدمة من "يوم الحسين" يعرف أنّ الإساءة لآل محمد صلوات الله عليهم أو الإنقاص من مقامهم هو أساس ترتكزعليه السياسة الشيطانية لبني أمية بل عموم الممجّدين للخلافة القرشية؛ حيث أغروا أبواق مأجورة وثلة من الكذابين لرواية بعض الإساءات لأمير المؤمنين والسيدة فاطمة عليها السلام وتفضيل غيرهم عليهم، وكان للإمام علي بن الحسين موقف حازم من هذه الإساءات، فمثلاً: روى عروة ابن الزبيررواية نسبها لعائشة بخصوص تعرّض زينب بنت السيدة خديجة عليها السلام لأذى من أحد طغاة قريش (هباربن الأسود) بسبب قربها للرسول، حيث أرعبها وأدماها وأسقطت ما في بطنها، فأرسل الرسول زيد بن حارثة ليأتيه بها من مكة، وتمكن زيد من التواصل مع زينب وجاء بها إلى الرسول بالمدينة.

يكمل عروة روايته، يقول: (حتى أتت فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هي أفضل بناتي أصيبت فيّ، فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدثه تنتقص فيه حق فاطمة! فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقاً هو لها وأما بعد فلك أن لا أحدث به أبداً قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) [٢].

١- ممّا جرى بين الإمام علي بن الحسين عليه السلام وبين الحسن البصري الذي عينته السلطات الأموية واعظاً وقاصّاً في المسجد الحرام على الطريقة الأموية بالتأكيد، فحج الإمام ورآه يلهي الناس عن الطوف: (وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهويقص عند الحجرفقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا، قال: فثم دارللعمل غيرهذه الدار؟ قال: لا، قال: فلله في أرضه معاذ غيرهذا البيت؟ قال: لا، قال: فلِمَ تشغل الناس عن الطواف! ثم مضى، قال الحسن: ما دخل مسامعي مثل هذه الكلمات من أحد قط أتعرفون هذا الرجل؟ قالوا: هذا زين العابدين، فقال الحسن: ذرية بعضها من بعض) الأمالي، المرتضى: ١ / ١١٣.

٢- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٢٠٠ – ٢٠١؛ قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

و أيضاً: روى الكابلي موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من مسألة تفضيل الثلاثة على أمير المؤمنين صلوات الله عليه؛ إذ راجت في ذلك الوقت:

(عن أبي خالد الكابلي، قال: قيل لسيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: إنّ الناس يقولون: إنّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي عليه السلام قال: فما يصنعون بخبر رواه سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فمن كان في زمن موسى مثل هارون؟) [١].

كذلك: كان له موقف من قضية سب أمير المؤمنين صلوات الله عليه التي تبنّاها الأمويون – لعنهم الله – دهراً طويلاً: (عن عمر بن علي بن الحسين عن علي بن الحسين قال: قال مروان بن الحكم ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني علياً عن عثمان، قال قلت: فما لكم تسبّونه على المنبر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك) [٢].

الإمام زين العابدين(ع) وابن الزبير:

هلك يزيد سنة ٦٤ هـ ودب الخلاف داخل البيت الأموي بعده إلى أن آلت الأمور إلى مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بعده، لكن بقي ابن الزبير معلناً لإمارته على الحجاز والعراق حتى انتزعها منه سنة ٧٣ هـ إثر مقتله على يد الحجاج الثقفي كما عرفنا سابقاً.

سعى الإمام زين العابدين إلى تحاشي ابن الزبير في السنوات التسع التي حكم فيها المدينة؛ لعلمه بشدة عدائه وبغضه لآل محمد، حتى بلغ به الحال أن ترك الصلاة على الرسول في خطبته؛ لئلا يرفع أهل بيته رؤوسهم إذا سمعوا به؛ بحسب زعمه [٣]!

١- معاني الأخبار، الصدوق: ٧٤.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٢ / ٤٣٨.

٣- قال اليعقوبي: (وتحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٦١.

لذلك، كان الإمام يتجنب شرّه: (عن أبي حمزة الثمالي قال: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أصوّت فقعدت حتى خرج فسلّمت عليه ودعوت له فرد علي السلام ودعا لي ثم انتهى إلى حائط له فقال: يا أبا حمزة ترى هذا الحائط قلت: بلى يا ابن رسول الله، فقال: إني اتكأت عليه يوماً و أنا حزين فإذا رجل حسن الوجه والثياب ينظر في تجاه وجهي وثم قال: يا علي بن الحسين ما لي أراك كئيباً حزيناً أعلى الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر، فقلت: ما عليها أحزن كما تقول فقال: أعلى الآخرة هو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، قلت: ما على هذا أحزن لأنه كما تقول، قال: فما حزنك يا علي يا ابن الحسين؟ قلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير، قال لي: يا علي هل رأيت أحداً سأل الله تعالى فلم يعطه؟ قلت: لا، قال: فخاف الله فلم يكفه؟ قلت: لا، ثم غاب عني فيقول لي يا علي هذا الخضر عليه السلام ناجاك) [1].

كان عليه السلام يتحمّل سب الزبيريين له: (وقال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع فيه، فأعرض الزبيري عنه، ثم دار كلام فسب الزبيريّ عليّ بن الحسين فلم يجبه، فقال له الزبيري: ما يمنعك من جو ابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل) [2].

الإمام زين العابدين عليه السلام، لا تعني له الدنيا والحياة شيئاً، بل فراق هؤلاء (زبيريين كانوا أو أمويين أو غيرهم من المنحرفين والمبغضين) كان أريح له من البقاء معهم في دنيا أُعطوها! ما يعني الإمام حقيقة هو أنه كان مكلّفاً برسالة إلهية يريد إنجازها و إتمامها، بما في ذلك إعداد من يخلفه في الإمامة؛ لئلا تخلو الأرض من حجة لله، لذا رأينا عدم رضاه بتصريح جابر الأنصاري بمقام ولده محمد الباقر عليه السلام أمام الناس!

لذلك، كان الإمام في تلك الفترة يقيم – في أحيان كثيرة – في البادية خارج المدينة.

وقال ابن أبي الحديد: (ومن المنحرفين عنه (علي عليه السلام)، المبغضين له عبد الله بن الزبير، وقد ذكرناه آنفا، كان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، فأفسده. وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب، وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سبابا فاحشا، يبغض بني هاشم، ويلعن يسب علي بن أبي طالب) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤ / ٧٩.

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٨٢ – ٣٨٣؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٢ / ٢٨٩.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٦ / ١٠١.

الإمام زين العابدين(ع) وبني أمية:

بعد هلاك يزيد لعنه الله، عاصر الإمام علي بن الحسين عليه السلام ثلاثة من حكام بني أمية، هم: مروان بن الحكم (حكم أشهر، وهلك سنة ٦٥ هـ)، ثم عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ)، ثم الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ).

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه تنبّأ بملك مروان وبنيه، فقال: (... أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر) [١].

وذكر بعض المؤرخين عن عبد الملك بن مروان وبنيه (الوليد وسليمان ويزيد وهشام)، أنهم أكثر من ملكوا من الأمويين، قال: (قيل: إنّ عبد الملك رأى في نومه أنه بال في محراب النبي صلى الله عليه وسلم أربع بولات فأوّله المعبرون بأنه يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة فكان كذلك) [٢].

الإمام(ع) وعبد الملك بن مروان:

لاقى الإمام زين العابدين عليه السلام من عبد الملك أذىً شديداً، وكان واليه على المدينة (هشام بن إسماعيل) يمعن في أذى الإمام، حتى إنه لما عُزل خشي من ردة فعل الإمام، لكنه عليه السلام قابله بما جعل هذا الخبيث ينبهر من عظمة أخلاقه ويقول: "الله أعلم حيث يجعل رسالته"!

عن عمر بن علي بن أبي طالب: (كان هشام بن إسماعيل يسئ جوارنا ويؤذينا ولقى منه علي بن الحسين أذى شديداً فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال: ما أخاف

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام / خطبة ٧٣، تحقيق: صبحي الصالح.

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن الأتابكي: ٦ / ٢٠. و أيضاً: ذكر ذلك الذهبي: (قال مصعب الزبيري: زعموا أنّ عبد الملك رأى أنه بال في المحراب أربع مرات، فدس من سأل ابن المسيب عنها، فقال: يملك من ولده لصلبه أربعة) سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٥١ – ٣٥٢. والملاحظ أنّ الذهبي - كعادته - موّه "المحراب" ولم يصرّح بأنه محراب النبي؛ لتعصّبه الأموي المعروف فأراد أن يخفف الأمر.

إلا من علي بن الحسين، فمرَّ به علي وقد وقف عند دار مروان وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل الله أعلم حيث يجعل رسالته) [١].

روى ابن شهاب الزهري: (وجّه عبد الملك بن مروان رسلاً في حمل علي بن الحسين فوجدوه بمكة، فحملوه مكبّلاً بالحديد ومنع الناس أن يدخلوا عليه.

قال ابن شهاب: فأذنت عليه، فصرفني البوّابون من عند عبد الملك فأذنوا لي، فدخلت عليه الحبس وجعلت أتوجع له و أقول له: يعز عليّ يا ابن رسول الله أن أراك على مثل هذه الحالة، فلما رأى شدة حزني وبكائي، قال: يا زهري، لا تجزع إنّ هذا الحديد لا يؤذيني، ثم نزعه من رجله ووضعه بين يدي، وقال: لست أجوز معهم ذات عرق.

قال: ثم مضوا به محمولاً، فما لبثنا بعد ذلك إلا أربعة أيام حتى [أتت] رسل عبد الملك يسألون عن علي بن الحسين وقد فقدوه، فقلت كيف كان أمره؟ قالوا: لما نزلنا ذات عرق فبتنا بها ليلتنا تلك فلما أصبحنا وجدنا حديده وفقدناه.

قال ابن شهاب: فقدمت بعد ذلك بأسبوع على عبد الملك وهو بالشام فسألني عن علي بن الحسين، فقلت: أنت أعلم به مني، فقال: إنه قدم عليّ في اليوم الَّذي فقده فيه أصحابي بذات عرق فدخل عليّ من هذا الباب فقال: ما أنا و أنت، فقلت: أريد أن تقيم عندي...) [٢].

قال ابن حجر بعد نقل رواية الزهري: (أي ومن ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سراً في حقنا بني عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك وأرسل به

١- تاريخ الطبري: ٥ / ٢١٧.

٢- إلى هنا انتهى ما ذكره ابن الجوزي من رواية الزهري وسقط آخرها، انظر: المنتظم في أخبار الملوك والأمم: ٦ / ٣٣٠ – ٣٣١. وتتمة رواية الزهري هي: (فقال ما أنا و أنت فقلت أقم عندي فقال: لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة) الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٢٠٠.

إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه مو افقاً لتاريخ كتابه للحجاج ووجد مخرج الغلام مو افقاً لمخرج رسوله للحجاج فعلم أنّ زين العابدين كوشف بأمره فسر به) [١].

ما أشار له ابن حجر من كتابة عبد الملك للحجاج باجتناب دماء بني عبد المطلب صحيح، باعتبار أنّ الحجاج – لعنه الله – كان قد اقترح على أميره عبد الملك قتل الإمام علي بن الحسين، حيث قال له: "إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين" [٢]، فرفض عبد الملك اقتراحه وكتب إليه: "جنّبني دماء آل أبي طالب فإنّ بني حرب لما قتلوا حسيناً نزع الملك منهم" [٣].

وبالرغم من خبث الحجاج الثقفي لعنه الله وقسوة إجراءاته، إلا أنه لم يتمكن من إضعاف هيبة الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه أو إنقاص قدره ومنزلته في نفوس المسلمين، بل هو نفسه فزع إليه وطلب مساعدته في مسألة بناء الكعبة التي هدمت بسبب القتال بينه وبين ابن الزبير [٤]!

١- الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٢٠١.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٢٥٦.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٧ / ٢٣٣؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٠٤؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ١٧٠.

٤- روى الكليني بسنده: (عن أبان بن تغلب قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس ترابها فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حية فمنعت الناس البناء حتى هربوا فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد منع بناء ها فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين عليهما السلام فقال: معدن ذلك فبعث إلى علي ابن الحسين صلوات الله عليهما فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق و انتهبته كأنك ترى أنه تراث لك اصعد المنبر و أنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئا إلا رده، قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شئ إلا رده قال: فردوه فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين صلوات الله عليهما فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا قال: فتغيبت عنهم الحية وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين عليهما السلام: تنحوا فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناء كم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج) الكافي: ٤ / ٢٢٢.

ثم إنّ تعامل عبد الملك مع الإمام زين العابدين لم يكن بوتيرة واحدة، ففي فترة من ملكه خفّف من ضغطه على الإمام، وربما كان ذلك بتوسّط من الزهري الذي كانت تربطه بالإمام صحبة قبل تعيينه في البلاط الأموي لاحقاً، كما سنعرف:

(عن الزهري، قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين، فقال: يا أبا محمد لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، و أنت بضعة من رسول الله، قريب النسب، وكيد السبب، و إنك لذو فضل على أهل بيتك، وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك، إلا من مضى من سلفك. و أقبل عبد الملك يثني عليه ويقرظه.

قال: فقال علي بن الحسين: "كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى يوم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أكون عبدا شكوراً. الحمد لله على ما أولى و أبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تقطعت أعضائي، وسالت مقلتاي على صدري، لن أقوم لله عزوجل بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شئ عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية. ولولا أن لأهلي علي حقاً، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثم لم أردهما، حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين".

وبكى عليه السلام، وبكى عبد الملك وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين أجابته، ما له في الآخرة من خلاق، ثم أقبل يسأله عن حاجاته، وعما قصد له، فشفعه فيمن شفع، ووصله بمال) [1].

١- فتح الأبواب، ابن طاووس: ١٧٠ – ١٧١.

مع هذا، وضع عبد الملك عيناً له بالمدينة لمراقبة تحركات الإمام زين العابدين عليه السلام بدقة، حتى إنه عليه السلام أعتق جارية له ثم تزوجها فبلغ عبد الملك الخبر فكتب إلى الإمام:

(أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليهما السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد و أنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقا في مجد ولا مستزاد في كرم و إنما كانت ملك يميني خرجت متي أراد الله عزوجل مني بأمر ألتمس به ثو ابه ثم ارتجعتها على سنة ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شئ من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرء مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين عليهما السلام فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر إنّ علي بن الحسين عليهما السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس) [١].

سك أول عملة في الإسلام:

في أيام عبد الملك، وتحديداً في سنة ٧٦ هـ [٢]، كانت قد حدثت مشكلة بينه وبين ملك الروم بخصوص الشعار المنقوش على الورق والعملة وبعض البضائع كالملابس والأواني ونحوها، وهي بمثابة "الماركة" بعرفنا اليوم، حيث كان الشعار والطراز (الشكل والتصميم) يتضمن: "اسم الاب والابن وروح القدس"، فأمر عبد الملك برفعه ووضع سورة التوحيد بدلاً عنه، فأصدر أوامره لواليه على مصر وغيرها بالعمل على ذلك ووضع عقوبة لمن

١- الكافي، الكليني: ٥ / ٣٤٤ – ٣٤٥.

٢- انظر: التمهيد، ابن عبد البر: ٢٢ / ١٧٠.

تخلّف أي استمر بوضع شعار الروم. وعموماً، بلغ ملك الروم ما فعله عبد الملك فأرسل له هدية ثمينة يستميله بها ويحثه على العودة لوضع الشعار الرومي، لكنه رفض فضاعف له الهدية فلم يقبل أيضاً، وفي الثالثة توعّده بنقش شتم الرسول صلى الله عليه وآله في العملة (الدينار الرومي) إن أصر على قراره. ومن المعلوم أنّ بلاد المسلمين كانت تتعامل بالعملة الرومية أو العملة الكسروية، ومسألة انتشار عملة – يتعامل بها المسلمون – تحمل إساءة للنبي صلى الله عليه وآله يتسبب بحرج كبير لبني أمية بطبيعة الحال؛ لا سيما وأنّ السبب في ذلك عبد الملك!

ومهما يكن، فقد ضاقت الأرض بعبد الملك لما بلغه كتاب ملك الروم وتهديده، ولم يدرِ ماذا يصنع، وقال: (أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له روح بن زنباع: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال: ويحك من؟ فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي صلى اللَّه عليه وسلم! قال: صدقت .....).

وفعلاً، أرسل على الإمام الباقر عليه السلام طالباً نصحه ومشورته، فذكر له ابتداءً أنّ ملك الروم لا ينفّذ تهديده، ثم أشار عليه بسك الدنانير والدراهم الإسلامية وبيّن له طريقة وكيفية ذلك وحدّد وزن كل منهما وما يوضع في الوجهين من نقش إلى غير ذلك من تفاصيل تتطلبها مسألة سك عملة رسمية موحدة لبلاد المسلمين، ثم أمره بأن يكتب لجميع بلدان المسلمين بالتعامل بها و إبطال التعامل بغيرها، وبذلك تمكّن الإمام من حل مشكلة عويصة تمس حياة المسلمين ومعاشهم بالصميم.

هذا باختصار ما ذكره هارون الرشيد ورواه عنه الكسائي، والرواية (بصاحبها وراويها) غير متهمة بطبيعة الحال، ثم ختم هارون روايته في سك أول عملة في بلاد المسلمين فقال: (وردَّ (عبد الملك) رسول ملك الروم إليه بذلك بقوله: إن اللَّه عزوجل مانعك مما قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا، وبإبطال السكك والطروز الرومية. فقيل لملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب، فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأني كنت قادرا عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا

أفعل، لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام، وامتنع من الذي قال. وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه إلى اليوم) [١].

مسألة سك عملة واستبدال حالية (جاري التعامل بها) بجديدة ليس بالأمر السهل بالتأكيد، ويتطلب حسابات اقتصادية دقيقة جداً؛ لأن التقييم المالي للسلع والمواد والعقار وغير ذلك كله قائم على أساس عملة يُراد إنهاء التعامل بها واستبدالها بعملة جديدة، فالأمر متشابك وصعب، ومن لهذه الصعاب غير آل محمد صلوات الله عليهم!

كان عمر الإمام الباقر عليه السلام حين حل هذه المعضلة يقرب من العشرين عاماً. لكن لماذا يُنسب الحل له، والحال أنّ والده الإمام علي بن الحسين عليه السلام لا يزال حياً، باعتبار أنّ شهادته كانت في سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ، وهذا يعني أنّ حادثة سك العملة كانت قبل وفاته بعشرين عاماً تقريباً؟

يقول السيد أحمد الحسن: (الإمام الباقر عليه السلام كان له مجلس في المسجد النبوي في حياة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، فلا إشكال أن يتم سؤاله ويطلبون منه النصح كما كان عمر وغيره يطلب النصح من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

أيضاً: لا إشكال أن يكون الحل بمشورة الباقر عليه السلام لهم ولكنه أيضاً أستشار أباه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

كثير من الأمور التي يصعب حلّها كان بعض خلفاء بني أمية وبني العباس يرجعون فيها للأئمة عليهم السلام مباشرة أو يرسلون من يسألهم أو يعرف رأيهم فيها) انتهى [٢].

بهذا يتضح أنّ ما ينسبه بعض المؤرخين والباحثين لبني مروان ويعدّونه من بين أكبر إنجازاتهم، أعني سك أول عملة في الإسلام، هو بالحقيقة جهد و إنجاز لآل محمد صلوات

١- حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ١ / ٩٥ – ٩٧.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الله عليهم. هذه هي الحقيقة، ومن شاء أن يطلع عليها فها هي أمام ناظريه، ومن شاء أن يغطي عينيه بغربال التعصّب والهوى فهذا شأنه وما يخدع إلا نفسه!

عموماً، هلك عبد الملك سنة ٨٦ هـ، وولي ابنه الفاسق "الوليد" مكانه، وقد فاق أباه في أذى الإمام علي بن الحسين عليه السلام بأضعاف!

ملاحظة: لم يكن الإمام عليه السلام وحده ناله أذى الأمويين لعنهم الله، بل حتى خاصة أصحابه، وهذا نص ذكرهم فيه الإمام الجواد محمد بن علي عليه السلام:

قال: (أما يحيى بن أم الطويل: فكان يظهر الفتوة. وكان إذا مشى في الطريق وضع الخلوق على رأسه ويمضغ اللبان ويطول ذيله، وطلبه الحجاج فقال: تلعن أبا تراب وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله.

وأما سعيد بن المسيب فنجا، وذلك أنه كان يفتي بقول العامة، وكان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فنجا.

وأما أبو خالد الكابلي: فهرب إلى مكة وأخفى نفسه فنجا.

وأما عامر بن و اثلة: فكانت له يد عند عبد الملك بن مروان فلهى عنه.

وأما جابر بن عبد الله الأنصاري: فكان رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يتعرض له وكان شيخاً قد أسن.

وأما أبو حمزة الثمالي وفرات بن أحنف، فبقوا إلى أيام أبي عبد الله عليه السلام وبقي أبو حمزة إلى أيام أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام) [1].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٣٨ – ٣٣٩.

الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام(ع):

معروف عن الوليد بن عبد الملك استهتاره وفسقه [١]، ولك أن تتخيل أنه تزوج ٦٣ امرأة (يزوج ويطلق) خلال تسع سنين حكم فيها (أي: بمعدل سبع زوجات في السنة الواحدة) [٢]!

رووا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله تنبّأ بملكه و أنه أشر من فرعون على قومه [٣]. كان ناصبياً خبيثاً معلناً بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه [٤].

(عن الزهري كنت عند الوليد بن عبد الملك فتلا هذه الآية والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقال: نزلت في علي بن أبي طالب قال الزهري: أصلح الله الأمير ليس الأمر كذلك أخبرني عروة عن عائشة، قال: وكيف أخبرك؟ قلت: أخبرني عروة عن عائشة أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن أبي سلول) [٥].

١- ابن كثير: (عن الفراء قال تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك فلما انقضى غداهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ فقال يا أمير المؤمنين الحلال ما حللت ولكني أنهى عنه أهل عملي و أكره أن أخالف قول العبد الصالح "وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه") تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٢ / ١٥٥؛ البداية والنهاية: ٩ / ١٤٧.

٢- البلاذري: (قال المدائني: كان الوليد تزوج في خلافته ثلاثا وستين امرأة، فكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة) أنساب الأشراف: ٨ / ٦٦.

٣- روى الحاكم بسنده: (عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ولد لأخي أم سلمة غلام فسموه الوليد فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال سميتموه بأسامي فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الزهري ان استخلف الوليد ابن يزيد فهو هو وإلا فالوليد بن عبد الملك. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٤٩٤.

٤- ابن أبي الحديد: (وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا عليه السلام، فقال: لعنه "الله - بالجر - كان لص ابن لص". فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد، ومن نسبته علياً عليه السلام إلى اللصوصية وقالوا: ما ندري أيهما أعجب! وكان الوليد لحانا) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٥٨.

٥- فتح الباري، ابن حجر: ٧ / ٣٣٦.

كان الخبيث يتناول عائشة، وفي نفس الوقت يتهم علياً عليه السلام بقذفها [١]!

هلك سنة ٩٦ هـ، وألحده عمر بن عبد العزيز في قبره: (وجاء من غير وجه عن عمر (بن عبد العزيز) أنه أخبره أنه لما وضعه – يعني الوليد – في لحده ارتكض في أكفانه، وجمعت رجلاه إلى عنقه) [٢].

أقول: هذا الخبيث – لعنه الله – هو الذي أقدم على قتل الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه بالسم.

الإمام(ع) والزهري:

محمد بن شهاب الزهري، أحد أئمة أهل السنة، وبنظرهم: هو من أوائل من كتب السنة بعد رفع الحضر عنها في عهد عمر بن عبد العزيز [٣]، وأحد الرواة المعتمدين في الصحاح الستة، بل روى عنه البخاري ومسلم مئات الأحاديث في صحيحهما!

١- أما تناول عائشة: (عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك، فكأنه تناول عائشة، فقلت له: يا أمير المؤمنين! ألا أحدثك عن رجل من أهل الشام كان قد أوتي حكمة؟ قال: من هو؟ قلت: هو أبو مسلم الخولاني، وسمع أهل الشام كأنهم يتناولون من عائشة، فقال: أخبركم بمثلكم ومثل أمكم هذه، كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما، ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما، قال: فسكت) المصنف، الصنعاني: ١١ / ٤٣٣.

وأما اتهامه علياً عليه السلام أو تعريضه به: (عن الزهري قال قال لي الوليد بن عبد الملك أبلغك أنّ علياً كان فيمن قذف عائشة قلت لا ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث ان عائشة رضي الله عنها قالت لهما كان علي مسلماً في شأنها فراجعوه فلم يرجع) صحيح البخاري: ٥ / ٦٠.

٢- البداية والنهائية، ابن كثير: ٩ / ١٨٧؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٣ / ١٨١.

٣- روى ابن عبد البر بسنده عن: (سعيد بن زياد مولى الزبير قال سمعت ابن شهاب يحدث سعد بن إبراهيم أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً) جامع بيان العلم وفضله: ١ / ٧٦.

الزهري هذا كان يقول:

- "علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منّة" [١].
- "لم أرَ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين وما رأيت أحداً كان أفقه منه" [٢].

بالتأكيد، هو قال هذا نتيجة تأثره بالإمام عليه السلام من جوانب عدة (علماً وفقهاً وورعاً وعبادة وإخلاصاً وأخلاقاً ... إلخ) في الفترة التي صحبه فيها. وربما كانت بداية علاقته بالإمام أنّ الزهري صادف أن قارف ذنباً فهام على وجهه فأرشده الإمام إلى العلاج [٣].

١- تاريخ مدينة دمشق: ٤١ / ٣٩٨؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٢١٤، البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ١٢٦.

٢- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي: ٤٢٠.

٣- (قال المدائني: قارف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله. فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له: يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شئ أعظم من ذنبك، فقال الزهري: "الله أعلم حيث يجعل رسالاته" [الانعام: ١٢٤] وفي رواية أنه كان أصاب دما حراما خطأ فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله، ففعل ذلك، وكان الزهري يقول: علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منة) البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ١٢٥ – ١٢٦، وانظر أيضاً: ينابيع المودة، القندوزي: ٢ / ٤٦٨؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٨٠.

وبنفس المضمون رواه الكليني بسنده: (عن الزهري قال: كنت عاملاً لبني أمية فقتلت رجلاً فسألت علي بن الحسين عليهما السلام بعد ذلك كيف أصنع به؟ فقال: الدية أعرضها على قومه قال: فعرضت فأبوا وجهدت فأبوا فأخبرت علي بن الحسين عليهما السلام بذلك فقال: اذهب معك بنفر من قومك فأشهد عليهم قال: ففعلت فأبوا فشهدوا عليهم فرجعت إلى علي بن الحسين عليهما السلام فأخبرته قال: فخذ الدية فصرها متفرقة ثم ائت الباب في وقت الظهر أو الفجر فألقها في الدار فمن أخذ شيئا فهو يحسب لك في الدية فإن وقت الظهر والفجر ساعة يخرج فيها أهل الدار قال الزهري: ففعلت ذلك ولولا علي بن الحسين عليهما السلام لهلكت، قال: وحدثني بعض أصحابنا أن الزهري كان ضرب رجلاً به قروح فمات من ضربه) الكافي: ٧ / ٢٩٥ - ٢٩٦.

(عن هشام بن سالم، وابن بكير، وغير واحد قالوا: كان علي بن الحسين عليهما السلام في الطواف فنظر في ناحية المسجد إلى جماعة فقال: ما هذه الجماعة؟ فقالوا: هذا محمد بن شهاب الزهري اختلط عقله فليس يتكلم فأخرجه أهله لعله إذا رأى الناس أن يتكلم فلما قضى علي بن الحسين طوافه خرج حتى دنا منه فلما رآه محمد بن شهاب عرفه فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: ما لك؟ فقال: وليت ولاية فأصبت دما فقتلت رجلا فدخلني ما ترى؟ فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: لأنا عليك من يأسك من رحمة الله أشد خوفا مني عليك مما أتيت، ثم قال له: أعطهم الدية، قال: قد فعلت فأبوا فقال: اجعلها صررا ثم انظر موافيت الصلاة فألقها في دارهم) الكافي: ٧ / ٢٩٦.

تأثر الزهري بالإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً، وكان يروي عنه ويحدّث بفضله إلى درجة أنّ بعض بني مروان كانوا يقولون له لما يروه: "يا زهري، ما فعل نبيك" [١]!

كان الزهري يسأل الإمام ويتفقّه على يديه [٢].

و أيضاً: روى فضائل أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فمثلاً: روى حديث الغدير واعترف بأنّ لديه من فضائل علي عليه السلام ما لو تحدث به بالشام لقتل [٣]!

ومهما يكن، فقد استقطبه عبد الملك بن مروان وعيّنه مستشاراً في البلاط الأموي، فعاتبه الإمام عتاباً شديداً مؤلماً على قبوله العمل مع الظالمين [٤].

١- شرح الأخبار، القاضي النعمان: ٣ / ٢٥٨؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٢٩٨.

٢- (عن الزهري، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال لي يوماً: يا زهري من أين جئت؟ فقلت: من المسجد، قال: فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا أمر الصوم فاجتمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شئ واجب إلا صوم شهر رمضان فقال: يا زهري ليس كما قلتم الصوم على أربعين وجها فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان وعشرة أوجه منها صيامهن حرام وأربعة عشر منها صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر وصوم الاذن على ثلاثة أوجه وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض قلت: جعلت فداك فسرهن لي قال: .....)، ثم أخذ الإمام يفصّل له الأوجه جميعاً، ثم قال: (فهذا تفسير الصيام) الكافي، الكليني: ٤ / ٨٣ – ٨٧.

٣- روى ابن الأثير بسنده: (عن الزهري قال: سمعت سعيد بن جناب يحدث عن أبي عنفوانة المازني قال سمعت أبا جنيدة جندع بن عمرو بن مازن قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وسمعته والا صمتا يقول وقد انصرف من حجة الوداع فلما نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد علي وقال: من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال عبيد الله فقلت للزهري: لا تحدث بهذا بالشام و أنت تسمع ملء أذنيك سب علي، فقال: والله إن عندي من فضائل علي ما لو تحدثت بها لقتلت، أخرجه الثلاثة) أسد الغابة: ١ / ٣٠٨.

٤- هذا نص رسالة الإمام علي بن الحسين عليه السلام للزهري:

(كفانا الله و إياك من الفتن ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصح من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه وفقهك فيه من دينه وعرفك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله، فرضي لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كل حجة احتج بها عليك الفرض بما قضى. فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك و أبدى فيه فضله عليك فقال "لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد". فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله قابلا منك بالتعذير ولا راضيا منك بالتقصير، هيهات هيهات ليس كذلك، أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: "لتبيننه للناس ولا تكتمونه" واعلم أن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنست

وحشة الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوّك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غدا مع الخونة، وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت ممن لم يرد على أحد حقا ولم ترد باطلا حين أدناك. وأحببت من حاد الله أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطبا أداروا بك رحى مظالمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلما إلى ضلالتهم، داعيا إلى غيهم، سالكا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم. فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك. وما أيسر ما عمروا لك، فكيف ما خربوا عليك. فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول.

و انظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرا وكبيرا. فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: "فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا" إنك لست في دار مقام. أنت في دار قد آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه. طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده. احذر فقد نبئت. بادر فقد أجلت. إنك تعامل من لا يجهل. وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهز فقد دنا منك سفر بعيد وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد.

ولا تحسب أني أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكني أردت أن ينعش الله ما [قد] فات من رأيك ويرد إليك ما عزب من دينك وذكرت قول الله تعالى في كتابه: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين". أغفلت ذكر من مضى من أسنانك و أقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب (مكسور القرن). أنظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت، أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه، أم هل تراهم ذكرت خيرا أهملوه وعلمت شيئا جهلوه، بل حظيت بما حل من حالك في صدور العامة وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون بر أيك ويعملون بأمرك. إن أحللت أحلوا وإن حرمت حرموا وليس ذلك عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك، ذهاب علمائهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحب الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة وما الناس فيه من البلاء والفتنة، قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه وفي بلاء لا يقدر قدره. فالله لنا ولك وهو المستعان.

أما بعد فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا. فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنه، الجاهل في علمه المأفون (الضعيف) في رأيه، المدخول في عقله. إنا لله و إنا إليه راجعون. على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثنا وما نرى فيك ونحتسب عند الله مصيبتنا بك. فانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرا وكبيرا، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيرا، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبا ذليلا. ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول. والله ما قمت لله مقاما واحد أحييت به له دينا أو أمت له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك. ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه: "أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا" استحملك كتابه واستودعك علمه فأضعتها، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٢٧٤ – ٢٧٧.

بخصوص عقيدة الزهري ووضعه عموماً، يقول السيد أحمد الحسن:

(محمد بن مسلم بن شهاب الزهري لم يكن شيعياً موالياً لعلي بن الحسين، لكنه كان يعرف فضل علي بن الحسين عليه السلام ويعرف أنه إمام، وكان يجلس في مجلس علي بن الحسين في المسجد النبوي ويستمع لحديثه ويرويه، وكان يرجع لعلي بن الحسين عليه السلام إذا صعبت عليه مسألة كما كان عمر يرجع لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

أيضاً: شيخ الزهري هو سهل بن سعد الساعدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وسهل كان شيعياً موالياً لعلي عليه السلام.

أما عتب الإمام له في رسالته، فهو أمر صحيح؛ لأنه تلميذه، فالأئمة عليهم السلام لم يتركوا مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وكلما سنحت لهم الفرصة كانوا يجلسون لتعريف الناس معالم الدين.

الزهري هو شيخ البخاري و أبي حنيفة ومالك وغيرهم.

كان يحب الإمام زين العابدين عليه السلام ويجلّه ويسمع منه، لكنه لم يكن موالياً له. مع هذا، لم يكن يتحرج أن يروي فضله، فهو روى لقب "زين العابدين"، رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ينادى على علي بن الحسين بزين العابدين [١]) انتهى [٢].

أيضاً: كان الزهري يصحح بعض النصب الأموي على الإمام علي عليه السلام:

(عن الشافعي قال: حدثنا عمي قال دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان "الذي تولى كبره" من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي،

١- روى الصدوق بسنده: (حدثنا عمران بن سليم قال: كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليهما السلام قال حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني انظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف) علل الشرائع: ١ / ٢٣٠.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا بن شهاب من "الذي تولى كبره"؟ قال: ابن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبا لك والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت) [١].

لكن الزهري – بالنتيجة – وقع بما حذّره منه الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته إليه، فأعان الأمويين الظلمة وصار يزيّن للناس ملكهم ومحبتهم، ثم لما كلّفوه بكتابة "السنة" دوّن أحاديث كثيرة تحاشى في أغلبها ذكر أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم تماشياً مع رغبة الأمويين!

الزهري الذي كان يروي عن زين العابدين عليه السلام ويشهد له بالفضل والفقه والمنّة عليه، شيئاً فشيئاً قلّل روايته عنه، ولما عوتب في ذلك قال: "كان قليل الحديث" [٢]! مع أنّ الزهري نفسه يعترف بأنه ما رأى أفقه منه! ما يعني أنّ الامام كان يجيب أسئلته واستفساراته في الدين، فكيف صار قليل الحديث؟! لكنها الدنيا!

عموماً، ابن شهاب الزهري صار يُنظر له لاحقاً بوصفه المؤسس لمذهب أهل السنة، فهو أقدم من أئمتهم الأربعة المعروفين أعني: (أبو حنفية ومالك والشافعي و ابن حنبل) [٣].

والحقيقة إنّ الزهري ما كان لولا تتلمذه وتفقّهه على يد الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه.

١- فتح الباري، ابن حجر: ٧ / ٣٣٧.

٢- روى ابن عساكر بسنده: (معمر قال قلت للزهري: ما لك لا تكثر الرواية عن علي بن حسين؟ فقال: كنت أكثر مجالسته ولكنه كان قليل الحديث) تاريخ مدينة دمشق: ٤١ / ٣٧٦.

٣- الزهري توفي سنة ١٢٤ هـ، وتوفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ، وتوفى مالك سنة ١٧٩ هـ، بينما توفى الشافعي سنة ٢٠٤ هـ، أما ابن حنبل فتوفى سنة ٢٤١ هـ.

الإمام زين العابدين(ع) وأهل بيته:

خلال فترة إمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام (٦١ – ٩٤ أو ٩٥ هـ)، صادفته كثير من الأمور التي كان طرفها بعض أهل بيته، أعني بهم أقرباء الإمام، وهذه أهمها:

١- صحّح اعتقاد عمّه ابن الحنفية الذي جادله في الإمامة وادعاها له بعض مريديه، وبالرغم من أنّ ابن الحنفية اعتقد بإمامة السجاد عليه السلام [١]، لكن بقي بعض مريديه يعتقدون بإمامته بعد موته سنة ٨١ هـ، فنشأ ما يعرف بـ"الفرقة الكيسانية" التي تزعّمها ابنه عبد الله المكنى بـ "أبي هاشم"، واستمروا بعد شهادة الإمام السجاد عليه السلام، إذ مات عبد الله سنة ٩٨ هـ وأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو من فتح الباب لبيعة العباسيين. و أيضاً: زعم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر أنه أوصى إليه وقاد حركة بالكوفة و إيران تحت هذا الغطاء سنة ١٢٧ هـ، كما عرفنا سابقاً.

٢- كان لأمير المؤمنين صلوات الله عليه أرض بـ"ينبع" قرب المدينة، أعطاها له الرسول صلى الله عليه وآله، وكان قد عمّرها وأصبح فيها بساتين نخيل وما شابه، وهي غير فدك التي صودرت بعد شهادة الرسول، وقد وقف الإمام علي عليه السلام بساتين ينبع على بني فاطمة عليها السلام بالخصوص [٢]. وعموماً، هذه الأرض كانت ولايتها بعد أمير المؤمنين بيد الإمام الحسن ثم الإمام الحسين صلوات الله عليهم، وبعد شهادته ولاها يزيد لعنه الله لعمر بن علي؛ ربما لأنه لم يخرج مع أخيه الحسين صلوات الله عليه ضد بني أمية، ثم بعده صارت بيد الحسن المثنى، وكان المفروض أن يؤول أمرها للإمام علي بن الحسين؛ لأنه الإمام المعصوم والمنصوص عليه من ولد فاطمة كما هو معلوم لتعينه في تمشية وتدبير

١- روى الصدوق: (قال الصادق عليه السلام: ما مات محمد بن الحنفية حتى أقر لعلي بن الحسين عليهما السلام) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦.

٢- قال ابن عنبة: (وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد شرط أن يتولى صدقاته ولده من فاطمة دون غيرهم من أولاده) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٩٩.

شؤون شيعته ورعيته وأهل بيته ومن يعول بهم فالإمام أب ووالد لجميع هؤلاء [١]، وأكيد أنه عليه السلام لا يترك إعانة كل أهل بيته، لكن بعض أقربائه نازعوه فيها وآذوه، بل بعضهم قطعوا وصلهم به تماماً، وممّن نازعه فيها:

عمّه، ابن الحنفية:

(عن سفيان بن عيينة قال: قيل للزهري من أزهد الناس في الدنيا؟ قال: علي بن الحسين عليهما السلام حيث كان وقد قيل له فيما بينه وبين محمد بن الحنفية من المنازعة في صدقات علي بن أبي طالب عليه السلام لو ركبت إلى الوليد بن عبد الملك ركبه لكشف عنك من غرر شره وميله عليك بمحمد فإن بينه وبينه خلة، قال وكان هو بمكة والوليد بها فقال: ويحك أفي حرم الله اسأل غير الله عز وجل، إني آنف أن اسأل الدنيا خالقها فكيف أسألها مخلوقاً مثلي وقال الزهري لا جرم ان الله تعالى ألقى هيبته في قلب الوليد حتى حكم له على محمد بن الحنفية) [٢].

عمّه؛ عمر بن علي:

- (وروى هارون بن موسى قال: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال: لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة رد إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما صدقات رسول الله وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، وكانتا مضمومتين، فخرج عمر بن علي إلى عبد الملك يتظلم إليه من نفسه ...) [٣].
- (ويروى أنّ عمر بن علي خاصم علي بن الحسين إلى عبد الملك في صدقات النبي وأمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابن ابن فأنا أولى بها منه فتمثل عبد الملك بقول أبي الحقيق: لا تجعل الباطل حقا ولا * تلط دون

١- قال الرسول صلى الله عليه وآله: "أنا وعلي أبوا هذه الأمة" الأمالي، الصدوق: ١ / ١٢٧، وقال الإمام الرضا عليه السلام في وصف الإمام: "..... الامام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد" أي: الأمر العظيم. انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٢٠٠.

٢- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٣٠.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٤٩ – ١٥٠.

الحق بالباطل. قم يا علي بن الحسين فقد وليتكها، فقاما فلما خرجا تناوله عمر وآذاه فسكت عنه ولم يرد عليه شيئاً، فلما كان بعد ذلك دخل محمد بن عمر على علي بن الحسين فسلّم عليه وأكب عليه يقبّله، فقال علي: يا ابن عم لا تمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك فقد زوجتك ابنتي خديجة ابنة علي) [١].

ابن عمّه، الحسن المثنى [٢]:

وضع الحسن المثنى يده على بساتين "ينبع"، فأراد الإمام علي بن الحسين عليه السلام استرجاعها منه، لكنه نازعه فيها فتركها له. وبعض المؤرخين – للأسف – عكس المسألة واعتبر الإمام السجاد منازعاً له فيها!

والحق، إنّ الإمام المعصوم لا ينازع أحداً بغير حقه، وحاشاه من ذلك:

(وكان الحسن بن الحسن يتولّى صدقات أمير المؤمنين علي عليه السلام ونازعه فيها زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ثم سلّمها له) [٣]،

أي: إنّ الإمام سلّمها وتركها له.

عموماً، بقيت الأرض بيد الحسن المثنى فنازعه فيها عمّه عمر بن علي وشكاه إلى الحجاج (والي عبد الملك على المدينة حينذاك)، فذهب الحسن المثنى يشتكيه إلى عبد الملك بالشام و انتظر شهراً لم يؤذن له بالدخول عليه، إلى أن رآه يحيى بن أم الحكم (بنت مروان) فأخذ له الإذن وأدخله على خاله عبد الملك، وممّا جاء في الحوار بينهم أن سأل عبد الملك الحسن المثنى فقال:

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٣٠٨.

٢- حضر مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وقاتل معه، وجرح في المعركة ولم يستشهد، أخذه أسماء بن خارجة الفزاري - أحد أخواله؛ إذ كانت أمه من قبيلة فزارة - الذي كان متواجداً مع الجيش الأموي وعالجه في الكوفة ثم أرسله منها إلى المدينة بعد شفائه.

٣- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٩٩.

(لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد فقال يحيى: وما يمنعه من ذلك أماني أهل العراق يرد عليه الوفد بعد الوفد يمنّونه الخلافة. فغضب الحسن من هذا الكلام وقال له: بئس الرفد رفدت، ليس كما زعمت، ولكنا قوم تقبل علينا نساؤنا فيسرع إلينا الشيب. فقال له عبد الملك ما الذي جاء بك يا أبا محمد؟ فذكر له حكاية عمه عمرو أن الحجاج يريد أن يدخله معه في صدقات جده. فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً أن لا يعارض الحسن بن الحسن في صدقات جده ولا يدخل معه من لم يدخله علي) [١].

ما ذكره يحيى بن أم الحكم من أنّ أهل العراق يمنّون الحسن المثنى الخلافة أثبتته الأيام؛ إذ روي: (ان عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل: أن الحسن بن الحسن قد كاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي فابعث إليه الشرط فليأتوا به. قال: فأتوا به فشغله عنه شئ فقام إليه علي بن الحسين وقال له يا ابن العم: قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهي: "لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين". قال و انصرف علي بن الحسين و أقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال: أرى وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله، و أنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه، وكتب إلى عبد الملك فكتب إليه فأطلقه بعد أيام) [٢].

ثم ثار عبد الرحمن بن الأشعث بالكوفة على حكومة الحجاج الثقفي سنة ٨٢ هـ – وقد تقدمت الإشارة لها [٣] – فدعا إلى الحسن المثنى وبايعه، ولما أُجهضت ثورته وفرَّ ابن الأشعث إلى إيران وقتل بسجستان سنة ٨٥ هـ توارى الحسن المثنى عن أنظار السلطات الأموية فترة إلى أن تمكّن الوليد بن عبد الملك من الوصول إليه وقتله بالسم [٤]، وكانت ولادته بحدود ٣٧ هـ أي كان أكبر من الإمام السجاد عليه السلام بسنة.

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٩٩ – ١٠٠.

٢- الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي: ١ / ٤٩. و انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ١٩٣ – ١٩٤، لكنه نسب الفعل للوليد بن عبد الملك.

٣- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث: ضمن الأحداث التي أعقبت شهادة المختار وولاية الحجاج على العراق.

٤- انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ١٠٠.

ابن عمّه؛ زيد بن الحسن وابنه الحسن بن زيد:

زيد ابن الإمام الحسن أيضاً وضع يده على صدقات الرسول وأمير المؤمنين فترة من الزمن. وكان زيد قد تخلّف عن عمّه الحسين ولم يخرج معه إلى العراق، وبايع بعد شهادته زوج أخته "عبد الله بن الزبير"، ثم عاد بها إلى المدينة بعد مقتل ابن الزبير في مكة.

كان زيد مسالماً لبني أمية وتولّى لهم بعض الأعمال في عهد عبد الملك بن مروان، وولّاه صدقات الرسول وأمير المؤمنين [١]، فنازعه فيها أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، فشكاه إلى الوليد بن عبد الملك وأعلمه أنّه يدعو لنفسه ولديه شيعة و أتباع بالعراق فحبس أبا هاشم وطال حبسه، فتوسّط له الإمام زين العابدين عليه السلام ووفد على الوليد فقال له:

(ما بال آل أبي بكر وآل عمر وآل عثمان يتقربون بآبائهم فيكرمون ويحبون وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقربون به فلا ينفعهم ذلك فبم حبست ابن عمي عبد الله بن محمد طول هذه المدة؟ فقال: بقول ابن عمكما زيد بن الحسن، فقال علي بن الحسين: أوَما يمكن أن يكون بين ابني العم منازعة ووحشة كما يكون بين الأقارب فيكذب أحدهما على الآخر وهذان كان بينهما كذا وكذا فخلّى سبيله) [٢].

وبعد الإمام السجاد عليه السلام، خاصم زيد الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، وكان يقاضيه إلى حكام بني أمية:

روى أبو بصير: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان زيد بن الحسن يخاصم أبي في ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: أنا من ولد الحسن، وأولى بذلك منك، لأني

١- انظر: عمدة الطالب، ابن عنبة: ٦٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢١.

٢- انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٥ / ١٩.

من ولد الأكبر، فقاسمني ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وادفعه إلي. فأبى أبي، فخاصمه إلى القاضي، فكان يختلف معه إلى القاضي ...) [١].

ومهما يكن، فإنّ منازعة أهل بيت الإمام علي بن الحسين عليه السلام له في أرض ينبع وعموم ما وقفه الرسول لأمهم فاطمة عليها السلام وأخذها منه، كانت أحد الأسباب التي جعلته يعاني من الضيق في فترات اضطر فيها إلى أن يستدين من أموال أيتام كانوا في حجره ثم يرجعه لهم عند الميسرة:

(عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل ولي مال يتيم أيستقرض منه؟ فقال: إن علي بن الحسين عليهما السلام قد كان يستقرض من مال أيتام كانوا في حجره، فلا بأس بذلك.

... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: رجل ولى مال يتيم أيستقرض منه؟ قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يستقرض من مال يتيم كان في حجره) [٢].

شهادة الإمام زين العابدين(ع):

قُتل الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه بسم سقاه إياه الوليد بن عبد الملك لعنه الله [٣]، فمضى إلى ربه شهيداً في ٢٥ من محرم الحرام سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ بعمر ٥٧ عاماً. وكان له اثنا عشر ولداً، أفضلهم وأعلاهم شأناً ولده الباقر عليه السلام [٤].

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٦٠٠.

٢- الكافي، الكليني: ٥ / ١٣١ – ١٣٢.

٣- انظر: الاعتقادات في دين الإمامية، الصدوق: ٩٨؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٢٠١.

٤- أولاد الإمام السجاد عليه السلام، هم: (محمد الباقر وعبد الله الباهر، أمهما أم عبد الله بنت الحسن بن علي. و أبو الحسين زيد الشهيد بالكوفة وعمر توأم، والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان توأم، والحسن والحسين وعبيد الله توأم، ومحمد الأصغر فرد، وعلي) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣١١.

جمع الإمام زين العابدين أولاده عند مرضه الذي توفي فيه وأوصى إلى ولده الباقر عليه السلام بمحضرهم، فاجتمع "النص والعلم" في الباقر عليه السلام، وهو القانون الإلهي في معرفة الإمام من آل محمد كما هو معلوم [١].

أثناء تجهيز ولده الباقر له وجد آثاراً على جسد أبيه المظلوم:

(عن جابر الجعفي قال: لما جَرّد مولاي محمد الباقر مولاي علي بن الحسين ثيابه ووضعه على المغتسل، وكان قد ضرب دونه حجاباً، سمعته ينشج ويبكي حتى أطال ذلك فأمهلته عن السؤال حتى إذا فرغ من غسله ودفنه، فأتيت إليه وسلّمت عليه وقلت له: جعلت فداك مم كان بكاؤك و أنت تغسل أباك، ذلك حزناً عليه؟ قال: لا يا جابر، لكن لما جردت أبي ثيابه ووضعته على المغتسل، رأيت آثار الجامعة في عنقه، و آثار جرح القيد في ساقيه وفخذيه، فأخذتني الرقة لذلك وبكيت) [٢].

(الزهري: لما مات زين العابدين فغسّلوه وجدوا على ظهره مَجَلاً فبلغني أنه كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل) [٣].

١- روايات متواترة أشارت إلى ذلك، منها:

- (عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الأمر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ قال: يُسأل عن الحلال والحرام، قال: ثم أقبل علي فقال: ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، ويكون عنده السلاح، ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان، إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان بن فلان) الكافي: ١ / ٢٨٤.

- (عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام بما يعرف صاحب هذا الأمر؟ قال: بالسكينة والوقار والعلم والوصية) الخصال، الصدوق: ١ / ٢٠٠؛ بصائر الدرجات، الصفار: ٤٨٩.

- (عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يُعرف الإمام؟ قال: بالسكينة والوقار، قلت: بأي شيء؟ قال: وتعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله, قلت: يكون إلا وصياً ابن وصي؟ قال: لا يكون إلا وصياً و ابن وصي) الغيبة، النعماني: ٢٤٢.

٢- موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ٣ / ٦٠.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢٩٤. مجلاً: أي موضع خشن.

مضى بقية الحسين صلوات الله عليه إلى ربه شهيداً محتسباً بعد رحلة مليئة بالمرار والألم؛ ابتدأت بشهادة جده أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو ابن ثلاث سنين، وختمت بيوم عاشوراء الذي رأى فيه ريحانة محمد تقطعه سيوف الأمويين في سبيل الله، فجمع أوصال حبيب فاطمة بيديه ودفنها في أرض كربلاء التي أورثته حزناً وبكاءً عُدَّ بسببه أحد البكائين الخمسة [١] ضمن مجمل خط الرسالات الإلهي، وحق - والله - له ذلك!

لم يسلم للحسين ولد غيره بعد يوم الطف، لكن اقتضت مشيئة الله أن يكون: "بقية السيف أنمى عدداً و أكثر ولداً" كما قال جده أمير المؤمنين [٢].

نور "عقب الحسين" الأول أفل من الدنيا، لكن الإمامة الإلهية وخلافة رسول الله لا زالت مشرقة ومستمرة في "عقب الحسين" كما وعد الله: "ذرية بعضها من بعض"، فورثه فيها ولده محمد الباقر عليه السلام، والحمد لله على جميل صنعه في سادة أوليائه.

١- قال الإمام الصادق عليه السلام: "البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وعلي بن الحسين عليهما السلام" الأمالي، الصدوق: ٢٠٤.

٢- انظر: عيون الحكم والمواعظ، الليثي الواسطي: ١٩٦.

الإمام محمد بن علي الباقر (ع):

المكان: المدينة المنورة
العمر: ٥٧ عاماً (٥٧ – ١١٤ هـ)
مدة الإمامة: ٢٠ عاماً

(عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما حضرت أبي علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به يا بني اصبر على الحق وإن كان مرّاً) [1].

الصبر على الحق المر الثقيل، بهذا ابتدأ الباقر عليه السلام رسالته الإلهية.

النص على إمامة الباقر(ع) ولقبه:

النص على إمامته:

ثاني الأئمة من "ولد الحسين" هو الإمام محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، الملقّب بـ "الباقر"، والمكنّى بـ "أبو جعفر". ولد في الأول من رجب سنة ٥٧ هـ قبل شهادة جده الحسين صلوات الله عليه بأربع سنين.

بالتأكيد، كان علم الإمام (الذي اشتهر وملأ صيته الخافقين) دليلاً واضحاً على إمامته، لكن قبل العلم كانت دلالة النص الإلهي واضحة وبيّنة تامة على إمامته وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

النص على إمامة الباقر عليه السلام له عدة وجوه:

١- وصية رسول الله ليلة وفاته التي ذكرته ونصّت عليه بالاسم، وقد تقدمت.
٢- وصية أمير المؤمنين عند وفاته التي نصت عليه بالاسم، وقد تقدمت أيضاً.

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٩١.

٣- نص أبيه زين العابدين على إمامته عند وفاته.

والملاحظ في نص الإمام علي بن الحسين على ولده الإمام الباقر – كما سنرى – أنه كان أحياناً عن طريق الفعل لا القول [١]، و أيضاً: كان للخاصة فقط؛ وما ذاك إلا نتيجة الضغوط الأمنية المحيطة بآل محمد عليهم السلام في ذلك الوقت.

جمع الإمام زين العابدين عليه السلام ولده في آخر لحظات حياته، وقام بتسليم مواريث الأنبياء و آبائه الطاهرين إلى ولده الباقر عليه السلام بمحضرهم:

(عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضر علي بن الحسين الوفاة، قبل ذلك أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده، فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، فلما توفي جاء إخوته يدعون [ما] في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا في الصندوق فقال: والله ما لكم فيه شئ ولو كان لكم فيه شئ ما دفعه إلي، وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه آله) [٢].

ليس المقصود بـ"سلاح رسول الله" السلاح المتعارف، و إنما المقصود العلم:

يقول السيد أحمد الحسن: (السلاح المعروف لا يُحمل في صندوق، و إنما يوضع في غمد وجراب. إنما هو العلم وما رواه علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكثير منه بثّه الباقر والصادق والأئمة عليهم السلام) انتهى [٣].

ولهذا ورد في رو اية أخرى أنّ الصندوق كان مملوءاً علماً:

١- روي أنّه أوصى إليه عند وفاته بمحضر إخوته: (حدثني عثمان بن عثمان بن خالد، عن أبيه، قال: مرض علي بن الحسين عليه السلام مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيد والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد وكنّاه بالباقر وجعل أمرهم إليه، ...) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٣٩.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٥.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

(عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده قال: التفت علي بن الحسين عليهما السلام إلى ولده وهو في الموت وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن علي فقال: يا محمد هذا الصندوق اذهب به إلى بيتك، قال: أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوءاً علماً) [١].

لكن: هل يعتبر فعل الإمام زين العابدين هذا نص على إمامة الباقر عليه السلام أمام إخوته؟

يقول السيد أحمد الحسن: (ممكن أن نعتبر فعل الإمام علي بن الحسين نصّاً على الباقر؛ باعتبار أنه دفع له مواريث العلم. لكن – كما قلت سابقاً – الأمر ليس سرّاً، هم وغيرهم لديهم علم بإمامة السجاد والباقر عليهما السلام لكن بحدود تحفظهما) انتهى [٢].

لقب "الباقر":

وأما تلقيب الإمام بـ "الباقر"، فهو أمر اختصه به جده الرسول صلى الله عليه وآله، ولهذا ورد وصفه به في وصيته المقدسة ليلة وفاته؛ إذ جاء فيها: "فإذا حضرته - أي الإمام علي بن الحسين - الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر" [٣]. و أيضاً: لقّبه الرسول بذلك حينما ذكره لجابر بن عبد الأنصاري وبشّره به ووعده بأنه سيدركه وأرسل بيده سلاماً إليه:

(عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معتجر بعمامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٥.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- رواية وصية الرسول ليلة الوفاة تقدمت، انظر: الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول ...) [١].

والأمر واضح ومتواتر في كتب المسلمين (الشيعة)، أما غيرهم فإنّ صحاحهم ومسانيدهم الرئيسية وإن أخفت حديث "جابر" لكن الكثير من علمائهم صرّحوا بمفاده بل وذكره كثير منهم، وهذه نماذج من أقوالهم، وهي بطبيعة الحال تعترف بعظمة شخصية الإمام الباقر وما اتصف به من مزايا وكمالات جمّة أبهرت الجميع بدون شك:

١- محمد بن طلحة الشافعي: (هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دره وواضعه، ومنمق دره وراضعه، صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء، فالمناقب تسبق إليه، والصفات تشرف به) [٢].

٢- أبو نصر البخاري: (سبب تسميته عليه السلام: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقر وأهدى إليه سلامه على لسان جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال يا جابر إنك ستعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرأه مني السلام ففعل ذلك جابر رحمه الله) [٣].

٣- جلال الدين الزرندي الشافعي: (كان الباقر محمد بن علي من العلم والزهد ولسان الحكمة بمحل عظيم، وله في معاني الزهد ودقائق العلوم في التوحيد كلام جم جسيم) [٤].

٤- النووي: (والبقر الشق ومنه قولهم بقر بطنه ومنه سمى محمد الباقر رضي الله عنه؛ لأنه بقر العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً ووصل منه غاية مرضية) [٥].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٩.

٢- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٢٥.

٣- سر السلسة العلوية: ٣٢.

٤- معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ١٢١.

٥- شرح صحيح مسلم: ٦ / ١٣٧.

٥- ابن كثير: (أبو جعفر الباقر: وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي، هو تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً ..... وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، كان ذاكرا خاشعاً صابراً وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدال والخصومات) [١].

٦- العيني: (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، الهاشمي المدني، أبو جعفر المعروف: بالباقر، سمي به لأنه بقر العلم أي: شقه بحيث عرف حقائقه، وهو أحد الأعلام التابعين الأجلاء) [٢].

٧- ابن حجر العسقلاني: (وقال الزبير ابن بكار كان يقال لمحمد باقر العلم وقال محمد بن المنكدر ما رأيت أحداً يفضل على علي ابن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً أردت يوماً أن أعظه فوعظني) [٣].

٨- ابن حجر الهيتمي: (أبو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض أي شقها و أثار مخبئاتها ومكامنها فكذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية السريرة ومن ثم

١- البداية والنهاية: ٩ / ٣٣٨ – ٣٣٩.

٢- عمدة القاري: ٣ / ٥٢.

٣- تهذيب التهذيب: ٩ /٣١٣. وقصة وعظ الإمام عليه السلام له هي هذه: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفا - لفضل علي بن الحسين - حتى رأيت ابنه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني. فقال له أصحابه: بأي شئ وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيت محمد ابن علي - وكان رجلاً بديناً - وهو متكئ عل غلامين له أسودين - أو موليين له - فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا! أشهد لأعظنه؟ فدنوت منه فسلمت عليه، فسلم عليّ بهر (أي بنفس متتابع) وقد تصبّب عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدنيا! لو جاءك الموت و أنت على هذه الحال؟! قال: فخلى عن الغلامين من يده، ثم تساند وقال: "لو جاءني والله الموت و أنا (في هذه) الحال، جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله، أكف بها نفسي عنك وعن الناس، و إنما كنت أخاف الموت لو جاءني و أنا على معصية من معاصي الله". فقلت: يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني) الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٦١ – ١٦٢.

قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير رسول الله يسلم عليك فقيل له وكيف ذاك قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام) [١].

٩- الذهبي: (محمد بن علي بن الحسين الامام الثبت الهاشمي العلوي المدني أحد الاعلام ... وكان سيد بني هاشم في زمانه اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم يعني شقه فعلم أصله وخفيه. وقيل إنه كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة) [٢].

بالتأكيد، القائمة تطول إذا أردنا الاستقصاء وفيما ذكرناه كفاية، على أنّ المسألة لا تقتصر على المحدثين وشراح الأحاديث فحسب، ولكن تتعدى - أيضاً - إلى المؤرخين واللغويين [٣]. ولا شك، أنّ من يقرأ كلامهم يعرف أنّ الحجّة قائمة عليهم تماماً، ولو على

١- الصواعق المحرقة: ٢٠١.

٢- تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٤ – ١٢٥.

٣- فمثلاً: من المؤرخين، ابن قتيبة الدينوري: (أخبرنا جابر بن عبد اللّه أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «يا جابر، إنك ستعمّر بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كاسمي يبقر العلم بقرا فإذا لقيته فأقرئه مني السلام» فكان جابر يتردّد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي: يا باقر، حتى قال الناس: قد جنّ جابر. فبينا هو ذات يوم بالبلاط إذ بصر بجارية يتورّكها صبيّ فقال لها: يا جارية، من هذا الصبي؟ قالت: هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال: أدنيه مني فأدنته منه فقبّل بين عينيه وقال: يا حبيبي، رسول اللّه يقرئك السلام. ثم قال: نعيت إليّ نفسي وربّ الكعبة. ثم انصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته) عيون الأخبار: ١ / ٣١٢.

ومن اللغويين، الزبيدي: (والباقِرُ، لَقَبُ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ و أبي جعفر محمّد بن الإمامِ عليِّ زَيْنِ العَابِدِينَ ابنِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ تعالى عنهم، وُلِدَ بالمدينة سنةَ ٥٧، من الهجرة، ... و إنما لُقِّبَ به لتَبَحُّرِه في العِلْمَ وتَوسُّعِه، وفي اللِّسَان: لأَنه بَقَرَ العِلْمَ، وعَرَفَ أَصله، واستنبطَ فَرْعَه. قلْت: وقد وَرَدَ في بعض الآثارِ عن جابرِ بنِ عبد اللهِ الأنصاريِّ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: "يُوشِك أن تَبْقَى حتى تَلْقَى وَلداً لي من الحُسين يقال له: محمّد، يَبقُر العِلْمَ بقْراً، فإذا لقيتَه فأَقرِئْه منِّي لسلامَ" خَرَّجَه أئمَّة النَّسَبِ) تاج العروس: ٦ / ١٠٥.

مستوى ضرورة تقديم ابن رسول الله "الباقر" على غيره ممن يعتقدون بخلافتهم؛ لاعترافهم بغزارة علمه ودينه وخلقه وورعه وعبادته وزهده ... إلخ.

الإمام الباقر(ع) وواقعة كربلاء:

الحسين صلوات الله عليه بالنسبة إلى الأئمة من ولده يمثل كعبة ومحوراً يطوفون حوله، وبخصوص الإمام الباقر عليه السلام، فإنه – إضافة إلى ذلك – أدرك جده الحسين وعاش أحداث كربلاء وكان شاهداً على بعض مجرياتها.

أدرك الحسين(ع) وروى بعض أحداث كربلاء:

١- كان مع جده الحسين في المسجد الحرام قبل مسيره إلى العراق:

(عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قد أدركت الحسين عليه السلام؟ قال: نعم أذكر و أنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل ...) [١].

٢- روى مقتل جده الحسين وما أصابه من جراحات، قال عليه السلام:

- (قتل جدي الحسين ولي أربع سنين و إني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت) [٢].
- (أصيب الحسين بن علي عليهما السلام، ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم. وروى أنها كانت كلها في مقدمته لأنه عليه السلام كان لا يولي) [٣].
- (لقد قتل بالسيف، والسنان، وبالحجارة، وبالخشب، وبالعصا ولقد أوطأوه الخيل بعد ذلك) [٤].

١- الكافي، الكليني: ٤ / ٢٢٣.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠.

٣- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٨٩.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٩١.

٣- روى بعض ما نال عائلة الرسول بعد شهادة الحسين، قال عليه السلام:

- (و إني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت) [١].
- (دخلنا على يزيد، ونحن اثنا عشر غلاماً مغللين في الحديد وعلينا قمص. ...) [٢].

أي إنّ الإمام الباقر عليه السلام يتذكر ما جرى على عيال الحسين صلوات الله عليه بعد شهادته وما لاقوه في أيام الأسر والسبي المريرة!

٤- روى مقتل عبد الله الرضيع:

- (... فتقدم - الحسين - إلى باب الخيمة وقال لزينب: ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه، فأخذه وأومأ إليه ليقبله فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي (لع) بسهم فوقع في نحره فذبحه فقال لزينب: خذيه ثم تلقى الدم بكفيه فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال هون على ما نزل بي إنه بعين الله.
قال الباقر عليه السلام: فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض) [٣].
- (قال عقبة بن بشير الأسدي قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين إن لنا فيكم يا بني أسد دماً قال قلت فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر وما ذلك قال أتى الحسين بصبي له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه فتلقى الحسين دمه فلما ملأ كفيه صبّه في الأرض ثم قال رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير و انتقم لنا من هؤلاء الظالمين) [٤].

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ٢ / ١٢، تحقيق: علي شيري.

٣- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٦٩.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٢.

٥- روى دفع الحسين وصيته لابنته فاطمة:

(عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الحسين بن علي عليهما السلام لما حضره الذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليهما السلام مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثم صارو الله ذلك الكتاب إلينا يا زياد قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه، الحدود، حتى أن فيه أرش الخدش) [١].

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معنى "الكتاب":

(لا إشكال أن تكون هناك عدة نسخ لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه إحداها) انتهى [٢].

الإمام الباقر(ع) يُحيي ذكر الحسين(ع):

١- بكاؤه على مصيبته وسماع الرثاء بحقه:

(الكميت بن أبي المستهل قال: دخلت على سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام فقلت: يا ابن رسول الله إني قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذن لي في إنشادها. فقال: إنها أيام البيض. قلت: فهو فيكم خاصة. قال: هات، فأنشأت أقول:

أضحكني الدهر و أبكاني والدهر ذو صرف وألوانِ
لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفانِ

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٣ – ٣٠٤.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلما بلغت إلى قولي:

وستة لا يجارى بهم بنو عقيلٍ خير فتيانِ
ثم علي الخير مولاكمُ ذكرهمُ هيّج أحزاني

فبكى ثم قال عليه السلام: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه ماء ولو قدر مثل جناح البعوضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة وجعل ذلك حجاباً بينه وبين النار) [١].

توضيح: التسعة الذين يقصدهم الكميت هم أولاد وأحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والستة من آل عقيل، فمجموع من قتل بالطف من آل أبي طالب سبعة عشر رجلاً مع رضيع الحسين، صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- حثّه على البكاء على الحسين صلوات الله عليه:

(عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيما مؤمن من دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفا يسكنها أحقاباً) [٢].

٣- حثّه على زيارة الحسين صلوات الله عليه:

(عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكون الحسين عليه السلام إلى أن تقوم الساعة فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه ولا يرجع إلا شيعوه ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا شهدوه.

... عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال لي: كم بينكم وبين الحسين عليه السلام؟ قال قلت يوم للراكب ويوم وبعض للماشي قال أفتأتيه كل جمعة؟ قال قلت: لا

١- كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٤٨ – ٢٤٩.

٢- ثواب الأعمال، الصدوق: ٨٣.

ما آتيه إلا في الجمعتين، قال: ما أجفاك أما لو كان قريبا منا لاتخذناه هجرة - أي نهاجر إليه -) [١].

نهيه عن الإساءة لمن طلب بثأر الحسين(ع):

كان عمر الإمام الباقر عليه السلام في أيام ثورات الثأر التي خرجت للطلب بدم الحسين صلوات الله عليه، أعني: ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، ثمان إلى تسع سنين، وبالتأكيد اطلع على التأييد الذي حظيت به تلك الثورات من قبل أبيه الإمام علي بن الحسين عليه السلام ومنح قادتها الإذن بالقيام.

وبخصوص المختار رحمه الله، فقد كان يذكر فضله وينهى عن الإساءة له:

(عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تسبّوا المختار فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة) [٢].

ولما قدم عليه ابن المختار "أبو الحكم" وعرفه أدناه منه وأكرمه وحدّثه بفضل أبيه:

(عن عبد الله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده.

ثم قال أصلحك الله ان الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك قال: وأي شئ يقولون؟ قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشئ الا قبلته.

فقال: سبحان الله أخبرني أبي والله إنّ مهر أمي كان مما بعث به المختار، أولم يبن دورنا؟ وقتل قاتلنا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. وأخبرني والله أبي أنه كان ليسمر عند

١- ثواب الأعمال، الصدوق: ٨٨.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٠.

فاطمة بنت علي يمهدها الفراش، ويثني لها الوسائد ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد الا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا) [١].

رسالة الإمام الباقر(ع):

إمامة الباقر عليه السلام استمرت بحدود عشرين عاماً تقريباً، وبالرغم من أنها مدة قصيرة جداً قياساً بعمر الدنيا، لكنه عليه السلام ترك أثراً كبيراً وضخماً تمثل بالعلم الغزير الذي بثّه، وهو علم لا تكاد تستوعبه الدنيا؛ لأنه – بالتأكيد – تخطاها بعد أن كشف صلوات الله عليه عن جوانب كثيرة تخص معرفة الله وعوالم الآخرة.

طبيعة رسالة الباقر(ع):

مرَّ بنا في وصية "الخواتيم" أنّ تكليف الإمام الباقر عليه السلام فيها كان: "... ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسّر كتاب الله تعالى وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله عزوجل وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذي يليه" [٢].

تفسير كتاب الله، وتوريث ابنه الصادق العلم وإعداده للإمامة عموماً، وكذا قول الحق في حالي الخوف والأمن، أمور واضحة تقريباً، لكن:

- بماذا يصدّق أباه؟
- و أيضاً: نحن نعرف أنّ كل إمام يقوم بتربية الأمة المؤمنة التي تعتقد به، فلماذا خُصَّ الباقر عليه السلام بالذكر، هل هناك خصوصية للأمة التي يصطنعها؟
- ما المقصود بحق الله الذي يقوم به: "وقم بحق الله عزوجل"؟

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٠.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٠.

يقول السيد أحمد الحسن في توضيح ذلك:

("وصدّق أباك": صدّق أباك عند الناس أي أتبع وأكمل الطريق الذي بدأه وتابع خطاه وأكّدها.

"واصطنع الأمة": خصوصية الإمام الباقر عليه السلام أنه فُتح له مجال أوسع وكثر عدد المؤمنين؛ وخصوصاً أصحابه المتصدّين لنشر علومه بين الناس، لهذا خوطب بأن يصطنع الأمة المؤمنة وينظّمها لتحقق هداية الناس للحق، وقد فعل وكان عدد المؤمنين يزداد بشكل كبير إلى أن استلم الإمام الصادق الإمامة من بعده.

"وقم بحق الله عزوجل": حق الله على خليفة الله أن يبلّغ الرسالة بأحسن وجه وبكل جهده وما يمكنه. بالطبع، حق الله على الناس عموماً بما فيهم خليفة الله لا يُحصى، لكن ما يختص به خليفة الله أنه رسول ويحمل رسالة عليه تبليغها للناس) انتهى [1].

بهذا نعرف أنّ رسالة الباقر عليه السلام تضمّنت:

١- تفسير كتاب الله وبيانه.
٢- توطيد الخطى التي سار بها الإمام زين العابدين في نصرة دين الله؛ عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وتصديقه عند الناس بالسير على نهجه وتوكيد خطاه.
٣- اصطناع الأمة المؤمنة وتنظيمها وتربية علماء ربّانيين مؤهلين لنشر الحق والهدى بين عموم الأمة المؤمنة.
٤- أن يكون تبليغ رسالة الله للناس بأتم صورة ممكنة.

الإمام الباقر عليه السلام يريد إحكام فقرات رسالته، وهو أكثر العارفين بما لاقاه شيعتهم من أذى واضطهاد حكام بني أمية، وبالتالي فهو حريص جداً على إقامة هيكل الحق بأتم صورة ممكنة بما يمكّن الأمة المؤمنة من الصمود والثبات بوجه موجات الظلم والضلال التي تصادفها في مسيرتها!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

كان عليه السلام يقول: "... فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدمت داره" [١].

باقر العلوم وانطلاق ثورته العلمية:

بالتأكيد، لقب "الباقر" الذي خُصَّ به الإمام محمد بن علي عليه السلام يلقي بظلاله على طبيعة تكليفه ورسالته الإلهية، فالبقر هو الشق، فكأنّ المعارف والعلوم بمثابة الكنوز المحفوظة في خزائن والإمام الباقر صلوات الله عليه قام بشق تلك الخزائن واستخرج منها كنوز المعرفة والعلوم.

ثم إننا إذا نظرنا إلى العلوم التي بثها الإمام عليه السلام نجد أنها تتصف بأمرين:

الأول: الاستيعاب، بمعنى أنها استوعبت الدين الإلهي كله، فالدين كما هو معروف يتألف من ثلاث شعب: "عقيدة، شريعة، أخلاق"، وعلوم الإمام بسطت جناحها على كل هذه المساحات الثلاث، كيف! والمطلوب منه – كما عرفنا –بيان كتاب الله وتفسيره، وكتاب الله – من حيث الأصول – فيه تبيان لكل شيء وما فرط فيه من شيء، قال تعالى:

- "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" النحل: ٨٩.
- "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" الأنعام: ٣٨.

لم ينحَ علم الإمام باتجاه معين كالفقه وبيان الأحكام الشرعية مثلاً، ولم يقتصر على بيان مسائل العقيدة فقط، ولا أنه اتجه إلى تفسير كتاب الله بطريقة تشبه طريقة المفسرين المتبرعين (الذين لم يكلّفهم الله بيان كتابه)، بل كان عليه السلام جامعاً لعلوم ومعارف الدين الإلهي كله، وهذه الحقيقة أذعن بها كثير من علماء المسلمين، وقد مرّت بنا بعض كلماتهم التي اعترفوا فيها بأنه - أي الإمام الباقر عليه السلام - شقَّ بطون العلوم

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٦٩.

والمعارف الإلهية واستخرج حقائقها وجواهرها وخباياها بعد أن بلغ فيها مبلغاً عظيماً، حتى عدّوه جامع العلم الديني وشاهر لوائه.

الثاني: الغزارة، بحيث لو أننا تتبعنا الروايات الواردة عنه صلوات الله عليه في كتاب "الكافي" وحده مثلاً لوجدناها بالمئات في مختلف الأبواب بل جميعها.

(ويقال: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه من التفسير والكلام والفتيا والأحكام والحلال والحرام.

قال محمد بن مسلم: سألته عن ثلاثين ألف حديث.

وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، فمن الصحابة نحو جابر بن عبد الله الأنصاري، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السختاني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، و أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد بن المنذر النهدي.

ومن المصنفين نحو: الطبري، والبلاذري، والسلام، والخطيب في تواريخهم.

وفي: الموطأ، وشرف المصطفى، والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، والألكاني، ومسندي أبي حنيفة والمروزي، وترغيب الأصفهاني، وبسيط الواحدي، وتفسير النقاش، والزمخشري، ومعرفة أصول الحديث، ورسالة السمعاني، فيقولون: قال محمد بن علي، وربما قالوا: قال محمد الباقر. ولذلك لقبه رسول الله بباقر العلم. وحديث جابر مشهور معروف رواه فقهاء المدينة والعراق كلهم) [1].

(وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار بالفضل به علماً لأهله تضرب به الأمثال، وتسير بوصفه الآثار والأشعار) [2].

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٢٧ – ٣٢٨.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٥٧.

استيعاب وغزارة العلوم التي بثها الإمام الباقر عليه السلام جعلته - بحق - مصداقاً أمثل لـ "المجدّد" الذي وعد به الرسول صلى الله عليه وآله أمته على رأس كل قرن ليجدد لها دينها من خلال تشخيص الانحراف وبيان الحق والهدى المرضي لله!

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [١].

فالملاحظ أنّ الإمام الباقر عليه السلام انطلق بمشروعه العلمي الإصلاحي على رأس سنة ١٠٠ هـ، أي في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز؛ لاعتبارات إلهية تتعلق بحفظ الإمام وضمان نجاح رسالته العلمية المكلّف بها:

(عن القاسم بن عوف، قال: كنت أتردد بين علي بن الحسين عليه السلام وبين محمد بن الحنفية، وكنت آتي هذا مرة وهذا مرة.

قال: ولقيت علي بن الحسين، قال، فقال لي: يا هذا إياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم أنّا استودعناك علماً، فإنا والله ما فعلنا ذلك وإياك أن تترايس بنا فيضعك الله، وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً، واعلم أنك إن تكن ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر. واعلم أنه من يحدّث عنا بحديث سألناه يوماً فإن حدّث صدقاً كتبه الله صديقاً وإن حدّث وكذب كتبه الله كذاباً، وإياك أن تشد راحلة ترحّلها فإنما ههنا يُطلب العلم حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج، ثم يبعث الله لكم غلاماً من ولد فاطمة عليهما السلام ينبت الحكمة في صدره كما ينبت الطل والزرع.

قال: فلما مضى علي بن الحسين صلوات الله عليهما حسبنا الأيام والجمع والشهور والسنين، فما زادت يوماً ولا نقصت حتى تكلم محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم "باقر العلم") [٢].

١- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني: ٢ / ٣١١.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٣٩ – ٣٤٠.

"و إياك أن تشد راحلة ترحّلها فإنما ههنا يُطلب العلم": الإمام ينبّه القاسم بن عوف بأن لا يشد الرحال ولا يتعب نفسه في طلب العلم بعد موته، فلا يوجد علم حقيقي عند غير آل محمد، ويطلب منه أن ينتظر ولده الباقر عليه السلام بعده.

"سبع حجج": أي سبع سنين، وهي: مجموع (ما تبّقى من حكم الوليد بن عبد الملك + حكم سليمان بن عبد الملك + مضي سنة من حكم عمر بن عبد العزيز)، فالسبع سنين تبدأ بعام ٩٤ هـ وتنتهي في عام ١٠٠ هـ، ولهذا فالأرجح في تاريخ شهادة الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن يكون سنة ٩٤ هـ [١].

وعموماً، آلت أمور الأمور إلى عمر بن عبد العزيز فحكم سنة ٩٩ هـ، وكانت أيامه فرصة مناسبة جداً ليبدأ الإمام الباقر عليه السلام برسالته الإلهية ونشر علومه بقوة وغزارة وشمول.

ملاحظة: قولنا بأنّ الإمام الباقر عليه السلام باشر بمشروعه العلمي الرسالي سنة ١٠٠ هـ، لا يعني أنّ السنين السبع من عمر إمامته (٩٤ – ١٠٠ هـ) كان صامتاً فيها تماماً ولم يكن يباشر خلالها أي عمل ديني يختص ببيان الحق وإجابة السائلين ونصرة دين الله عموماً، بل على العكس؛ إذ كان للإمام مجلس علمي (ضمن الحدود المسموح بها) حتى في أيام حياة أبيه كما عرفنا سابقاً، فالأئمة عليهم السلام لم يكن يخلو منهم مسجد جدهم الرسول صلى الله عليه وآله متى ما سنحت لهم الفرصة بذلك.

ما حصل في عام ١٠٠ هـ هو أنّ الإمام الباقر صلوت الله عليه باشر بمشروعه التجديدي وثورته العلمية الكبرى بقوة وشمول وغزارة لم تكن مسبوقة ولا معهودة بعد أن هيّأ الله سبحانه بفضله الفرصة المناسبة لوليّه، فكانت بمثابة بدء عهد جديد، وهو كذلك بالفعل!

١- لدى المؤرخين في تحديد تاريخ شهادة الإمام قولان: سنة ٩٤ هـ، وسنة ٩٥ هـ، وقد أشرنا لذلك فيما سبق.

يقول السيد أحمد الحسن: (قول الامام علي بن الحسين عليه السلام: "حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج" لا يعني أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان صامتاً ولم يكن يبلغ دين الله، أو لم يكن لديه أصحاب – سواء كان أصحابه أو أصحاب أبيه – يلتقيهم ويكلمهم ... إلخ، الإمام الباقر عليه السلام كان موجوداً في المدينة وكان يتواجد أحياناً في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، لكن كانت هذه الفترة صعبة وسيئة وفيها خطر محدق بالإمام اضطرته إلى التقليل من حركته وعدم التصريح بالحق لعموم الناس، وما حصل بعد مجيء عمر بن عبد العزيز هو أنه فسح المجال كما هو معروف، فكانت فرصة مناسبة للإمام ليبدأ ببث علومه بغزارة لم تحصل من قبل. ومن المعلوم أنّ الأمة المؤمنة مدينة في تأسيسها وتنظيمها وتثبيت أركانها إلى عمل وعلم وجهد الإمامين الصادقين عليهما السلام، والبداية كانت على يد الإمام الباقر عليه السلام) انتهى [١].

أوجه العطاء العلمي ونصرة دين الله:

الفترة التي عاشها الإمام الباقر عليه السلام أيام إمامته امتازت ببداية رفع الحضر عن تدوين السنة النبوية بأمر من الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز [٢]، وبالتأكيد فقد أدى التوسع في تدوين السنّة ولملمة شتاتها المتناثر إلى توسعة وتنشيط جانبين آخرين، هما: تفسير القرآن الكريم، واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها؛ الأمر الذي ساهم لاحقاً بتأسيس المذاهب الفقهية كما سنعرف.

من جهة أخرى: كانت الفرق العقائدية المنحرفة منتشرة في الساحة الإسلامية، أمثال: الخوارج، والمرجئة، والكيسانية، ثم انضم لهم الغلاة أيضاً.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تقدم أنّ عمر بن عبد العزيز أسند هذه المهمة إلى ابن شهاب الزهري الذي كانت تربطه صحبة بالإمام زين العابدين عليه السلام، وقد تتلمذ على يديه فترة من الزمن قبل قبوله العمل مستشاراً في البلاط الأموي في أيام عبد الملك بن مروان، واستمر بالعمل مع خلفاء بني أمية حتى موته سنة ١٢٤ هـ.

لهذا، كان العطاء العلمي الواسع الذي باشر الإمام الباقر عليه السلام ببثه متعدد الأوجه، وهو علم غزير كما قلنا، بحيث إننا لو جمعنا كل ما كان موجوداً عند الشيعة ومحبي آل محمد عليهم السلام من معارف وعلوم وصلتهم من الأئمة عليهم السلام قبل الباقر عليه السلام فهي لا تصل إلى معشار ما بثه (هو و ابنه الصادق عليه السلام) من علوم ومعارف!

(وقد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ وأخبار الأنبياء، وكتب عنه الناس المغازي و أثروا عنه السنن واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء، وحفظ عنه الناس كثيرا من علم الكلام) [(١)].

وهذه بعض أوجه عطائه العلمي:

١- تفسير كتاب الله: حيث بدأ الإمام الباقر عليه السلام بتفسير القرآن الكريم (الكثير من آياته)، ووضع منهجاً فريداً في التعامل مع القرآن بعد أن حصر تفسيره بالإمام الحق من آل محمد [(٢)]، وبهذا يكون قد أغلق باباً استغله بعض المنحرفين لتضليل الناس.

٢- بيان العقيدة الحقة، بتفصيل عميق وغزير، بكل ما يرتبط بمعرفة الله وتوحيده وصفاته وأسمائه وكتبه ورسالاته وخلفائه في أرضه (أنبياء، رسل، أئمة)، بما يشكّل (بإضافة بيانات ولده الصادق عليه السلام) أساساً رصيناً لمنظومة الاعتقاد الحق للدين الإلهي المرضي لله سبحانه.

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٦٣.

٢- روى البرقي بسنده: (عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من التفسير فأجابني، ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال: يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر، يا جابر ليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شئ وآخرها في شئ وهو كلام متصل منصرف على وجوه) المحاسن: ٢ / ٣٠٠.

٣- بيان الشريعة الحقة، وتحديد قواعدها العامة، وتشخيص أحكام الحلال والحرام المبتلى بها في جانب العبادات والمعاملات، ومن يراجع روايات الفقه المحمدي الأصيل، وهي مئات كثيرة من الروايات، يجد أنّ أصولها الروائية - غالباً - تعود إلى الإمامين الباقرين عليهما السلام.

٤- بيّن الإمام الباقر وولده الصادق عليهما السلام منظومة أخلاقية واسعة تتضمن نصائح وإرشادات عامة استوعبت نواحي الحياة؛ منظومة قيمية لا غنى للمجتمع الإيماني والإنساني – سواء كان فرداً، أو أسرة أو جماعة – عنها، تثري الإنسان في كلا جانبيه الروحي والمادي على السواء، وتغطي مختلف علاقات الإنسان المتشعبة: علاقته بالله، علاقته بنفسه، علاقاته بغيره؛ قريباً كان أو غريباً. علماً، أنّ روايات الإمام الباقر في المجالات أعلاه (التفسير، العقيدة، الأحكام، الأخلاق) يمكن ملاحظتها بوضوح في الموسوعات الحديثية عند المسلمين.

٥- قام الإمام الباقر بدفع الشبهات عن العقيدة الحقة بالله سبحانه وصحّح الانحراف الذي طرأ عليها [1]. و أيضاً: دفع الشبهات عن سيرة جده الرسول صلى الله عليه

١- على سبيل المثال: كان بعض المسلمين يعتقدون بتعدد معاني الصفات على نحو الحقيقة فصحّح الإمام الباقر هذه العقيدة الباطلة و أثبت أحدية الذات "الله": (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم: إنه واحد صمد أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة. قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع. قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع. قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه. قال، فقال: تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك) الكافي، الكليني: ١ /١٠٨.

و أيضاً: ردَّ فرية أهل الشام الذين كانوا يعتقدون بالتشبيه والتجسيم: (عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال محمد بن علي الباقر عليهما السلام: يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عز وجل، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجره فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجل عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين. ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شئ وهو السميع العليم) التوحيد، الصدوق: ١٧٩.

وآله وسائر خلفاء الله (الأنبياء، الرسل، الأئمة)، ونقّى السنة عموماً من الأكاذيب التي تعمّد بعض الرواة والقصاصين وضعها ككعب الأحبار وغيره [١].

٦- بخصوص عقيدة الإمامة (إمامة آل محمد عليهم السلام)، فقد أوضح الإمام الباقر عليه السلام إمامتهم ورسّخها في نفوس أصحابه، وبيّن أنها في "عقب الحسين" بالتحديد، وأشار إلى دوامها وعدم خلو الأرض من إمام منهم، كما تقدم، و أيضاً: ضرورة تولي وليهم والتسليم لأمرهم والتبري من عدوهم [٢].

وبالمقابل بيّن بطلان المنهج الآخر في اختيار الإمام والحاكم المتصرف بدماء الناس وأموالهم، المنهج الذي تسبّب بالنهاية إلى اعتلاء بني أمية دفة حكم المسلمين [٣]!

١- روى الكليني بسنده: (عن زرارة قال: كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتب مستقبل الكعبة، فقال: أما إن النظر إليها عبادة فجاءه رجل من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر عليه السلام: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق، القول ما قال كعب فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك وغضب: قال زرارة ما رأيته استقبل أحدا بقول كذبت غيره ثم قال: ما خلق الله عزوجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ثم أومأ بيده نحو الكعبة ولا أكرم على الله عزوجل منها لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو العقدة وذو الحجة وشهر مفرد للعمرة [وهو] رجب) الكافي: ٤ / ٢٣٩ – ٢٤٠.

٢- روى الكليني بسنده: (عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله هل تعرف مودتي لكم و انقطاعي إليكم وموالاتي إياكم؟ قال: فقال: نعم، قال: فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فإني مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين قال: هات حاجتك، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزوجل به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزوجل به قال: إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزوجل به، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء به من عند الله والولاية لولينا والبراءة من عدونا والتسليم لأمرنا و انتظار قائمنا والاجتهاد والورع) الكافي: ٢ / ٢١ – ٢٢.

٣- فضح الامام الباقر عليه السلام قريش في تعاملها مع آل محمد عليهم السلام:

(وقد روى أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قتل فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع

٧- أشار الإمام الباقر بروايات كثيرة إلى المهدي وقائم آل محمد، ذكر فيها جوانب متعددة تتعلق بقضيته مثل: الدليل الموصل إليه، وصفاته وعلامات ظهوره وغير ذلك، وكان لرواياته دورمهم في ربط يوم القائم بيوم جده الحسين بشكل واضح.

٨- واجه الإمام الباقر عليه السلام الدعاوى والمناهج الباطلة، فمثلاً:

- حاور بعض علماء أهل الكتاب و أبطل حججهم وأوضح الحق لهم [١].
- ناقش كبار الكيسانية، وفنّد حججهم المزعومة، ورجع بعضهم للحق [٢].

الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ثم لم نزل - أهل البيت - نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير- ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٣ – ٤٤.

١- روى الإمام الصادق عليه السلام حواراً دار بين أبيه الباقر عليه السلام وبين كبير علماء النصارى في الشام، وبعد أن أجاب الإمام كل أسئلة العالم وأعيته حجة الإمام: (فنهض عالم النصارى عند ذلك قائما، وقام النصارى على أرجلهم فقال لهم عالمهم: جئتموني بأعلم مني و أقعدتموه معكم حتى يهتكني ويفضحني، وأعلم المسلمين أن لهم من أحاط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا، لا والله لا أكلمكم من رأسي كلمة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة. فتفرقوا و أبي قاعد مكانه و أنا معه، ورفع ذلك في الخبر إلى هشام بن عبد الملك، فلما تفرق الناس نهض أبي و انصرف إلى المنزل الذي كنا فيه، فو افانا رسول هشام بالجائزة، وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نحتبس، لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما جرى بين أبي وبين عالم النصارى) دلائل الإمامة، الطبري: ٢٣٩.

٢- هذه إحدى احتجاجات الإمام الباقر عليه السلام مع كبارهم:

(وتكلم بعض رؤساء الكيسانية مع الباقر في حياة محمد بن الحنفية قال له: ويحك ما هذه الحماقة! أنتم أعلم به أم نحن؟ قد حدثني أبي علي بن الحسين أنه شهد موته وغسله وكفنه والصلاة عليه و إنزاله في القبر، فقال: شُبّه على أبيك كما شبه عيسى بن مريم على اليهود، فقال له الباقر: أفتجعل هذه الحجة قضاءا بيننا وبينك؟ قال: نعم، قال: أرأيت اليهود الذين شبه عيسى عليهم كانوا أولياءه أو أعداءه قال: بل كانوا أعداءه، قال: فكان أبي عدو محمد بن الحنفية فشبه له؟ قال: لا، و انقطع ورجع عما كان عليه) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٣٣.

- حاور كبار علماء الدين والفرق في زمانه وأجاب أسئلتهم [١].
- وقف موقفاً حاسماً من الغلاة ولعنهم وبيّن بطلانهم والبراءة منهم [٢].
- رفض القياس والرأي كمبادئ تستنبط بها أحكام الشريعة [٣].

علماً، أنّ الإمام عليه السلام كان له موقف واضح من فقهاء السلاطين: (عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن مسألة فأجاب فيها، قال: فقال الرجل: إنّ الفقهاء لا يقولون هذا، فقال: يا ويحك وهل رأيت فقيهاً قط؟! إن الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله) [٤].

١- كان للإمام الباقر عليه السلام مجموعة من الحوارات مع كبار علماء الدين في وقته، مثل: الحسن البصري، قتادة بن دعامة، محمد بن المنكدر، عبد الله بن معمر الليثي، وغيرهم، وكمثال: هذا حواره مع عمرو بن عبيد كبير المعتزلة: (روى العلماء: أن عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ليمتحنه بالسؤال، فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله عز اسمه: "أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: "كانت السماء رتقا لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقا لا تخرج النبات" فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضا. ومضى ثم عاد إليه فقال له: خبرني - جعلت فداك - عن قوله جل ذكره: "ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى" ما غضب الله؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: "غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شئ فقد كفر") الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٦٥ – ١٦٦.

٢- (... قال جابر: كنا عند الباقر عليه السلام نحوا من خمسين رجلا إذ دخل عليه كثير النواء - وكان من المغيرية (أتباع المغيرة بن سعيد) - فسلّم وجلس ثم قال: إن المغيرة بن عمران عندنا بالكوفة يزعم أنّ معك ملكاً يعرفك الكافر من المؤمن، وشيعتك من أعدائك. قال: ما حرفتك؟ قال: أبيع الحنطة. قال: كذبت. قال: وربما أبيع الشعير. قال: ليس كما قلت، بل تبيع النوى. قال: من أخبرك بهذا؟ قال: الملك الذي يعرفني شيعتي من عدوي، لست تموت إلا تائهاً. قال جابر الجعفي: فلما انصرفنا إلى الكوفة، ذهبت في جماعة نسأل عن كثير، فدللنا على عجوز، فقالت: مات تائهاً منذ ثلاثة أيام) الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٢٧٥ – ٢٧٦.

(كثير النواء، سمعت أبا جعفر يقول: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبنان [ابن سمان] فإنهما كذبا علينا أهل البيت) ميزان الاعتدال، الذهبي: ٤ / ١٦١.

٣- (عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن السنة لا تقاس، وكيف تقاس السنة والحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصلاة. .....

عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرد علينا أشياء لا نجدها في الكتاب والسنة فنقول فيها برأينا؟ فقال: أما إنك إن أصبت لم توجر، وإن أخطأت كذبت على الله) المحاسن، البرقي: ١ / ٢١٤، ٢١٥.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٧٠.

المجلس العلمي للإمام الباقر(ع):

كان للإمام الباقر عليه السلام مجلس علمي يتصدّى فيه للبيان والحوار وإجابة الأسئلة المتعلقة بعلوم ومعارف الدين المختلفة كالتفسير والعقيدة والفقه والحديث ونحو ذلك، يعقده في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله عندما تسنح له الفرصة وإلا ففي داره، يحضره أصحابه وتلاميذه، ويرتاده بعض علماء المسلمين على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية، مثل: الزهري وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وقتادة بن دعامة والحكم بن عتيبة و ابن جريج والأوزاعي وبسام الصيرفي و أبي حنيفة وغيرهم.

(عن عبد الله بن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليهم السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته في القوم - بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه) [١].

لم يشتهر علم الإمام الباقر عليه السلام في الحجاز فحسب، ولكن اشتهر أيضاً في العراق وخراسان حيث صاروا يقصدونه ويلتفون حوله يطرحون عليه ما أشكل عليهم من مسائل في دينهم:

(عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إذا أقبل رجل فسلم فقال: من أنت يا عبد الله؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام؟ فقلت: نعم فما حاجتك إليه قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته، قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرني، فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبا منه، قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام وحوله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم و انصرفوا التفت إلى الرجل فقال له: من أنت؟ قال: أنا

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٦٠.

قتادة بن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام : أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله جل وعز خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك أتدري أين أنت أنت بين يدي "بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة" فأنت ثم ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين، .....)، ثم سأل الإمام بعض الأسئلة الفقهية وأجابه عنها [١].

لم يمنع الإمام خيره وهداه حتى عمّن طلب الهدى من أحفاد خلفاء بني أمية:

(عن أبي حمزة، قال: دخل سعد بن عبد الملك وكان أبو جعفر عليه السلام يسميه سعد الخير وهو من ولد عبد العزيز بن مروان على أبي جعفر عليه السلام فبينا ينشج كما تنشج النساء قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما يبكيك يا سعد؟ قال وكيف لا أبكي و أنا من الشجرة الملعونة في القرآن، فقال له: لست منهم أنت أموي منا أهل البيت أما سمعت قول الله عزوجل يحكي عن إبراهيم: "فمن تبعني فإنه مني") [٢].

بلغ عدد تلاميذ الإمام الباقر عليه السلام المئات، وكان لبعضهم دور بارز في حفظ أحاديث الإمام وتراثه العلمي الربّاني، وبالتالي إعانة الأئمة عليهم السلام في هداية الأمة المؤمنة وتثبيت أركان الدين الحق، أمثال: زرارة بن أعين، و أبي بصير، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي:

١- الكافي، الكليني: ٦ / ٢٥٦ – ٢٥٧.

٢- الاختصاص، المفيد: ٨٥.

(عن إبراهيم بن عبد الحميد وغيره، قالوا: قال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام.

... عن أبي عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: زرارة و أبو بصير ومحمد بن مسلم وبريد من الذين قال الله تعالى "والسابقون السابقون أولئك المقربون".

... عن سليمان بن خالد الاقطع، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أجد أحدا أحيى ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام الا زرارة و أبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة.

... عن جميل بن دراج، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبد الله عليه السلام من أهل الكوفة من أصحابنا. فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: لقيت الرجل الخارج من عندي؟ فقلت: بلى هو رجل من أصحابنا من أهل الكوفة، فقال: لا قدس الله روحه ولا قدس مثله انه ذكر أقواماً كان أبي عليه السلام ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة علمه وكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سري أصحاب أبي عليه السلام حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءا صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياءاً وأمواتاً يحيون ذكر أبي عليه السلام بهم يكشف الله كل بدعة ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين، ثم بكى. فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله ورحمته أحياءا وأمواتاً، بريد العجلي وزرارة و أبو بصير ومحمد بن مسلم، أما أنه يا جميل سيبين لك أمر هذا الرجل إلى قريب، قال جميل: فوالله ما كان الا قليلا حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى أصحاب أبي الخطاب، قلت: الله يعلم حيث يجعل رسالاته، قال جميل: وكنا نعرف أصحاب أبي الخطاب ببغض هؤلاء رحمة الله عليهم) [1].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٧ – ٣٤٩.

ويوجد غيرهم أيضاً، مثل: أبان بن تغلب الذي كان يطلب منه الإمام أن يجلس في مسجد الرسول ويفتي الناس بما عرفه من الإمام:

"إجلس في مجلس المدينة و أفت الناس فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك" [١].

اصطناع الأمة المؤمنة:

حتى تتشكّل الأمة المؤمنة فهي بحاجة إلى عدة مقوّمات أساسية:

١- وجود القيّم الإلهي (الإمام المعصوم).
٢- وجود القابل للحق؛ المعتقد بإمامة الإمام المعصوم.
٣- حلقة الوصل بين القيّم (الإمام) و أفراد الأمة القابلة للحق.

العنصران الأخيران توفرا في زمن الإمام الباقر عليه السلام بنسبة جيدة قياساً بظروف بقية الأئمة عليهم السلام، فقد ربّى الإمام بعض تلاميذه وأصحابه الخاصين وأعدّهم بشكل يؤهلهم لأن يكونوا حلقة وصل بينه وبين أفراد الأمة الذين اعتقدوا وآمنوا بإمامته وخلافته الإلهية وهم منتشرون في بلدان كثيرة، منها: الحجازوالعراق وخراسان.

دور الإمام الباقر في بناء وتنظيم الأمة المؤمنة كان مهماً وأساسياً، فقد ابتدأ بوضع الحجر الأساس الذي تتطلبه عملية التنظيم بما يحصّن الأمة ويمنحها مقوّمات الحياة والثبات بوجه الخطط والمشاريع الشيطانية التي يقودها علماء الضلال أو الساسة الطغاة (بنو أمية فيما تبقّى لهم من وقت وطغاة بني العباس بعدهم). ثم أكمل ولده الإمام الصادق مشوار أبيه وأحكم تلك الأسس بصورة أكبر فأصبح هيكل الحق أكثر قوة وصلابة، وهذا يعني أنّ الأمة المؤمنة بالحق مَدينة – في عملية اصطناعها وبناء مقومات الصمود والثبات فيها – إلى هذين الإمامين الهمامين صلوات الله عليهما.

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣٠ / ٢٩١.

بعد العمل والجهد الكبير الذي قام به الباقر عليه السلام، صار بوسع المؤمن المعتقد بالحق أن يعرف دينه ويتعلّمه ويعلّمه بل يكتب ويدوّن فيه نتيجة البيانات الوفيرة التي بثها في كشف حقائق الدين الإلهي؛ عقيدة وشريعة!

قال الإمام الصادق عليه السلام: "وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس" [١].

يكفي أن نعرف أنّ محمد بن مسلم وجابر الجعفي رضوان الله عليهما وحدهما رويا عنه آلاف الأحاديث في شتّى صنوف المعارف والعلوم الدينية:

- (عن محمد بن مسلم، قال: ما شجر في رأيي شئ قط الا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر ألف حديث) [٢].
- (وروي أنه (جابر الجعفي) روى سبعين ألف حديث عن الباقر عليه السلام) [٣].

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٢٠.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٨٦.

٣- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣٠ / ٣٢٩.

ملاحظة: مسألة رواية جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام آلاف الأحاديث ذكرها مسلم في صحيحه، قال: ((وحدثني) سلمة بن شبيب حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال كان الناس يحملون عن جابر قبل ان يظهر ما أظهر فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه وتركه بعض الناس فقيل له وما اظهر قال الايمان بالرجعة (وحدثنا) حسن الحلواني حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا قبيصة واخوه انهما سمعا الجراح بن مليح يقول سمعت جابرا يقول عندي سبعون الف حديث عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها (وحدثني) حجاج بن الشاعر حدثنا أحمد بن يونس قال سمعت زهيرا يقول قال جابر أو سمعت جابرا يقول إن عندي لخمسين الف حديث ما حدثت منها بشئ قال ثم حدث يوما بحديث فقال هذا من الخمسين ألفا (وحدثني) إبراهيم بن خالد اليشكري قال سمعت أبا الوليد يقول سمعت سلام بن أبي مطيع يقول سمعت جابرا الجعفي يقول عندي خمسون الف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ....) صحيح مسلم: ١ / ١٥ – ١٦.

وبالنسبة لجابر الجعفي، فقد لحق بالإمام الباقر عليه السلام وهو شاب:

(عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام و أنا شاب فقال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: ممن؟ قلت: من جعف، قال: ما أقدمك إلى المدينة؟ قلت: طلب العلم، قال: ممن؟ قلت: منك، قال: فإذا سألك أحد من أين أنت فقل من أهل المدينة، قلت: أسألك قبل كل شئ عن هذا أيحل لي أن أكذب؟ قال: ليس هذا بكذب من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج ...)، ثم دفع إليه كتباً فيها أحاديث وطلب منه أن لا يحدث بها ما دام لبني أمية سلطان، ولا يكتمها بعد هلاكهم [١].

بقي جابر ملازماً للإمام عليه السلام ثمانية عشر عاماً، ولما أراد أن يرحل عنه طلب منه نصيحة فنصحه [٢].

وعموماً، بفضل جهود الإمام الباقر عليه السلام صار شيعة آل محمد عليهم السلام يجلسون ويتحدثون ويتعلّمون دين الله الحق المرضي له سبحانه:

(عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟ فقلت: إي والله إنا لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا، فقال: أما والله لوددت أني معكم

١- أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٤ / ٥٢ – ٥٣.

٢- الطوسي: (عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: خدمت سيدنا الامام أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام ثماني عشرة سنة، فلما أردت الخروج ودعته، وقلت: أفدني. فقال: بعد ثماني عشرة سنة، يا جابر! قلت: نعم إنكم بحر لا ينزف ولا يبلغ قعره. فقال: يا جابر، بلغ شيعتي عني السلام، وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عزوجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له. يا جابر، من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا. يا جابر، من هذا الذي يسأل الله فلم يعطه، أو توكل عليه فلم يكفه، أووثق به فلم ينجه! يا جابر، انزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحويل عنه، وهل الدنيا إلا دابة ركبتها في منامك فاستيقظت و أنت على فراشك غير راكب ولا اخذ بعنانها، أو كثوب لبسته أو كجارية وطأتها. يا جابر، الدنيا عند ذوي الألباب كفئ الظلال، لا إله إلا الله إعزازلأهل دعوته، الصلاة تثبيت للإخلاص وتنزيه عن الكبر، والزكاة تزيد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، القصاص والحدود حقن الدماء، وحبنا أهل البيت نظام الدين، وجعلنا الله و إياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) الأمالي: ٢٩٦.

في بعض تلك المواطن، أما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم، و إنكم على دين الله ودين ملائكته فأعينوا بورع واجتهاد) [١].

الراوي "ميسر": هو ميسر بن عبد العزيز الكوفي، أحد شيعة الإمام الباقر عليه السلام، وهو من أهل الكوفة، والكوفة مدينة كبيرة وفيها بساتين كثيرة وكان بإمكان شيعة الإمام أن يلتقوا ويتحدثوا فيما بينهم؛ لذلك سأله الإمام عن شيعته وعن إمكانية لقاء بعضهم ببعض للجلوس والحديث، وسؤال الإمام هذا يكشف عن مدى الظلم الذي عاناه الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، كما أنّ رغبته بأن يكون حاضراً معهم في بعض تلك المواطن فيه إشارة إلى أنّ اجتماع المؤمنين أمر مطلوب عند آل محمد عليهم السلام؛ باعتباره جزءاً من بناء الأمة المؤمنة كما لا يخفى.

و أيضاً: كان الإمام يصرّح بمدح الأمة المؤمنة علناً أحياناً في مسجد الرسول:

(عن أبي الصامت، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مررت أنا و أبو جعفر عليه السلام على الشيعة وهم ما بين القبر والمنبر، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: شيعتك ومواليك جعلني الله فداك، قال: أين هم؟ فقلت: أراهم ما بين القبر والمنبر، فقال: اذهب بي إليهم فذهب فسلّم عليهم، ثم قال: والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم فأعينوا مع هذا بورع واجتهاد، إنه لا ينال ما عند الله إلا بورع واجتهاد وإذا ائتممتم بعبد فاقتدوا به، أما والله إنكم لعلى ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل وإن كان هؤلاء على دين أولئك فأعينوا على هذا بورع واجتهاد) [٢].

بالتأكيد، كان الإمام الباقر عليه السلام يعرف أصحابه ولا يعقل أنه لا يعرف شيعته الذين كانوا يتواجدون في مسجد الرسول، إذن ما معنى قول ولده الصادق عليه السلام له: "شيعتك ومواليك" ويأخذه ليسلّم عليهم، ويبدو أنه يلتقيهم أول مرة!

١- الكافي، الكليني: ٢ / ١٨٧.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٤٠.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معنى الرواية:

(الرواية قد تبدو غريبة: "مررت أنا وأبو جعفر على الشيعة ..."؛ إذ لا يعقل أنّ الإمام الباقر عليه السلام لا يعرف أصحابه الذين كانوا يجلسون معه في المسجد النبوي، لكن الرواية بالحقيقة تتحدث عن أصحاب الصادق عليه السلام الشباب؛ حيث كان له مجلس في حياة أبيه كما كان لأبيه الباقر عليه السلام مجلس في حياة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام.

الإمام الباقر عليه السلام كبير بالعمر وهؤلاء شباب لم يكونوا يحضرون مجلسه وإنما كانوا يحضرون مجلس ولده الصادق عليه السلام، ولذلك قال لأبيه: "شيعتك ومواليك جعلني الله فداك"! أي: هؤلاء أصحابي الذين أعلمهم الدين الحق وهم من شيعتك، فسأله الإمام الباقر عليه السلام أن يذهب به إليهم، ولما رآهم سلّم عليهم وقال لهم: "إني لأحب ريحكم ... إلخ".

"وإذا ائتممتم بعبد فاقتدوا به": المقصود بالعبد هو الإمام الصادق عليه السلام، أي أنه يقول لهم: أنتم لما عرفتم أنّ الصادق عليه السلام إمام إذن فاقتدوا به واعملوا مثله وسيروا بسيرته في الورع والعبادة ... إلخ، ولا تكتفوا بالقول إنه إمامكم وانتهى الأمر!

"أما والله إنكم لعلى ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل وإن كان هؤلاء على دين أولئك فأعينوا على هذا بورع واجتهاد"

- "هؤلاء": أي أنا وابني جعفر.
- "أولئك": أي إبراهيم وإسماعيل.

والمعنى: طالما أنكم عرفتم بأني وابني جعفر على دين الأنبياء إبراهيم وإسماعيل وآمنتم بأننا أئمتكم فأعينونا على هذا بورع واجتهاد على العبادة والطاعة؛ باعتبار أنّ هؤلاء هم العلماء والفقهاء الذين يقوم الإمام الصادق بتربيتهم) انتهى [1].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الإمام الباقر(ع) يخبر بملك بني العباس:

أخبر الإمام الباقر عليه السلام بملك بني العباس والحكم الأموي لا زال قائماً، ووصف أبو جعفر المنصور بالجبار:

(عن أبي بصير قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالساً في المسجد إذا أقبل داود بن علي [١] وسليمان بن خالد و أبو جعفر عبد الله بن محمد أبو الدوانيق فقعدوا ناحية من المسجد فقيل لهم: هذا محمد بن علي جالس، فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد وقعد أبو الدوانيق مكانه حتى سلموا على أبي جعفر عليه السلام فقال لهم أبو جعفر عليه السلام: ما منع جباركم من أن يأتيني فعذروه عنده فقال عند ذلك أبو جعفر محمد بن علي عليها السلام: أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين قطريها، ثم ليطان الرجال عقبه ثم لتذلن له رقاب الرجال ثم ليملكن ملكاً شديداً، فقال له داود بن علي: وإن ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم يا داود إن ملككم قبل ملكنا وسلطانكم قبل سلطاننا، فقال له داود: أصلحك الله فهل له من مدة؟ فقال: نعم يا داود والله لا يملك بنو أمية يوما إلا ملكتم مثليه ولا سنة إلا ملكتم مثليها وليتلقفها الصبيان منكم كما تلقف الصبيان الكرة، فقام داود بن علي من عند أبي جعفر عليه السلام فرحاً يريد أن يخبر أبا الدوانيق بذلك فلما نهضا جميعاً هو وسليمان بن خالد ناداه أبو جعفر عليه السلام من خلفه يا سليمان بن خالد لا يزال القوم في فسحة من ملكهم ما لم يصيبوا منا دماً حراماً - وأومأ بيده إلى صدره - فإذا أصابوا ذلك الدم فبطن الأرض خير لهم من ظهرها فيومئذ لا يكون لهم في الأرض ناصر ولا في السماء عاذر، ثم انطلق سليمان بن خالد فأخبر أبا الدوانيق فجاء أبو الدوانيق إلى أبي جعفر عليه السلام فسلم عليه ثم أخبره بما قال له داود بن علي وسليمان بن خالد، فقال له: نعم يا أبا جعفر دولتكم قبل دولتنا وسلطانكم قبل سلطاننا، سلطانكم شديد عسر لا يسر فيه. وله مدة طويلة والله لا يملك بنو أمية يوماً إلا ملكتم مثليه ولا سنة إلا ملكتم مثليها ليتلقفها صبيان منكم فضلاً عن رجالكم كما يتلقف الصبيان الكرة أفهمت؟ ثم قال: لا تزالون في عنفوان الملك ترغدون فيه ما لم تصيبوا منا دماً حراماً فإذا أصبتم ذلك الدم غضب الله عز وجل عليكم فذهب بملككم وسلطانكم

١- هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عم السفاح والمنصور العباسيين.

وذهب بريحكم وسلط الله عزوجل عليكم عبداً من عبيده أعور- وليس بأعور من آل أبي سفيان - يكون استيصالكم على يديه و أيدي أصحابه ثم قطع الكلام) [١].

و أيضاً: (عن الأعمش، قال: قال لي المنصور- يعني أبا جعفر الدوانيقي -: كنت هارباً من بني أمية، أنا وأخي أبو العباس، فمررنا بمسجد المدينة ومحمد بن علي الباقر جالس، فقال لرجل إلى جانبه: كأني بهذا الأمر وقد صار إلى هذين. فأتى الرجل فبشّرنا به، فملنا إليه، وقلنا: يا بن رسول الله، ما الذي قلت؟ فقال: هذا الأمر صائر إليكم عن قريب، ولكنكم تسيئون إلى ذريتي وعترتي، فالويل لكم عن قريب. فما مضت الأيام حتى ملك أخي وملكتها) [٢].

علماً، أنّ الإمام عليه السلام قال لهما هذا الكلام وهما في ذلك الوقت كانا مجرد تابعين للحسنيين بزعامة عبد الله بن الحسن المثنى [٣].

كان المنصور العباسي إذا سمع كلاماً صادراً من الإمام الباقر عليه السلام علم أنه حاصل لا محال ولا يتردد في تصديقه، بالرغم من عدائه وحقده على آل محمد عليهم السلام:

(عن سيف بن عميرة قال: كنت عند أبي الدوانيق فسمعته يقول ابتداء من نفسه: يا سيف بن عميرة لا بد من مناد ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب، قلت: يرويه أحد من الناس؟ قال: والذي نفسي بيده لسمعت اذني منه يقول: لا بد من مناد ينادي باسم رجل، قلت: يا أمير المؤمنين إن هذا الحديث ما سمعت بمثله قط، فقال لي: يا سيف إذا كان ذلك

١- الكافي، الكليني: ٨ / ٢١٠ – ٢١٢.

٢- دلائل الإمامة، الطبري: ٢١٩.

٣- روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده: (حدثني عمير بن الفضل الخثعمي قال: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود، و أبو جعفر (أي: المنصور العباسي) ينتظره فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب، ثم سوّى ثيابه على السرج ومضى محمد فقلت وكنت حينئذ اعرفه ولا اعرف محمدا. من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال: أوما تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن مهدينا أهل البيت) مقاتل الطالبيين: ١٦١ – ١٦٢.

فنحن أول من يجيبه أما إنه أحد بني عمنا، قلت: أي بني عمكم؟ قال: رجل من ولد فاطمة عليهما السلام، ثم قال: يا سيف لولا أني سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقوله، ثم حدثني به أهل الأرض ما قبلته منهم ولكنه محمد بن علي عليهما السلام) [١].

حتى إنه لما سمع محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى يفتخر بنفسه ويعدد مزاياه التي ينفرد بها (بحسبه طبعاً)، كتب له المنصور العباسي قائلاً:

(..... وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً و أباً و أنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً فانظر ويحك أين أنت من الله غداً فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفساً و أباً وأولاً وآخراً إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين وهو لأم ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ولا مثل ابنه جعفر وجدّته أم ولد ولهو خير منك) [٢].

الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم قوم لا يقاس بهم أحد من الناس بما في ذلك إخوتهم و أقربائهم وبني عمومتهم، وهذا أمر يشهد به الجميع بما فيهم المنصور العباسي وغيره من طغاة بني أمية وبني العباس وغيرهم.

١- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٠٩ – ٢١٠.

٢- تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٧ – ١٩٨.

الإمام الباقر وأهل بيته:

من جهة إخوته:

كان للإمام علي بن الحسين عليه السلام عشرة أولاد ذكور، هم: الإمام محمد الباقر عليه السلام، وعبد الله "الباهر"، وزيد الشهيد، وعمر "الأشرف"، والحسن، والحسين، والحسين الأصغر، وعبد الرحمن، وسليمان، وعلي [١].

وقيل: إنّ أولاده أكثر من ذلك [٢].

أحب إخوة الإمام الباقر على قلبه أربعة منهم، هم: عبد الله وعمر وزيد والحسين:

(روى أبو الجارود زياد بن المنذر، قال: قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام: أي إخوتك أحب إليك و أفضل؟ فقال عليه السلام: "أما عبد الله فيدي التي أبطش بها – وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه - وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) [٣].

وهذه بعض الملاحظات التي تخصهم:

١- يُعرف عبد الله بالباهر؛ لحسن صورته، وكان هو وأخوه الباقر عليه السلام لأم واحدة (أم عبد الله بنت الإمام الحسن السبط). ولي صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وله عقب من ولده محمد الأرقط [٤].

١- انظر: الارشاد، المفيد: ٢ / ١٥٥.

٢- قيل: اثنا عشر. انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٣١١. وقيل: خمسة عشرة. انظر: الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، الفخر الرازي: ١ / ٨٧ – ٨٨.

٣- الناصريات، المرتضى: ٦٤.

٤- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٦٩؛ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢٥٢.

وعموماً، سيتضح لاحقاً أنّ الأرقط هذا له موقف سيئ مع الإمام الصادق عليه السلام.

٢- عمر الأشرف وزيد الشهيد لأم واحدة، وهي جارية بعث بها المختار الثقفي رضوان الله عليه إلى الإمام زين العابدين عليه السلام. ولي صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام [١]. له ولد واحد اسمه "علي"، كان حسن الاعتقاد، مؤمناً بعمّه الباقر وابنه الصادق صلوات الله عليهما، روى إسحاق بن جعفر "المؤتمن" عنه حديثاً عن الإمام الصادق في إمامة ولده الكاظم عليه السلام:

(إسحاق بن جعفر قال: كنت عند أبي يوماً، فسأله علي بن عمر بن علي فقال: جعلت فداك إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك؟ فقال: إلى صاحب الثوبين الأصفرين والغديرين - يعني الذؤابتين - وهو الطالع عليك من هذا الباب، يفتح البابين بيده جميعاً، فما لبثنا أن طلعت علينا كفان آخذة بالبابين ففتحهما ثم دخل علينا أبو إبراهيم) [٢].

أبو إبراهيم: هي كنية الإمام الكاظم صلوات الله عليه.

٣- بالنسبة لـ "الحسين" ابن الإمام زين العابدين، فقد روى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين وعمّته فاطمة بنت الحسين وأخيه أبي جعفر عليهم السلام [٣].

٤- أما "علي" ابن الإمام زين العابدين، فله ولد اسمه "الحسن" وهو المعروف بـ "الأفطس"، كان له موقف سيّئ مع الإمام الصادق عليه السلام، كما سيتضح.

١- انظر: الارشاد، المفيد: ٢ / ١٧٠.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٨.

٣- انظر: الارشاد، المفيد: ٢ / ١٧٤.

من جهة أبناء عمومته:

أشد الحسنيين إيذاءً للإمام الباقر عليه السلام هو زيد بن الإمام الحسن السبط؛ خصوصاً فيما يتعلق بمسألة صدقات الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، وقد شكاه إلى القاضي الأموي؛ لأنه معروف عنه أنه يتمتع بعلاقة جيدة مع الأمويين وولاتهم ويتولّى لهم بعض الأعمال، وكان الإمام الباقر عليه السلام يرسل أحياناً أخاه زيداً "الشهيد" لينوب عنه في المرافعات، ثم اضطره أخيراً للمثول بنفسه بغرض إيذائه. و أيضاً: كان زيد يشي بالإمام الباقر لهشام بن عبد الملك ويهيجه عليه، بل روى بعض المؤرخين أنه الأداة التي استعملها الطاغية الأموي لقتل الامام بالسم [١]، وسيتضح أكثر عند ذكر شهادته صلوات الله عليه!

و أيضاً: كان ابن أخيه "عبد الله بن الحسن المثنى" يستثقل مسألة تفضيل الإمام الباقر عليه واختصاصه بالإمامة دونه، ويقول: "بماذا فضلني محمد بن علي"!

(جابر بن يزيد الجعفي قال: مررت بمجلس عبد الله بن الحسن قال: بماذا فضلني محمد بن علي؟ ثم أتيت إلى أبي جعفر فلما بصرني ضحك إليّ ثم قال: يا جابر اقعد فإنه أول داخل يدخل عليك في هذا الباب عبد الله بن الحسن، فجعلت أرمق ببصري نحو الباب و أنا مصدق لما قال سيدي إذ أقبل يسحب أذياله، فقال له: يا عبد الله أنت الذي تقول: بماذا فضلني محمد بن علي ان محمدا وعليا ولداه وقد ولداني؟ ...) [٢].

١- انظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٦٠٠ – ٦٠٤.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣١٨ – ٣١٩.

الإمام الباقر(ع) وبني أمية:

الإمام الباقر(ع) وعمر بن عبد العزيز:

ذكرنا سابقاً أنّ الإمام الباقر عليه السلام تولّى الإمامة بعد شهادة أبيه سنة ٩٤ هـ في أواخر عهد الطاغية الوليد بن عبد الملك الذي هلك سنة ٩٦ هـ فخلفه أخوه سليمان ولم يدم ملكه طويلاً؛ إذ مرض بعد موت ابنه "أيوب" بالطاعون، وكان يعدّه لخلافته، فمات بعده بأربعين يوماً في سنة ٩٩ هـ، وكان قبل موته أوصى لابن عمّه عمر بن عبد العزيز، وجعل أخاه يزيد بن عبد الملك ولياً للعهد لإسكات إخوته (من بقي من ولد عبد الملك) [١]، والسبب في ذلك أنّ سليمان لم يكن لديه ولد مؤهل لخلافته، إضافة إلى أنه لاحظ ميول الناس لعمر بن عبد العزيز في مقابل زيادة نقمتهم على غيره من الأمويين نتيجة ظلمهم وطغيانهم وفسادهم، وبعد هلاك سليمان أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة سنة ٩٩ هـ.

لا شك أنّ فترة حكم عمر بن عبد العزيز التي دامت سنتين (٩٩ – ١٠١ هـ) كانت كافية لأن يبدأ الإمام الباقر صلوات الله عليه ثورته العلمية ويبث علومه الربّانية بغزارة؛ باعتبار أنّ سيرة عمر بن عبد العزيز تختلف جذرياً عن سائر خلفاء بني أمية (من تقدّموا عليه أو تأخّروا عنه)، فقد قام بمجموعة من الأعمال المهمة، ومنها رد بعض مظالم آل محمد عليهم السلام، وقد تقدم أنه منع سب أمير المؤمنين على منابر الأمويين، وردَّ فدكاً وصدقات الرسول على آل محمد [٢].

و أيضاً: المعروف عنه أنه كان يحب الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(وذكره يوماً عمر بن عبد العزيز، فقال: ذهب سراج الدنيا، وجمال الاسلام، وزين العابدين، فقيل له: إنّ ابنه أبا جعفر محمد بن علي فيه بقية، فكتب عمر يختبره، فكتب

١- ورد في وصيته: (أما بعد فإني قد استخلف عليكم من بعدي عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعوا لهما وأطيعوا ...) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢١ / ٣٣٨؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٣٣٦.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – ما بعد ثورة المختار: "عمر بن عبد العزيز يوقف سب علي(ع) ويعيد فدكاً لأهلها".

إليه محمد كتاباً يعظه ويخوفه، فقال عمر: أخرجوا كتابه إلى سليمان، فأخرج كتابه، فوجده يقرظه، ويمدحه، فأنفذ إلى عامل المدينة، وقال له: أحضر محمداً، وقل له: هذا كتابك إلى سليمان تقرظه، وهذا كتابك إلي مع ما أظهرتُ من العدل والإحسان! فأحضره عامل المدينة، وعرفه ما كتب به عمر، فقال: إنّ سليمان كان جبّاراً كتبت إليه بما يكتب إلى الجبّارين، وإنّ صاحبك أظهر أمراً فكتبت إليه بما شاكله. وكتب عامل عمر إليه بذلك، فقال عمر: إنّ أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل [١].

ونكث عمر أعمال أهل بيته وسمّاها مظالم، وكتب إلى عمّاله جميعاً: أما بعد، فإنّ الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء، قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان، ومن أراد الحج، فعجّلوا عليه عطاءه، حتى يتجهز منه، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني، وترك لعن علي بن أبي طالب على المنبر، وكتب بذلك إلى الآفاق) [٢].

وعموماً، استمر عمر بن عبد العزيز بالتواصل مع الإمام الباقر عليه السلام وطلب نصحه، وكان من ضمن من وفدوا عليه من الفقهاء والعلماء الذين طلب حضورهم:

(عن أبي حمزة: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي بعث إلى الفقهاء فقرّبهم وكانوا أخص الناس به بعث إلى محمد بن علي بن حسين أبي جعفر..... قال: بينما هو جالس في الناس ينتظرون الدخول على عمر إذ أقبل ابن حاجب عمر وكان أبوه مريضاً فقال أين أبو جعفر ليدخل فأشفق محمد بن علي أن يقوم فلا يكون هو الذي دعا به فنادى ثلاث مرات قال لم يحضر يا أمير المؤمنين قال بلى قد حضر حدثني بذلك الغلام قال فقد ناديته ثلاث مرات قال كيف قلت قال قلت أين أبو جعفر قال ويحك اخرج فقل أين محمد ابن علي فخرج فقام فدخل فحدثه ساعة وقال إني أريد الوداع يا أمير المؤمنين قال عمر فأوصني يا أبا

١- خلاصة الحادثة: إنّ عمر بن عبد العزيز انزعج من كتاب الإمام له؛ إذ فيه وعظ وتخويف، وقارنه بكتاب الإمام السابق إلى عمّه سليمان فوجد فيه تقريظاً ومدحاً، فكتب عمر إلى واليه على المدينة أن يسأل الامام الباقر عن سبب ذلك، فأوضح الإمام عليه السلام له أنّ عمر بن عبد العزيز لما كان يريد العمل بالعدل والإنصاف ورد المظالم كان الوعظ والنصح الذي يناسبه هو التخويف والتذكير، بخلاف سليمان الذي كان طاغية جباراً.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٠٥.

جعفر قال أوصيك بتقوى الله و اتخذ الكبير أباً والصغير ولداً والرجل أخاً فقال رحمك الله جمعت لنا والله ما إن أخذنا به وأماتنا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله ثم خرج فلما انصرف إلى رحله أرسل إليه عمر إني أريد أن آتيك فاجلس في إزار ورداء فبعث إليه لا بل أنا آتيك فأقسم عليه عمر فأتاه عمر فالتزمه ووضع صدره على صدره و أقبل يبكي ثم جلس بين يديه ثم قام وليس لأبي جعفر حاجة سأله إياها إلا قضاها له و انصرف فلم يلتقيا حتى ماتا جميعاً رحمهما الله) [١].

علماً، أنّ الإمام عليه السلام كان قد أخبر بملك عمر بن عبد العزيز في أيام وجوده بالمدينة قبل خلافته بسنين:

(قال أبو بصير: كنت مع الباقر عليه السلام في المسجد، إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز، عليه ثوبان ممصران متكئاً على مولى له. فقال عليه السلام: ليلين هذا الغلام، فيظهر العدل، ويعيش أربع سنين، ثم يموت فيبكي عليه أهل الأرض، ويلعنه أهل السماء. فقلنا: يا بن رسول الله، أليس ذكرت عدله و إنصافه؟ قال: يجلس في مجلسنا، ولا حق له فيه، ثم ملك وأظهر العدل جهده!) [٢].

لكن، هذا لا يعني أنّ حاله كحال خلفاء بني أمية الآخرين، بل الحق أنه يختلف عنهم بل يكاد يكون حالة "شاذة، نشاز" بينهم، وهو كذلك بالفعل. ولذا ورد عن الباقر عليه السلام أنه "يُحشر أمة وحده"، ووصفه بـ"نجيب بني أمية"؛ لأن الرجل رد بعض مظالم آل محمد عليهم السلام، والله سبحانه لا يضيع عنده شيء إطلاقاً!

(وسُئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال: هو نجيب بني أمية و إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده) [٣].

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٤ / ٢٧٠.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٢٧٦. "ثوبان ممصّران": فيهما صفرة خفيفة.

٣- تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٥٠؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١ / ١١٩.

ولا أقل، أنه جرّأ الناس على بني أمية وكشف فسادهم وظلمهم، بل كان يعزّر كل من يصف يزيد – لعنه الله – بإمرة المؤمنين [١].

وعموماً، أحس الأمويون بخطورة بقاء عمر بن عبد العزيز في منصب الخلافة؛ خصوصاً بعد أن قام بتغيير الولاة المعروفين بولائهم لبني أمية لظلمهم وفسادهم، وبدأ برد الظلامات، ومنح المسلمين فسحة من الحرية ونحوها من تصرفات لم ترق للأمويين، وبالتالي لم يمنحوه أكثر من سنتين، وقيل إنه مات مسموماً، ولا يبعد أنهم اغتالوه.

بعد موت عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ، خلفه عمّه يزيد بن عبد الملك الذي أرجع الأمر إلى ما كان عليه، فقام بعزل جميع عمّال عمر وأعاد تنصيب الولاة المعروفين بولائهم لبني أمية، و انتزع فدكاً من آل محمد من جديد، إلى غير ذلك من إجراءات تعسفية ظالمة، وبعد هلاكه سنة ١٠٥ هـ ملك أخوه الطاغية هشام بن عبد الملك.

علماً، أنّ انشغال الأمويين – في هذه الفترة – بترتيب وضع البلدان التي شهدت خلافات وثورات بعض المتمردين على الحكم الأموي كالخوارج وغيرهم سمح للإمام الباقر عليه السلام بالاستمرار بمشروعه الإلهي المكلّف به، قبل أن يستشعر الطاغية هشام خطورة الوضع ويقرر قتل الإمام!

الإمام الباقر(ع) وهشام بن عبد الملك:

ملك هشام سنة ١٠٥ هـ، وكان قبل ذلك يتولى الحج لأبيه وإخوته الذين حكموا قبله، وكان يبغض آل محمد عليهم السلام بغضاً شديداً وقد مرَّبنا سابقاً عدم قدرته على سماع مدح الإمام علي بن الحسين وشيء من فضائله التي نطق بها الفرزدق بمحضره قرب الكعبة وأمر بسجنه [٢].

١- (عن نوفل بن أبي الفرات، قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل: قال أمير المؤمنين يزيد، فأمر به فضرب عشرين سوطاً) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٤٠؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ١١ / ٣١٧.

٢- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٣٩٨ – ٣٩٩.

هشام الأحول [١] هذا، كان يسمّي الإمام الباقر عليه السلام "نبي أهل الكوفة"، وصادف أن تزامن حجّه مع ذهاب الإمام الباقر إلى الحج، فرأى الإمام وقد أحاطت به الحجيج من كل جانب يحتفون به ويسألونه، فاتفق مع نافع مولى عبد الله بن عمر [٢] على أن يذهب للإمام ويطرح عليه مسائل عظيمة بهدف إحراجه أمام الناس، ولكن خاب فألهما فقد أجاب الإمام الباقر أسئلة نافع بما جعله يقر بعظمة علمه، وعاد لهشام مذهولاً، فسأله: (ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك، هذا والله أعلم الناس حقاً حقاً وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً) [٣].

١- ذكرت المصادر التاريخية أنّ الطاغية هشام بن عبد الملك كان أحول العينين، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ٣٨٣.

٢- كان نافع أحد فقهاء الدولة الأموية البارزين، وليس مجرد مرافق عادي لهشام بن عبد الملك، وهذا واضح من الأسئلة التي وجهها إلى الإمام الباقر عليه السلام.

٣- هذا تمام الرواية للفائدة: (عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداك عليه الناس فقال: هذا نبي أهل الكوفة هذا محمد بن علي، فقال: أشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي، قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، قال: فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك، فقال: اخبرني كم بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وآله من سنة قال: أخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعا، قال: أما في قولي فخمسمائة سنة وأما في قولك فستمائة سنة قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه: "واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون" من الذي سأل محمد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا" فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعا و أقام شفعا وقال في أذانه: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنك رسول الله، أخذ على ذلك عهودنا وموا ثيقنا، فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر، فأخبرني عن قول الله عز وجل: "أ ولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما"؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقا لا تمطر شيئا وكانت الأرض رتقا لا تنبت شيئا فلما أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أمر السماء فتقطرت بالغمام ثم أمرها فأرخت عزاليها ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار و أثمرت الثمار وتفهقت بالأنهار فكان ذلك رتقها وهذا فتقها، قال نافع: صدقت يا ابن

وبخصوص تلقيب الإمام بـ"الباقر" الذي خصّه به جده الرسول صلى الله عليه وآله، كان لهشام موقف استهزاء منه ومشادة حصلت بينه وبين زيد بن علي قبل استشهاده:

- (دخل زيد بن عليّ على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد: سمّاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم باقراً وتسميه بقرة! لقد اختلفتما) [١].
- (ووفد زيد بن علي عليه السلام على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ما فعل أخوك البقرة - يعني الباقر- فقال زيد لشد ما خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله سماه رسول الله الباقر وتسميه البقرة لتخالفنه في يوم القيامة فيدخل الجنة وتدخل النار) [٢].

ومعروف عن زيد الشهيد الشدة في التعامل مع الطغاة، إذ وفد على هشام ذات مرة فتعمّد أن يؤخر دخوله عليه، ولما دخل سمّاه بالأحول:

(فأذن للناس إذناً عاماً وحجب زيداً وأذن له في آخر الناس فدخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فلم يرد عليه، فقال: السلام عليك يا أحول إذ لم ترنفسك أهلاً لهذا الاسم، فقال له هشام: أنت الطامع في الخلافة وأمك أمة! فقال: إنّ لكلامك جو اباً فإن

رسول الله، فأخبرني عن قول الله عزوجل: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات" أي أرض تبدل يومئذ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أرض تبقى خبزة يأكلون منها حتى يفرغ الله عزوجل من الحساب، فقال نافع: إنهم عن الاكل لمشغولون؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أهم يومئذ أشغل أم إذ هم في النار؟ فقال نافع: بل إذ هم في النار قال: فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فاطعموا الزقوم ودعوا بالشراب فسقوا الحميم، قال: صدقت يا ابن رسول الله ولقد بقيت مسألة واحدة، قال: وما هي؟ قال: أخبرني عن الله تبارك وتعالى متى كان؟ قال: ويلك متى لم يكن حتى أخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ثم قال: يا نافع أخبرني عما أسألك عنه، قال: وما هو؟ قال: ما تقول في أصحاب النهروان فإن قلت: إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت وإن قلت: إنه قتلهم باطلا فقد كفرت، قال: فولى من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقا حقا، فأتى هشاما فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك هذا والله أعلم الناس حقا حقا وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حقا ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبيا) الكافي، الكليني: ٨ / ١٢٠ – ١٢٢.

ملاحظة: سؤال الإمام الباقر عليه السلام لنافع عن أصحاب النهروان "الخوارج"؛ باعتبار أنّه كان يميل لهم ويعتقد بعقيدتهم الباطلة.

١- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري: ١ / ٣١٢.

٢- سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري: ٣٣.

شئت أجبت قال: وما جو ابك؟ قال: لو كان في أم الولد تقصير لما بعث الله إسماعيل نبياً وأمه هاجر فالخلافة أعظم أم النبوة فأفحم هشام) [١].

كان هشام يتعمّد الإساءة إلى الإمام الباقر ليشفي حقده ونفسه الخبيثة، إذ اتفق مع زبانيته على الإنقاص من قدر الإمام عندما أحضره عنده في إحدى المرات:

(عن أبي بكر الحضرمي قال: لما حمل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى هشام ابن عبد الملك وصار ببابه قال لأصحابه ومن كان بحضرته من بني أمية: إذا رأيتموني قد وبّخت محمد بن علي ثم رأيتموني قد سكت فليقبل عليه كل رجل منكم فليوبخه ثم أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر عليه السلام قال بيده: السلام عليكم فعمّهم جميعاً بالسلام ثم جلس فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن، فأقبل يوبخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الامام سفهاً وقلة علم، ووبخه بما أراد أن يوبخه فلما سكت أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبخه حتى انقضى آخرهم، فلما سكت القوم نهض عليه السلام قائماً ثم قال: أيها الناس أين تذهبون و أين يراد بكم، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكاً مؤجلاً وليس بعد ملكنا ملك لأنا أهل العاقبة يقول الله عزوجل: "والعاقبة للمتقين" فأمر به إلى الحبس فلما صار إلى الحبس تكلم فلم يبق في الحبس رجل الا ترشفه وحن إليه، فجاء صاحب الحبس إلى هشام فقال: يا أمير المؤمنين إني خائف عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا، ثم أخبره بخبره، فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة .....) [٢].

وما زاد غيض هشام بن عبد الملك أكثر هو سماعه بالخطبة التي ألقاها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في الحج بأمر أبيه الباقر صلوات الله عليه:

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٩ / ٤٧٠ – ٤٧١.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٧١.

(عن عمارة بن زيد الو اقدي، قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقرو ابنه جعفرعليهم السلام، فقال جعفرفي بعض كلامه: "الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً، و أكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا، ومن الناس من يقول إنه يتولانا وهو يوالي أعداءنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربنا ولم يعمل به".

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأخبر مسيلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق، و انصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه ....) [1].

لا شك أنّ الخطبة لم تصل إلينا كاملة، لكنها – كما يبدو – كانت في بيان حق الأوصياء من آل محمد عليهم السلام ووجوب اتباعهم والبراءة من أعدائهم، وواضح أنها كانت ضربة علوية حسينية موجعة لباطل بني أمية، و أيضاً تكشف - مقدماً - زيف ادعاء الإمامة بغير وجه حق؛ إذ بدأ بعض الحسنيين – وكذا غيرهم – يمهّدون لادعاء الإمامة والمهدوية كما سيتضح.

شهادة الإمام الباقر(ع):

ما فعله الإمام الباقرعليه السلام طيلة الأربعة عشر عاماً (١٠٠ – ١١٤ هـ) من ثورة علمية بكل ما تعنيه الكلمة كان سبباً أكثر من كافٍ بنظر الطاغية الأموي هشام بن عبد الملك للتفكير الجدي بالخلاص منه، فوجوده بات يقلق ويؤرق سلطة الشام! وكيف لهشام الخبيث أن يهنأ وهو يرى أتباع محمد بن علي الباقر يزدادون يوماً بعد يوم! كيف له أن يستقر وهو يرى ارتفاع ذكر الباقر عليه السلام بين الناس واشتهار علمه على ألسنة المسلمين في أكثر من بلد إسلامي!

١- دلائل الإمامة، الطبري: ٢٣٣.

لم تفلح جميع الإجراءات التي اتخذها الطاغية الأموي في إسكات صوت الحق الذي صدح به باقر آل محمد والثلة التي تربّت وتعلّمت على يديه، ولم يتمكن من منع عين العلم التي أفاضت الحق والهدى على طالبيه، حتى إنه اضطر إلى أن يستبدل عامله على المدينة أكثر من مرة [١]؛ بغية معالجة الوضع، لكن دون جدوى! إلى أن قرّر أخيراً – كشأن الطغاة عادة – التخلّص من الإمام من خلال دس السم إليه وقتله.

اختلف المؤرخون في اليد التي استعملها هشام – لعنه الله – لتنفيذ مؤامرته الخبيثة وقتل الإمام بالسم: بين من اكتفى بذكر هشام [٢]، وبين من يرى أنه إبراهيم بن الوليد بن يزيد؛ بأمر من هشام بالتأكيد [٣]، وبين من روى دخالة زيد بن الحسن (أخو الحسن المثنى) بالموضوع [٤].

ومهما يكن، فإنّ الأمر القطعي هو أنّ الإمام الباقر عليه السلام قُتل مسموماً في زمن الطاغية الأموي هشام بن عبد الملك ومضى إلى ربه شهيداً مظلوماً في السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هـ بعمر ٥٧ عاماً، ودفن في البقيع إلى جنب أبيه علي بن الحسين وعمهما الحسن السبط صلوات الله عليهم.

١- إذ عزل عبد الواحد بن عبد الله النصري الدمشقي في سنة ١٠٦ هـ بعد سنة وثمانية أشهر من ولايته (انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٦ / ٣٨٧ – ٣٨٨)، وولّاها خاله إبراهيم بن هشام المخزومي، ويبدو أنه لم يرتضِ طريقته فعزله وولّى الناصبي الأموي خالد بن عبد الملك بن الحارث بدلاً عنه؛ حيث كان يسيء إلى أمير المؤمنين عليه السلام علناً في خطبه: (حدثني خالد بن القاسم قال: استعمل هشام ابن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم على المدينة، فكان يؤذي علي بن أبي طالب على المنبر...) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٦ / ١٧٢؛ المحاضرات والمحاورات، السيوطي: ٨٦.

٢- مثل: الكفعمي في "المصباح"، عنه: المجلسي في بحار الأنوار: ٤٦ / ٢١٧.

٣- انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٤٠؛ دلائل الإمامة، الطبري: ٢١٦.

٤- انظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٦٠٢ – ٦٠٤، والرواية ذكرت أنّ تنسيقاً حصل بين زيد بن الحسن وبين عبد الملك بن مروان، لكن الصحيح أنّ الحاكم الأموي في ذلك الوقت هو هشام بن عبد الملك، وخلاصة الرواية تفيد بأنّ زيداً سمّم سرجاً وأتى به إلى الإمام وناشده أن يركب عليه ففعل وتسمم بدنه، فبقي ثلاثة أيام ثم مضى إلى ربه شهيداً، أما زيد بن الحسن فمات بعد الإمام بأيام.

وكان الإمام الباقر عليه السلام أوصى قبل وفاته إلى ولده الصادق جعفر بن محمد عليه السلام بمحضر الشهود، كما سيتضح. وقبل ذلك، طالما أشار إلى فضل ولده جعفر عليه السلام ومنزلته عنده:

(عن طاهر قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأقبل جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خير البرية أو أخير) [١].

وكان من آخر وصاياه له أن أوصاه بشيعته وأصحابه:

(عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حضرت أبي عليه السلام الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جعلت فداك والله لأدعنهم - والرجل منهم يكون في المصر - فلا يسأل أحداً) [٢].

أي: وعد أباه أن يجعلهم علماء ولا يحتاجون إلى أحد في أقوامهم.

وفعلاً، وفى الصادق صلوات الله عليه بوعده و انفتقت جيوب صدره الطاهر المملوء علماً حسينياً ربّانياً، ففاض منه علم إلهي وفير، انحدر عنه كسيل هادر يروي ظمأ الوديان التي يمر فيها، في شتى صنوف المعرفة الدينية، وربّى علماء ربّانيين كفوئين، وأكمل بناء الأمة المؤمنة على الأُسس التي وضعها أبوه الباقر عليه السلام، فكانا بحق خير كاشفين عمّا اكتنزه صدر جدهما الحسين من علم إلهي لم تسمح له الظروف ببثه!

لكنها مشيئة الله سبحانه التي اقتضت أن لا يموت "علم الحسين"، و"هدى الحسين" بموت جسده الطاهر تحت حوافر خيل الطغاة!

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

اقتضت مشيئة الله أن تستمر الإمامة في عقبه ويكون الأئمة من ولده، ومنهم الباقر والصادق عليهما السلام، اللذين بثّا بعض "علم الحسين" بين الناس بما يكفي لتشييد بناء الأمة المؤمنة.

فسلامٌ على الإمامين الصادقين ما بقي ناطق بالحق ومعتقد به إلى أبد الآبدين!

وهذه إحدى حكمه، وهي كثيرة، جمّة، غزيرة:

(قال جابر الجعفي: قال لي محمد بن علي: يا جابر إني لمحزون و إني لمشتغل القلب.

قلت: وما حزنك وشغل قلبك؟

قال: يا جابر! إنه من دخل قلبه صافي دين الله عزوجل شغله عمّا سواه، يا جابر! ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركباً ركبته؟ أو ثوباً لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟

يا جابر! إنّ المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار.

إنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، و أكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكّروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق الله، قوّامين بأمر الله، قطعوا لمحبة ربهم عزوجل، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم، وعلموا أنّ ذلك من أمر خالقهم، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها مليكهم كمنزلٍ نزلوه ثم ارتحلوا عنه وتركوه، وكماءٍ أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شئ، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته) [1].

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ٣٣٩.

(٣)

الإمام الصادق عطاءٌ حسيني لا ينفد

المكان: المدينة المنورة
العمر: ٦٥ عاماً (٨٣ – ١٤٨ هـ)
مدة الإمامة: ٣٤ عاماً

ثالث الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام جعفر بن محمد الملقّب بـ "الصادق"، والمكنّى بـ "أبو عبد الله".

ولد الإمام الصادق عليه السلام في السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣ هـ بالمدينة المنورة. تولّى الإمامة بعد شهادة أبيه الباقر عليه السلام سنة ١١٤ هـ، وكانت مدة إمامته ٣٤ عاماً قضاها في نصرة دين الله و إنجاز رسالته الإلهية المكلّف بها.

إمامة الصادق(ع) ولقبه:

النص على إمامته:

"الإمام يُعرف بالنص"، هذا هو الثابت العقائدي القطعي واليقيني الذي يميّز دين الله الحق عن غيره من المناهج الدخيلة، وبالتالي فالدليل على إمامة الصادق جعفر بن محمد عليه السلام هو النص الذي يمكننا ملاحظته بطريقين:

١- النص عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله؛ إذ كان اسم الإمام الصادق مذكور في وصيته المقدسة ليلة وفاته كما عرفنا سابقاً.
٢- النص عليه من قبل أبيه الإمام الباقر عليه السلام:

(عن عبد الأعلى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أبي عليه السلام استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر فقال: اكتب، هذا ما أوصى به يعقوب بنيه "يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون" وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يربع قبره، ويرفعه أربع أصابع وأن يحل عنه أطماره عند دفنه، ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت له: يا أبت - بعد ما انصرفوا - ما كان في هذا بأن تشهد عليه فقال: يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال: إنه لم يوص إليه، فأردت أن تكون لك الحجّة) [١].

كثير من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام كانوا يعرفون بإمامة ولده الصادق عليه السلام من بعده؛ حيث كان يشير إلى فضله ومنزلته بمحضرهم في مناسبات عديدة:

- (عن سدير الصيرفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يعرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، و إني لأعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلقي وشمائلي، يعني أبا عبد الله عليه السلام) [٢].
- (عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن القائم عليه السلام فضرب بيده على أبي عبد الله عليه السلام فقال: هذا والله قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، قال عنبسة: فلما قبض أبو جعفر عليه السلام دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك، فقال صدق جابر، ثم قال: لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان قبله) [٣].
- (عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين") [٤].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٧.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٧.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

أقول: الرواية الأخيرة ربما فيها إشارة إلى شدة معاناة الإمام الصادق عليه السلام وما سيلاقيه من أذى كبير جداً، ليس فقط من قبل الظلمة الطغاة، بل حتى من قبل بعض أهل بيته كما سيتضح.

لقب "الصادق":

وأما "الصادق"، فهو لقب خَصَّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله به ولده جعفر بن محمد عليه السلام، وقد لاحظناه في وصيته المقدسة ليلة وفاته: ".... فإذا حضرته – أي: الإمام الباقر عليه السلام – الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق".

"الصادق" هو لقب الإمام الذي يعرفه به أهل السماء:

(عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال لي: يا أبا كنكر! إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا، ثم سكت. فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "لا تخلو الأرض من حجة الله على عباده" فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني "محمد" واسمه في التوراة "باقر" يبقر العلم بقراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه "جعفر" اسمه عند أهل السماء "الصادق") [1].

و أيضاً: تلقيب الإمام جعفر بن محمد بـ"الصادق" له علاقة وثيقة برسالته الإلهية وتكليفه المطلوب منه إنجازه في فترة إمامته بكل تأكيد. مطلوب منه أن يصدّق أباه بالسير على نهجه وتوكيد خطواته وبنائه العلمي والتنظيمي كما عرفنا، بل يزيده سعة وإحكاماً وقوة وصلابة ورسوخاً.

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٤٨ – ٤٩.

شهادة بعض علماء المسلمين بحقه:

هذه شهادات بعض كبار الشخصيات الإسلامية التي لا تحسب نفسها شيعة للإمام الصادق عليه السلام، وفي نفس الوقت ليس بوسعها إلا الإقرار بعظمة شخصيته ووفرة علمه وكمال فضله وورعه ودينه، والملفت أنّ فيهم بعض أئمة المذاهب الإسلامية المعروفة، والأكثر من هذا: كانوا يعتبرون التتلمذ على يديه والرواية عنه شرفاً وفخراً!

١- مالك بن أنس: (ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء البلاد وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله، اخضر مرة واصفر أخرى حتى لينكره من لا يعرفه) [١].

وقال أيضاً: (اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصل وإما صائم وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله ولقد حججت معه سنة فلما أتى الشجرة أحرم فكلما أراد أن يهل كاد يغشى عليه فقلت له لا بد لك من ذلك وكان يكرمني وينبسط إلي فقال يا أبن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك قال مالك ولقد أحرم جده علي أبن حسين فلما أراد أن يقول اللهم لبيك أو قالها غشى عليه وسقط من ناقته فهشم وجهه رضي الله عنهم أجمعين) [٢].

٢- أبو حنيفة: (ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد) [٣].

(أبو نجيح قال: سمعت حسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة وسئل: من أفقه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٩٦.

٢- التمهيد، ابن عبد البر: ٢ / ٦٧.

٣- تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١ / ١٦٦.

فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر ابن محمد فهيئ له من مسائلك الصعاب، قال: فهيأت له أربعين مسألة، ثم بعث إلي أبو جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخل لابي جعفر، فسلمت، وأذن لي، فجلست، ثم التفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد الله تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة؟ هات من مسائلك، نسأل أبا عبد الله، و ابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) [1].

٣- أبو نعيم الأصفهاني: (حلية أبي نعيم، ان جعفر الصادق حدث عنه من الأئمة والاعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، و ابن جريج، وعبد الله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، و إبراهيم بن طحان في آخرين، قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجا بحديثه.

وقال غيره: وروى عنه مالك، والشافعي، والحسن بن صالح، و أبو أيوب السجستاني، وعمرو بن دينار، وأحمد بن حنبل.

وقال مالك بن انس: ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعا.

وسُئل سيف الدولة عبد الحميد المالكي قاضي الكوفة عن مالك فوصفه وقال: وكان جربند جعفر الصادق - أي الربيب -. وكان مالك كثيراً ما يدعي سماعه وربما قال حدثني الثقة - يعنيه عليه السلام -. وجاء أبو حنيفة ليسمع منه وخرج أبو عبد الله يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك ولكنها عصا رسول الله أردت التبرك بها، فوثب أبو حنيفة وقال له اقبلها يا ابن

١- تهذيب الكمال، المزي: ٥ / ٧٩ – ٨٠.

رسول الله، فحسر أبو عبد الله عن ذراعه وقال له والله لقد علمت أن هذا بشر رسول الله وان هذا من شعره فما قبلته وتقبل عصا) [١].

٤- ابن خلكان: (أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإماميّة، وكان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر) [٢].

٥- أبو الفتح الشهرستاني: (جعفر بن محمد الصادق هو ذو علم غزير وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات) [٣].

٦- محمد بن طلحة الشافعي: (هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام ذو علوم جمة، وعبادة موفرة، وأوراد متواصلة، وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات، بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع أنه من ذرية الرسالة.

نقل عنه الحديث، واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، و ابن جريح، ومالك بن أنس، والثوري، و ابن عيينة، وشعبة، و أيوب السجستاني، وغيرهم (رض) وعدوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها) [٤].

٧- محيي الدين بن شرف النووي: (روى عنه محمّد بن إسحق، ويحيى الأنصاري، ومالك، والسفيانيان، و ابن جريج، وشعبة، ويحيى القطّان، وآخرون، و اتفقوا على إمامته

١- عنه: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٧٢.

٢- وفيات الأعيان: ١ / ٣٢٧.

٣- الملل والنحل: ١ / ١٦٦.

٤- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٣٦.

وجلالته وسيادته، قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنه من سلالة النبيّين) [١].

٨- ابن الصباغ المالكي: (وأمّا مناقبه فتكاد تفوت من عدّ الحاسب ويحير في أنواعها فهم اليقظ الكاتب) [٢].

٩- ابن حجر الهيتمي: (ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته في جميع البلدان. روى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد و ابن جريح، ومالك، والسفيانين، و أبي حنيفة، وشعبة، و أيوب السجستاني) [٣].

١٠- الشيخ محمد أبو زهرة: (لا نستطيع في هذه العجالة أن نخوض في فقه الإمام جعفر، فإنّ أُستاذ مالك و أبي حنيفة وسفيان بن عيينة، لا يمكن أن يدرس فقهه في مثل هذه الإلمامة) [٤].

غزارة علم الإمام الصادق وتميّزه أشهر من نار على علم، شهد بذلك حتى ألد خصومه؛ المنصور العباسي نفسه، إذ يقول عنه: (إنّ جعفراً كان ممّن قال الله فيه: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"، وكان ممّن اصطفاه الله، وكان من السابقين في الخيرات) [٥].

١- تهذيب الأسماء واللغات: ١ / ١٤٩ – ١٥٠.

٢- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ٩١٣.

٣- الصواعق المحرقة: ٢٠١.

٤- الإمام الصادق، الشيخ محمد أبو زهرة.

٥- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٨٣.

الإمام الصادق(ع) وواقعة كربلاء:

كل قارئ ومطلع على سيرة الإمام الصادق عليه السلام وروا ياته، يلاحظ بوضوح ارتباطه الوثيق بأبيه الحسين صلوات الله عليه، وقد أوضحت روا يات كثيرة هذه الحقيقة. ونحن في هذه الدراسة لا يسعنا استقصاء جميع الروا يات لكثرتها؛ وبالتالي فهي بحاجة إلى بحث مستقل بالتأكيد، لذلك سنكتفي بذكر بعض الحقائق والإشارات.

الصادق يتنفّس الحسين ويروي أحداث مقتله:

لا شك، أنّ الإمام الصادق عليه السلام أكثر أئمة أهل البيت عليهم السلام رو اية كما هو معلوم، والمتتبع لما روي عنه يجد أنّ نصيباً و افراً منه مخصّص للإمام الحسين صلوات الله عليه، وهذا يعني أنّ الحسين كان يعيش في وجدانه بل كان الهواء والنفس الذي يستنشق عبقه!

(عن ابن سنان، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليهما السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، ثم قال عليه السلام بأبي قتيل كل عبرة، قيل: وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى) [١].

وإذا كانت لوعة مقتل الحسين صلوات الله عليه لا تبرد في قلوب المؤمنين، فما بالك بقلب ولده الصادق عليه السلام العارف تماماً بحقيقة مقام أبيه المظلوم ومنزلته عند الله، وكذا العارف بحقيقة عطائه وتضحيته يوم عاشوراء!

روايته بعض أحداث كربلاء:

روى الإمام الصادق عليه السلام بعض أحداث كربلاء، وكمثال: روى عنه عبد الله بن منصور مقتل جده الحسين صلوات الله عليه وأهل بيته وصحبه يوم عاشوراء، ابتدأ

١- مستدرك الوسائل، الطبرسي: ١٠ / ٣١٨.

روايته بذكر هلاك معاوية وتولية ابنه يزيد لعنه الله واختتمها بكلام أم كلثوم للطاغية عبيد الله بن زياد لعنه الله:

(قال: سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فقلت: حدثني عن مقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: لما حضرت معاوية الوفاة ..... فقالت: يا بن زياد، لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرت عين جده صلى الله عليه وآله به، وكان يقبّله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه. يا ابن زياد، أعد لجده جواباً، فإنه خصمك غداً) [1].

حزنه يوم عاشوراء:

(روى عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط. فقلت: يا ابن رسول الله! مم بكاؤك؟ لا أبكي الله عينيك، فقال لي: أو في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟ فقلت: يا سيدي! فما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، و أفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملا وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل رسول الله و انكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ولو كان في الدنيا يومئذ حيا لكان صلوات الله عليه هو المعزي بهم، قال: وبكي أبو عبد الله عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: إنّ الله جل ذكره لما خلق النور خلقه يوم الجمعة في تقديره في أول يوم من شهر رمضان، وخلق الظلمة في يوم الأربعاء يوم عاشوراء في مثل ذلك يعني يوم العاشر من شهر المحرم في تقديره، وجعل لكل منهما شرعة ومنهاجا، يا عبد الله بن سنان! إن أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلب، قلت: وما التسلب؟ قال: تحلل أزرارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب، ثم تخرج إلى أرض مقفرة أو مكان لا يراك به أحد أو تعمد إلى منزل لك خال، أو

١- الأمالي، الصدوق: ٢١٥ – ٢٢٧.

في خلوة منذ حين يرتفع النهار فتصلي أربع ركعات تحسن ركوعها وسجودها وخشوعها وتسلم بين كل ركعتين تقرأ في الأولى: سورة الحمد، وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية: الحمد، وقل هو الله أحد، ثم تصلي ركعتين أخريين تقرأ في الأولى: الحمد، وسورة الأحزاب، وفي الثانية: الحمد، وإذا جاءك المنافقون، أو ما تيسر من القرآن، ثم تسلم وتحول وجهك نحو قبر الحسين عليه السلام ومضجعه، فتمثل لنفسك مصرعه ومن كان معه من ولده وأهله وتسلم وتصلي عليه وتلعن قاتليه وتبرأ من أفعالهم، يرفع الله عزوجل لك بذلك في الجنة من الدرجات ويحط عنك من السيئات، ثم تسعى من الموضع الذي أنت فيه إن كان صحراء أو فضاء أو أي شئ كان خطوات، تقول في ذلك: إنا لله وإنا إليه راجعون، رضا بقضاء الله وتسليماً لأمره، وليكن عليك في ذلك الكآبة والحزن وأكثر من ذكر الله سبحانه والاسترجاع في ذلك اليوم) [١].

مصيبة الحسين أعظم المصائب:

(عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟

فقال: انّ يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء

١- مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٨٢ – ٧٨٣.

أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟ فقال بلى ان علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماماً وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في آن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عزوجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة) [1].

إحياء ذكر الحسين(ع):

الإمام الصادق عليه السلام يعلم جيداً أنّ إحياء ذكر جده الحسين صلوات الله عليه يعني إحياء دين الله وحاكميته، لذلك ما ترك سبيلاً يسهم بتحقيق هذه الغاية العظيمة إلا وفعله وحثّ الأمة المؤمنة عليه.

ومن ذلك:

إقامة المأتم وإنشاد الشعر في الحسين(ع):

(عن زيد الشحام، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه وأدناه ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام

١- علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦.

وتجيد، فقال له: نعم، جعلني الله فداك، فقال: قل فأنشده عليه السلام ومن حوله حتى صارت له الدموع على وجهه ولحيته) [١].

ما شرب ماءً إلا وذكر مصيبة الحسين(ع)!

(عن داود بن كثير الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء، فلما شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال: يا داود، لعن الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش! إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه) [٢].

تصوّر حال الإمام الصادق وهو يقول: "ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين"! كيف نغصّت مصيبة الحسين عليه عيشه وحياته! ولذلك قلت سابقاً: كان الصادق يتنفس الحسين، ولا يبارح ذكره قلبه الشريف!

الحث الأكيد على زيارة الحسين(ع):

وردت روايات كثيرة عن الإمام الصادق تفيد الحث على زيارة الإمام الحسين صلوات الله عليه، لم يكتفِ الإمام فيها بالحث على زيارة الحسين فقط وإنما بيّن بعض ثمرات الزيارة وفوائد المداومة عليها وتأثيرها على الإنسان آخرة ودنيا، وبالتأكيد فإنّ سلوك الإمام الصادق هذا يسهم بزيادة ترغيب المؤمنين ودفعهم باتجاه زيارة الحسين عليه السلام والاستمرار عليها، وسأذكر الآن بعض نماذج من الروايات لأنها كثيرة:

ابتداءً، بيّن الإمام الصادق أنّ زيارة الحسين عليه السلام من لوازم الاعتقاد بإمامته:

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٧٤.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢٠٥.

- قال عليه السلام: "زيارة الحسين عليه السلام واجبة على كل مَن يُقرّ للحسين بالإمامة من الله عزوجلّ" [١].

الوجوب هنا يعني أنّ زيارة الحسين من تمام الإيمان بحيث إنّ عدم إتيانه يعدّ نقصاً في إيمان الشخص وإن كان من أهل الجنة!

- قال عليه السلام: "مَن لم يأتِ قبر الحسين ليه السلام حتى يموت كان منتقص الإيمان منتقص الدين إن أدخل الجنة كان دون المؤمنين فيها" [٢].

الحسين عليه السلام له حق عظيم وكبير في أعناق جميع المؤمنين، فهو الفداء المقدم من قبل محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم لدين الله، فالإعراض عن زيارته تقصير بحق الرسول صلى الله عليه وآله، بل تقصير بحق الله عزوجل!

- قال عليه السلام: "لو أنّ أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن حق الحسين عليه السلام فريضةٌ من الله واجبةٌ على كلّ مسلم" [٣].
- "لو أنّ أحدكم حجّ ألف حجّة ثم لم يأتِ قبر الحسين بن علي عليهما السلام لكان قد ترك حقاً من حقوق الله تعالى" [٤].

بنظر الإمام الصادق، فإنّ أمر الزيارة لا يقتصر على الرجال فحسب ولكن يشمل النساء أيضاً:

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٤٥.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٣٥٥.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٣٨.

٤- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٣٥٧.

- قال عليه السلام لأم سعيد: "يا أم سعيد، زوريه فإنّ زيارة الحسين عليه السلام واجبة على الرجال والنساء" [١].

كان عليه السلام يحث على أن تكون الزيارة عن معرفة:

- قال عليه السلام: "من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتبه الله عزّوجلّ في أعلى علّيّين" [٢].
- "وكّل الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة فمن زاره عارفا بحقه شيعوه حتى يبلغوه مأمنه وإن مرض عادوه غدوة وعشية وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلى يوم القيامة" [٣].

ويعاتب من لم يزر الحسين عليه السلام:

- قال عليه السلام: "ما لكم لا تأتونه - يعني قبر الحسين عليه السلام - فإنّ أربعة آلاف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة" [٤].

ويؤكد أنّ الله خصّص كرامة لزوار الحسين:

- قال عليه السلام: "ما من أحد يوم القيامة إلا وهو يتمنى أنه من زوّار الحسين عليه السلام لِما يرى ممّا يُصنع بزوّار الحسين من كرامتهم على الله" [٥].

و أيضاً: أشار إلى فضل زيارة الحسين وبركتها وبعض ثمارها في الآخرة والدنيا:

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٣٧.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٧٩.

٣- الكافي، الكليني: ٤ / ٥٨١.

٤- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٧١.

٥- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٥٨.

- (عن عبد الملك الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: يا عبد الملك لا تدع زيارة الحسين بن علي عليهما السلام ومر أصحابك بذلك، يمد الله في عمرك ويزيد الله في رزقك، ويحييك الله سعيداً ولا تموت الا سعيداً ويكتبك سعيداً) [١].
- قال عليه السلام: "من لم يزر الحسين ليه السلام فقد حُرم خيراً كثيراً ونقص من عمره سنة" [٢].
- (عن عبد الله بن هلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت جعلت فداك ما أدنى ما لزاير الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله إن أدنى ما يكون له أن الله يحفظه في نفسه وماله حتى يرده إلى أهله فإذا كان يوم القيامة كان الله أحفظ له) [٣].

كان للإمام الصادق مجلس بالمدينة يقصده الكثير من شيعته وأصحابه من أهل العراق، وبمجرد أن يعرف السائل من العراق يذهب قلبه نحو الحسين ويحثه على زيارته:

(عن معاوية بن وهب، قال: كنت جالساً عند جعفر بن محمد عليهما السلام إذ جاء شيخ قد انحنى من الكبر، .... قال: يا شيخ، ما أحسبك من أهل الكوفة. قال: لا. قال: فمن أين أنت؟ قال: من سوادها جعلت فداك. قال: أين أنت من قبر جدي المظلوم الحسين؟ قال: إني لقريب منه. قال: كيف إتيانك له؟ قال: إني لآتيه و أكثر. قال: يا شيخ، ذاك دم يطلب الله تعالى به، ما أصيب ولد فاطمة ولا يصابون بمثل الحسين عليه السلام، ولقد قتل في سبعة عشر من أهل بيته، نصحوا لله وصبروا في جنب الله، فجزاهم أحسن جزاء الصابرين، إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام ويده على رأسه تقطر دماً فيقول: يا رب، سل أمتي فيم قتلوا ولدي. وقال عليه السلام: كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين) [٤].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٣١.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٨٥.

٣- ثواب الأعمال، الصدوق: ٩٠.

٤- الأمالي، الطوسي: ١٦١ – ١٦٢.

كان عليه السلام يدعو لزوار الحسين عليه السلام:

(عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: أدخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: "يا من خصنا بالكرامة وخصنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي [عبد الله] الحسين عليه السلام الذي أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله وإجابة منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلفوا بأحسن الخلف وأصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك أو شديد وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل من أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أنبائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافاً منهم على من خالفنا فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش"، فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً والله لقد تمنيت أن كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من إتيانه، ثم قال: يا معاوية لِمَ تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أدرِ أن الامر يبلغ هذا كله. قال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض) [1].

الإمام الصادق عليه السلام ما ترك فرصة ولا يوم مبارك من أيام الله إلا وذكّر الأمة المؤمنة بزيارة الحسين صلوات الله عليه كأحد الأعمال المستحبة التي ينبغي للمؤمنين فعلها في ذلك اليوم، فتراه – ومثله باقي الأئمة عليهم السلام - يذكر استحباب زيارة الحسين

١- الكافي، الكليني: ٤ / ٥٨٢ – ٥٨٣.

عليه السلام في ليلة القدرويوم عرفة وعيد الغديروالفطروالأضحى وفي أيام رجب وشعبان والجُمع وهكذا، وكان يعلّم شيعته كيفية الزيارة وآدابها والدعاء بعدها وغير ذلك من تفاصيل كثيرة مروية عنه وردت في كتب الحديث والزيارات.

ربط الأمة المؤمنة بالحسين صلوات الله عليه هدف ومسعى واضح في سيرة وعمل الإمام الصادق عليه السلام كجزء من عملية اصطناعها وبنائها، والسبب في ذلك واضح، وقد تقدمت الإشارة له أكثر من مرة وخلاصته: أنّ دين الله الحق متقوّم بالحسين وبعطاء الحسين وتضحيته الكبرى، فالحسين فداء حاكمية الله ودينه ورسالته، والارتباط به وإحياء ذكره يعني إحياء دين الله وحاكميته، فمن أجل ضمان هدى واستقامة الأمة المؤمنة كان هذا الربط الوثيق بينها وبين الإمام الحسين صلوات الله عليه، ولهذا ورد في وصفه أنه مصباح الهدى وسفينة النجاة:

(عن أبي عبد الله الحسين - عليه السلام - [أنه] قال: أتيت [يوماً] جدي رسول الله - صلى الله عليه وآله -، فرأيت أبي بن كعب جالسا عنده، فقال جدي: مرحبا بك يا زين السماوات والأرض! فقال أبي: يا رسول الله! وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبي - صلى الله عليه وآله - يا أبي بن كعب والذي بعثني بالحق نبيا، إن الحسين بن علي في السماوات، أعظم مما هو في الأرض واسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة) [1].

١- مدينة المعاجز، البحراني: ٤ / ٥١ – ٥٢.

رسالة الإمام الصادق(ع):

الرسالة الإلهية التي كلّف بها الإمام الصادق عليه السلام لا شك أنها تتصل برسالة أبيه الباقر صلوات الله عليه، فالمطلوب منه تصديق أبيه والسير على نهجه وتوكيد خطواته من خلال بث العلم الإلهي وتقوية بناء الأمة المؤمنة لتتمكن من الصمود بوجه مخططات الضلال في الزمن الآتي، وصولاً إلى اتصال يوم جده الحسين صلوات الله عليه بيوم ولده القائم عليه السلام وتتم كلمة الله بقيام دولة الله العادلة.

رسالة الصادق(ع) رسالة أبيه بشمول وتركيز أكبر:

ما ذكرناه من ثورة علمية جبارة قام بها الإمام الباقر عليه السلام غطّت منظومة الدين الإلهي برمّته في العقيدة والشريعة والتفسير والأخلاق من خلال الرواية وعقد المناظرات والحوارات وإجابة الأسئلة والشبهات وتصحيح الانحراف في كثير من الاتجاهات، استمر الإمام الصادق عليه السلام على ذات النهج الربّاني:

(عن سدير الصيرفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يعرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، وإني لأعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلقي وشمائلي، يعني أبا عبد الله عليه السلام) [1].

مع ملاحظة أنّ الصادق عليه السلام رفع وتيرة العطاء العلمي بشكل واضح وملحوظ.

الصادق(ع) يرفع معدل العطاء العلمي لأقصى درجة ممكنة:

لا يشك باحث في أنّ الإمام الصادق عليه السلام هو أكثر الأئمة رواية في شتى حقول المعرفة الدينية على الإطلاق، فما من جانب معرفي يتعلق بالدين الإلهي إلا وتجد أثر

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

الصادق عليه السلام فيه واضحاً وبيّناً حتى وسم أتباعه والآخذين منه بـ "الجعفرية" أو "المذهب الجعفري"!

بالتأكيد، سبب ذلك يعود إلى طول فترة إمامة الصادق عليه السلام التي استمرت أربعة وثلاثين عاماً عاصر فيها نهايات الحكم الأموي وبدايات نشوء الحكم العباسي، وهي فترة ينشغل فيها الحاكم الجديد عادة بترتيب أوراق حكمه والقضاء على بقايا ومخلّفات الحكم السابق كأولوية ملحّة، وهذا الأمر بحاجة إلى وقت بطبيعة الحال.

الإمام الصادق عليه السلام كان يعلم أنّ فترة التحوّل هذه هي فرصة هيّأها الله سبحانه بهدف تثبيت دينه الحق وتقوية أسسه وأركانه، وبالتالي فهي إعانة منه سبحانه لوليه الصادق على إنجاز رسالته و إتمام مهمته الكبرى. الصادق عليه السلام يعلم جيداً أنّ العباسيين ليسوا بأحسن حالاً من الأمويين في مسألة عداء دين الله الحقيقي وبغض القائمين به "آل محمد"، وأنهم – أي العباسيين – بالنهاية سيعودون على آل محمد عليهم السلام بالأذى والظلم أضعاف ما فعله الأمويون؛ وصولاً إلى قتلهم في خاتمة المطاف، كيف! وهو المخبر بملكهم وظلمهم وطغيانهم، وكان يسمع أباه الباقر عليه السلام وهو يسمي منصورهم بـ "الجبّار"!

لذلك، استغل الإمام الصادق عليه السلام هذه الفترة بأفضل و أتم ما يكون؛ خصوصاً بعد أن رفض أن يزجّ بنفسه – وكذا أتباعه ومريديه – في ثورة العباسيين على الحكم الأموي، وكم حاول العباسيون وبعض رجالاتهم – كأبي مسلم الخراساني و أبي سلمة الخلال كما عرفنا سابقاً [1] – إقناع الإمام بالاشتراك في حركتهم أو الحصول على مباركته أو تأييده كحد أدنى؛ نظراً لما يتمتع به من تأثير ونفوذ وكلمة مسموعة بين عموم المسلمين، إلا أنّ جميع محاولاتهم باءت بالفشل، وكان قرار الإمام وتصميمه معقود على أن يصرف كل وقته وجهده لأداء رسالته الإلهية وتنشيط الحركة العلمية وتربية جيل من العلماء والباحثين في مجالات علمية مختلفة، وصولاً إلى إحكام بناء الأمة المؤمنة التي تستطيع الصمود ومواجهة التحديات.

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – بحث: ثورة العباسيين وبداية حكمهم.

ولله درّه، فقد نجح الصادق صلوات الله عليه في مهمته وتحقيق هدفه نجاحاً باهراً، ولم يعد الحق يلهج به أتباعه وشيعته فحسب بل صار الجميع يردد ما يقول، وبث لهم من العلم ما سارت به الركبان، كان الجميع يفتخر بالجلوس بين يديه والتعلم منه بما فيهم كبار علماء المسلمين و أئمة مذاهبهم، كل فرد منهم يقصده ويقول له علمني، حدثني يا بن رسول الله ...! أما هو فلم يأت أحداً إطلاقاً، وهذه إحدى علامات الإمامة [١]!

أمة مؤمنة أكثر قوة وصلابة:

صدق الإمام الصادق في قوله ووفى بوعده لأبيه لما أوصاه بأصحابه وشيعته:

(عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حضرت أبي عليه السلام الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جعلت فداك والله لأدعنهم - والرجل منهم يكون في المصر - فلا يسأل أحداً) [٢].

ولِمَ يسألون غيرهم وقد صيّرهم الصادق عليه السلام علماء يُشار إليهم ويُحسب لهم وتقصدهم الناس لتسألهم وتتعلم منهم، وأغناهم بعلمه عن كل أحد!

كان صلوات الله عليه يفتخر بأصحاب أبيه:

(قال ربيعة الرأي (مفتي أهل المدينة) لأبي عبد الله عليه السلام: ما هؤلاء الاخوة الذين يأتونك من العراق ولم أرَ في أصحابك خيراً منهم ولا أهيأ؟ قال: أولئك أصحاب أبي، يعني ولد أعين) [٣].

١- روى الكليني بسنده: (عن بكر بن كرب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام، صحيفة فيها كل حلال وحرام، و إنكم لتأتونا بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه) الكافي: ١ / ٢٤١ - ٢٤٢.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٦.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٨٣.

وضع الإمام الصادق عليه السلام خطوات مهمة ضمن منهجه في إعداد الأمة المؤمنة، بدأها بالحث على طلب العلم والتعلم والعمل به:

(عن حفص بن غياث قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: من تعلّم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله.

... عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم) [١].

حثَّ الإمام الصادق عليه السلام أفراد الأمة على الرجوع إلى العلماء الذين قام – مع أبيه الباقر عليه السلام – بصناعتهم وإعدادهم:

(عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام انه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم، ويجئ الرجال من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه، قال: فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي، فأنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيها) [٢].

كان عليه السلام يحب تلاميذه:

(عن عيص بن القاسم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام مع خالي سليمان بن خالد، فقال لخالي: من هذا الفتى؟ قال: هذا ابن أختي، قال: فيعرف أمركم؟ فقال له: نعم، فقال: الحمد لله الذي لم يجعله شيطاناً، ثم قال: يا ليتني و إياكم بالطائف أحدثكم وتونسوني، وأضمن لهم ألا نخرج عليهم أبداً) [٣].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٥ – ٣٦.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٨٣.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٦٥٢ – ٦٥٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ١٨٥.

ويبيّن لأتباعه وشيعته فضل أصحابه العلماء وقدرهم عنده:

قال عليه السلام: "علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم" [١].

وترغيباً لشيعته و أتباعه في تحصيل العلم، جعل الإمام الصادق عليه السلام ميزان التفاضل بينهم يتناسب مع قدر روايتهم عن الأئمة عليهم السلام:

- "اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فانا لا نعد الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدَّثاً، فقيل له: أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهَّماً، والمفهَّم المحدَّث" [٢].
- "اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنا وفهمهم منا" [٣].
- "اعرفوا منازل الرجال منا على قدر روايتهم عنا" [٤].

علماً، أنّ الأئمة عليهم السلام لا يسمحون لأحد بالتشكيك فيما يرويه عنهم ثقاتهم:

(عن أحمد بن إبراهيم المراغي قال: ورد على القاسم بن العلاء - وذكر توقيعاً شريفاً يقول فيه: فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأنا نفاوضهم سرّنا، ونحمّلهم إياه إلينا) [٥].

١- الاحتجاج، الطبرسي: ١ / ٨.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٢٧ / ١٤٩.

٣- الغيبة، النعماني: ٢٩.

٤- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٢٧ / ١٥٠.

٥- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٢٧ / ١٥٠.

ذكر البعض [١] منهم اثني عشر عالماً (ستة منهم يُعدّون ضمن أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وستة ضمن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام).

سمّى الإمام الصادق عليه السلام بعضهم بـ"أوتاد الأرض وأعلام الدين":

(عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوتاد الأرض، وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة بن أعين) [٢].

و أيضاً: سيتضح أنّ الإمام الصادق صنّف أصحابه العلماء على تخصّصات علمية ومعرفية مهمة وضرورية في ذلك الوقت بحسب كفاءة كل واحد منهم، وهي خطوة كبيرة جداً في بناء أمة أكثر قوة وصلابة؛ باعتبار أنّ الأمر لا يقف عند هؤلاء العلماء فقط بل كان الامام يأمرهم بتعليم الناس وبيان الحق لهم، وهكذا شيئاً فشيئاً ترتقي ثقافة الأمة والمجتمع الإيماني الذي ينتشرون ويعيشون فيه، وهذا يعني أنّ فرصة صمود الأمة المؤمنة بوجه التحديات ستكون أكبر بكل تأكيد.

١- قال الكشي: (٤٣١- أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر عليه السلام و أبي عبد الله عليه السلام و انقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، و أبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، قالوا: و أفقه الستة زرارة، وقال بعضهم مكان أبي بصير الأسدي أبو بصير المرادي وهو ليث بن البختري. .....

٧٠٥- أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون و أقروا لهم بالفقه، من دون أولئك الستة الذين عددناهم وسميناهم، ستة نفر: جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد ابن عثمان، و أبان بن عثمان. قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه يعنى ثعلبة بن ميمون: أن أفقه هؤلاء جميل ابن دراج وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٠٧، ٦٧٣.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٠٧.

واضح في سيرة الإمام الصادق أنه لم يحتضن العلماء من شيعته فحسب، ولكن استوعب الجميع بخلقه ورحابة صدره، بما فيهم من لديهم سوابق في بعض المنكرات [١]!

الحقيقة التي ينبغي استحضارها دائماً هي أنّ المؤمنين بالحق على طول المسير الممتد بعد الإمام الصادق مروراً بزمن حضور الأئمة عليهم السلام ثم أيام الغيبتين الصغرى والكبرى وهي سنين طويلة؛ وصولاً إلى زمن مجيء القائم عليه السلام واهتداء الأمة المؤمنة إليه، أقول: إنّ المؤمنين في كل هذه المدة الطويلة لا شك أنهم مدينون لجهود وتضحيات الإمام الصادق عليه السلام ولما بثّه فيهم ولهم من حق و افروغزير؛ لا سيما إذا ما عرفنا أنّ إنجاز الإمام لرسالته الإلهية قد كلّفه حياته الشريفة في نهاية المطاف!

صور العطاء العلمي للإمام الصادق(ع):

في هذه الإلمامة المختصرة يمكننا أن نشير إلى بعض صور النتاج العلمي والمعرفي للإمام الصادق عليه السلام:

١- روى الكليني بسنده: (عن أبي بصير قال: كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالاً، فأعد قياناً (جواري للترفيه) وكان يجمع الجميع إليه ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرة، فلم ينته فلما أن ألححت عليه فقال لي: يا هذا أنا رجل مبتلى و أنت رجل معافى، فلو عرضتني لصاحبك رجوت أن ينقذني الله بك، فوقع ذلك له في قلبي فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة، فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى، فاحتبسته عندي حتى خلا منزلي ثم قلت له: يا هذا إني ذكرتك لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة، قال: فبكى ثم قال لي: الله لقد قال لك أبو عبد الله هذا؟ قال: فحلفت له أنه قد قال لي ما قلت، فقال لي: حسبك ومضى، فلما كان بعد أيام بعث إلي فدعاني وإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير لا والله ما بقي في منزلي شئ إلا وقد أخرجته و أنا كما ترى، قال: فمضيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به ثم لم تأت عليه أيام يسيرة حتى بعث إلي أني عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه وأعالجه حتى نزل به الموت فكنت عنده جالسا وهو يجود بنفسه، فغشي عليه غشية ثم أفاق، فقال لي: يا أبا بصير قد وفى صاحبك لنا، ثم قبض - رحمة الله عليه - فلما حججت أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت قال لي ابتداء من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير! قد وفينا لصاحبك) الكافي: ١ / ٤٧٤ – ٤٧٥.

١- عقد الإمام الصادق مجلساً علمياً منتظماً خاصّاً به، يحضره المئات من الطلبة الذين كانوا ينهلون من علومه، فقد مرَّ الحسن الوشّاء يوماً على مسجد الكوفة، فقال: "أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد" [١]، بالرغم من بعد المسافة بين الكوفة والمدينة التي كان يلقي فيها الإمام الصادق علومه، لكن طلاب العلم قصدوا المدينة وذهبوا إليه من مختلف البلدان؛ الأمر الذي يكشف عن مدى تأثيره العلمي وذيوع صيته في عموم بلاد المسلمين [٢]. علماً، أنّ حلقات دروسه وعلومه يمكن اعتبارها النواة الأولى لنشوء المدارس العلمية لاحقاً بدون أدنى شك.

٢- عقد الإمام الصادق مجالس علمية (حسب اقتضاء الحاجة) لعقد المناظرات والحوارات وإجابة الأسئلة المختلفة. وبالنسبة للمناظرات والحوارات فقد تنوّعت مشارب أطرافها وخلفياتهم الدينية والمعرفية، فكانت هناك مناظرات مع بعض أهل الأديان الأخرى، ومناظرات مع بعض المسلمين المخالفين له في المنهج كالمناظرات التي حصلت بينه وبين رؤساء المعتزلة أو ابن أبي العوجاء أو أبي حنيفة و ابن أبي ليلى و ابن جريج وغيرهم. وبعض المناظرات كانت مع ملحدين وزنادقة، و أيضاً مع فلاسفة وأطباء كالتي حصلت بينه

١- رجال النجاشي: ٤٠.

٢- هذه بعض أقوال علماء المسلمين في ذلك:

- المفيد: (ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل) الإرشاد: ٢ /١٧٩.

- محمد أبو زهرة: (إنّ للإمام الصادق فضل السبق، وله على الأكابر فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلاً. وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيّد أهل المدينة في عصره فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين، وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الإضافي بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمدية) الإمام الصادق: ٣٠.

- أسد حيدر: (كان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها، ومن كل قبيلة من بني أسد، ومخارق، وطي، وسليم، وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبني ضبة، ومن قريش، ولا سيَّما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني الحسن بن الحسن بن علي) الإمام الصادق: ١ / ٤١ – ٤٢.

وبين طبيب هندي، أو الحوار الذي دار بينه وبين الطبيب ابن ماسويه، وكل هذه المناظرات والحوارات حُفظت في نصوص المؤرخين والمحدثين وضمّتها المصادر العديدة [١].

المراجع لتلك المناظرات والحوارات لا يجدها تدور في فلك علم أو حقل معرفي واحد، بل يجدها تتضمن مباحث لعدة علوم وحقول معرفية، مثل: التفسير والعقائد والأديان والفقه والفلسفة وغيرها بما في ذلك بعض العلوم والمسائل غير الدينية كالحوار الذي دار بينه وبين الفلكي سعد اليماني [٢]. ومثلها إجابات الأسئلة التي كانت تطرح عليه ويتصدّى لإجابتها، ومن الصعب حصر عددها؛ لأنها كثيرة جداً، وقد دُوّن الكثير منها في الموسوعات الحديثية والتاريخية المنتشرة بين المسلمين، ولهذا رأينا ابن حجر – العالم السني المعروف، وكذا المفيد العالم الشيعي المعروف – قالا في وصف علم الإمام الصادق عليه السلام: (ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان) كما تقدم!

- (زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني، فقال: يا زرارة، بيت حج إليه قبل آدم بألفي عام تريد أن تفتي مسائله في أربعين عاماً) [٣].
- (عن محمد بن مسلم، قال: ما شجر في قلبي شئ إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر ألف حديث) [٤].

١- انظر على سبيل المثال: الكافي، الكليني: ١ / ٧٦ – ٧٨، ٨٠ – ٨١؛ التوحيد، الصدوق: ٢٩٦؛ الخصال، الصدوق: ٥١١؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شرآشوب: ٣ / ٣٨٥. وقد ذكر الطبرسي مجموعة من مناظرات الإمام الصادق وبعض تلامذته في كتابه الاحتجاج: ٢ / ٦٩ - ١٥٣.

٢- انظر بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٣١٨.

٣- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١١ / ١٢.

٤- مستدرك الوسائل، الطبرسي: ١٧ / ٣١٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٦ / ٣٢٨.

كان الإمام الصادق عليه السلام يحثّ طلبته والمتعلمين عموماً على كتابة العلم وتدوينه حيث يقول: "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا" [١].

٣- الإمام الصادق - أيضاً - فتح باب التخصّص العلمي والمعرفي، فقد صنّف بعض تلاميذه على عدة تخصصات علمية ومعرفية كانت رائجة في زمانهم، وبالتأكيد كانت الكفاءة ميزان التصنيف عنده، ولذلك أجاد و أثمر العديد منهم في مجالات تخصصاتهم. فمثلاً: لمع نجم كثيرين في الفقه، منهم: زرارة ومحمد بن مسلم والفضيل بن يسارو أبو بصير وغيرهم، وفي التفسير برز حمران بن أعين وآخرون، في حين اختص هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق بعلم الكلام والحِجاج والعلوم العقلية عموماً، وهناك من تخصص بعلوم التوحيد بالخصوص كالمفضل بن عمر، وكان لبعض تلاميذه تخصصات في علوم الطبيعة مثل: جابربن حيان الكوفي في علم الكيمياء، و إبراهيم بن حبيب الفزاري في علم الفلك [٢] ... وهكذا.

في أحد الأيام، قام الإمام بتعليم هشام بن الحكم بعض أساسيات التوحيد والعقيدة، وختم مجلسه معه بقوله: (أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله غيره؟ قال هشام: نعم، فقال: نفعك الله به وثبّتك! قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا) [٣].

طلب الإمام الصادق من تلامذته أن يكتبوا في العلوم التي فتح لهم أقفالها، وأمرهم بحفظ الكتب:

(عن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٢.

٢- كان أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري أول من عمل اسطرلاب بين المسلمين، انظر: فلاسفة الشيعة، عبد الله نعمة: ٧٤. والاسطرلاب: آلة فلكية يعرف بها حركة الكواكب.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٨٧.

... عن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم) [١].

لهذا، صنّف كثير من تلاميذه كتباً مثل: هشام بن الحكم، ومحمد بن مسلم، والمفضل بن عمر، و أبان بن تغلب، وإسماعيل بن مهران، وجميل بن دراج، وجابر بن يزيد الجعفي وغيرهم [٢]. إضافة إلى كتب و أبحاث تلامذته الآخرين كجابر بن حيان الذي كتب في علم الكيمياء والفلك. وبهذا يمكننا اعتبار عصر الإمام الصادق العصر الذي نشط فيه التدوين والتأليف بشكل واضح.

كان الإمام الصادق عليه السلام يطلب من بعض تلاميذه تعليم الناس، فقد جاءه رجل شامي وطلب أن يتعلم، فقال لهشام بن الحكم: "علّمه فاني أحب أن يكون تلميذاً لك" [٣].

و أيضاً: كانت المناظرات تُعقد في مجلسه بين بعض أصحابه وآخرين، وأحياناً يشترك فيها أكثر من شخص كالمناظرة التي اشترك فيها: هشام بين الحكم وهشام بن سالم ومؤمن

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٢.

٢- انظر على سبيل المثال: رجال النجاشي: ص١٠ برقم ٧ (أبان بن تغلب)؛ وص٢٦ – ٢٧ برقم ٤٩ (إسماعيل بن مهران)؛ وص١٢٧ برقم ٣٢٨ (جميل بن دراج)؛ وص١٢٨ برقم ٣٣٢ (جابر بن يزيد)؛ وص٤١٦ برقم ١١١٢ (المفضل بن عمر)؛ وص٣٢٤ برقم ٨٨٢ (محمد بن مسلم)؛ وص٤٣٣ برقم ١١٦٢ (هشام بن الحكم)؛ وص٤٣٤ برقم ١١٦٣ (هشام بن سالم).

فمثلاً: أبان بن تغلب ألّف عدة كتب، منها: كتاب القراءات، وكتاب الفضائل، والغريب في القرآن، (انظر: الفهرست، ابن النديم: ٣٠٨؛ الفهرست، الطوسي: ٥٩ و٥٧). وألّف مؤمن الطاق عدة كتب، منها: كتاب الإمامة، وكتاب المعرفة، وكتاب إثبات الوصية، وغيرها (انظر: الفهرست، ابن النديم: ٢٥٠). وألّف المفضل بن عمر كتاب التوحيد، وألّف هشام بن الحكم عدة كتب عدّ منها ابن النديم في فهرسه سبعة عشر مؤلفاً (انظر: الفهرست: ٢٢٣ – ٢٢٤). وألّف غيرهم كتباً أخرى.

٣- انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ٢ / ٤٥٣.

الطاق [١] وحمران بن أعين وقيس الماصر، وبعد انتهائها قام الإمام الصادق بتقييم أدائهم و إبداء الملاحظات على كل منهم (إيجاباً وسلباً)، حتى وصل إلى هشام بن الحكم فقال: "مثلك فليكلّم الناس" [٢].

١- معروف عن مؤمن الطاق "أبو جعفر الأحول" قوة الحجة وسرعة البديهة، إذ جرى بينه وبين أبي حنيفة حوار: (قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق: وقد مات جعفر بن محمد عليه السلام: يا أبا جعفر إن إمامك قد مات فقال أبو جعفر: لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٤٢٦.

٢- انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١٠ / ٢٦٥.

وهذه إحدى مناظرات هشام ربما توضح سبب قول الصادق له: "مثلك فليكلم الناس"!

(عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام! قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟ وكيف سألته؟ فقال هشام: إني أجلك وأستحيي منك، فلا يعمل لساني بين يديك، قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشئ فافعله، قال هشام: بلغني ما كان فيه عمر بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك علي، فخرجت إليه فدخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه ... قلت: أيها العالم انا رجل غريب فأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال، فقال نعم. قال، قلت له: ألك عين؟ قال: يا بني أي شئ هذا من السؤال أر أيتك شيئا كيف تسأل؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وأن كان مسألتك حمقا. قلت: أجبني فيها، قال، فقال لي: سل، قال، قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت فما ترى بها؟ قال: الألوان والاشخاص، قال، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قال، قلت: فما تصنع به؟ قال: اشتم به الر ائحة، قال: قلت فلك فم؟ قال: نعم قال، قلت فما تصنع به؟ أذوق به الطعم. قال: قلت ألك قلب؟ قال: نعم. قال، قلت فما تصنع به؟ قال: أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح، قال: قلت أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني الجوارح إذا شكت في شئ شمته أو رأته أو ذاقته ردته إلى القلب فيتيقن اليقين ويبطل الشك، قال، قلت: و انما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قال: قلت: فلابد من القلب والا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم. قال: قلت يا أبا مروان ان الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها أماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن لها ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافاتهم لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك. قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام؟ ... قال: ثم ضمني إليه و أقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟ قال: قلت يا بن رسول الله جرى على لساني، فقال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٤٩ – ٥٥١.

٤- لم ينحصر تعليم الإمام الصادق عليه السلام بالرجال فقط و إنما شمل النساء أيضاً، وقد عدّ الشيخ الطوسي من المتعلمين على يديه: ٣٢١١ رجلاً، و١٣ امرأة [١].

٥- كانت للإمام الصادق إسهامات واضحة في علوم الطبيعة (العلوم غير الدينية).

عقائدياً، العلم الواجب أن يتحلّى به الإمام المعصوم هو العلم الديني؛ ولا يُشترط في علمه أكثر من هذا؛ لأنه بالأصل هادٍ إلهي [٢]، فلا يشترط في "الإمام الحق" أن يكون عالماً ومتخصصاً بعلوم الطبيعة كالفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والفلك ونحو ذلك، لكن هذا لا يعني أنه لابد أن يكون جاهلاً بها، وعلى هذا الأساس كان للإمام الصادق إسهامات كثيرة في علوم كانت رائجة في وقته [٣]، وهذه بعض الإسهامات:

أولاً: الإشراف على عمل و أبحاث بعض شيعته ممّن برع في علوم الطبيعة كعلم الكيمياء مثلاً، إذ اشتهر- آنذاك - جابر بن حيان الكوفي، الذي عُدَّ أب الكيمياء الحديثة

١- انظر: رجال الطوسي، فصل أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

٢- قال السيد أحمد الحسن: (ثانياً: العلم. وخليفة الله هو العالم الذي يمكنه الاستغناء عن غيره من الناس، وليس لأحد من الناس الاستغناء عنه وعن علمه؛ لأنّ الله يوحي إليه كل ما يستجد في دين الله، وكل ما يحتاجه أهل زمانه في دينهم. والعلم الواجب هنا هو العلم الديني الذي يكلف خليفة الله بتبليغه للناس) عقائد الإسلام، أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي.

٣- مثلاً: راجت في وقت الإمام الصادق آراء العالم الفلكي بطليموس و انتشر كتاب "المجسطي" الذي ألّفه في القرن الثاني الميلادي، ويعتقد فيه بأنّ الأرض هي مركز الكون وأنّ الشمس تدور حول الأرض، وتنتقل من برج لآخر في شهر، لتكمل دورتها حول الأرض في عام، وللشمس حركة ثانية تدور فيها حول الأرض في يوم وليلة، وكان قد مضى على تأليف كتابه ٥٦٠ عاماً ولم يجرؤ أحد على تخطئته أو انتقاده حتى اطّلع الصادق - في سن مبكرة من عمره - على مجسّم للأرض والنجوم التي تدور حولها ومنها الشمس بُني وفق آراء بطليموس، أتى به أحد طلبة أبيه الباقر من مصر سنة ٩١ هـ، فقال: (إذا كانت الشمس تدور حول الأرض وتنتقل من برج إلى آخر في ثلاثين يوماً لتتم دورتها مرة كل سنة، فما هو السر إذن في غياب الشمس كل ليلة لتظهر في صباح اليوم الثاني؟ وإذا كانت الشمس تستقرّ في كل برج شهراً واحداً فلابدّ إذن أن نراها بصورة مستمرة فلا تغيب عنا كل مساء)! انظر: الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، د. نور الدين آل علي: ٩٤.

بالتأكيد، إنّ نقد الإمام الصادق لآراء بطليموس، الذي فتح الباب لإثبات العكس (أي أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس كما يقول بطليموس)، لم يأخذ أثره في مجتمع المدينة آنذاك؛ لأنهم بالأصل غير مهتمين بهذه العلوم ولا مطلعين عليها، إلى أن جاء العالم البولوني كوبرنيكوس فأثبت دوران الأرض حول الشمس و انتفت عندئذٍ مركزية الأرض للكون التي وجّه لها الصادق نقداً واضحاً قبل كوبرنيكوس بأكثر من ٩٠٠ عام تقريباً!

وكان لبحوثه تأثير واضح في العصور المتأخرة [١]، وقد ترجمت مؤلفاته إلى اللغة اللاتينية، وجابر رجل معروف بولائه لآل محمد، بل عُدّ من تلاميذ الإمام الصادق [٢].

أبحاث جابر بن حيان في التفاعلات الكيميائية والمعادلات وتجاربه العلمية في دراسة العناصر ساهمت بتحريك عملية ترجمة الكتب في بغداد بحسب بعض مؤرخي العلوم [٣].

ثانياً: إشارات معرفية أكدتها النظريات العلمية:

هناك الكثير من الإشارات التي وردت في كلام الامام الصادق عليه السلام المنقول في الروايات تخص مواضيع مختلفة، توضح معناها أكثر في أزمنة متأخرة ومنه زماننا بعد أن أثبتت النظريات العلمية مضمونها، وهذه بعض الأمثلة [٤]:

١- انظر: مقدمة في تاريخ الطب العربي، د. التيجاني الماحي: ٣٠؛ العالم العربي، نجلاء عز الدين: ١٢؛ إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية، حيدر بامات: ١٠٨.

٢- هذه تصريحات بعض المؤرخين والباحثين في ذلك:

- ابن خلكان: (أبو عبد الله جعفر الصادق ... أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكروله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة) وفيات الأعيان: ١ / ٣٢٧.

- حاجي خليفة: (... مصنفات جابر تلميذ جعفر الصادق ... وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره) كشف الظنون: ٢/ ١٥٢٩.

- د. خضر أحمد عطا الله: (وأما جعفر الصادق: الذي كثيراً ما يُرى اسمه في كتابات جابر مشاراً إليه بقوله "سيدي" فهناك من زعم أنه جعفر بن يحيى البرمكي، لكن الشيعة تقول: – وهو القول الراجح الصدق – أنه إنما عنى به جعفر الصادق ونقول إنه مرجح الصدق لأن جابراً شيعي، فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لإمام شيعي) بيت الحكمة في عصر العباسيين: ٣١٤ – ٣١٥.

- د. عبد الحليم منتصر: (جابر بن حيان: هو الكيميائي العربي الأول، بل شيخ الكيميائيين غير منازع ولا مدافع، ... درس العلم والكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه: ١٠٥.

٣- يقول هوليارد: (إنه بواسطة جابر نقلت كتب عديدة من الاستانة إلى بغداد بقصد الترجمة ...) الكيمياء حتى عصر دالتون، هوليارد: ١٥. والاستانة: هي القسطنطينية.

٤- يمكن مراجعة المزيد من هذه الأمثلة في كتاب وهم الإلحاد، السيد أحمد الحسن: ٥٦٥ – ٥٦٨.

- إشارة ١: حديث الإمام الصادق: "قال زرارة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني، فقال: يا زرارة، بيت حج إليه قبل آدم بألفي عام تريد أن تفتي مسائله في أربعين عاماً" [١]، يشير إلى التطور؛ فهو يؤكد وجود حياة عاقلة على الأرض قبل آدم عليه السلام، فهم بشر لديهم مستوى معين من الإدراك بدليل أنهم كانوا يتعبدون بحج بيت الله، وهذه الإشارة سبقت نظرية عالم الأحياء "دارون" بأكثر من ١١٠٠ عام!

- إشارة ٢: حديث الإمام الصادق: "إنّ لله عزوجل اثني عشر ألف عالم؛ كل عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عزوجل عالماً غيرهم و أنا الحجة عليهم" [٢]، يشير إلى وجود عوالم متعددة، وقوله هذا قبل أن يثبت عالم الفيزياء "هيو ايفرت" نظريته في تعدد الأكوان في منتصف القرن الماضي بحوالي ١٢٠٠ عام!

- إشارة ٣: حديث الإمام الصادق: "إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإن من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه" [٣]، يشير إلى أنّ وجود الحياة يعتمد على توفر الطاقة لا الشمس بالخصوص، والشمس ليست هي المصدر الوحيد للطاقة، فهناك الكثير من الكائنات الحيّة التي تعيش في أعماق المحيطات تعتمد في نموها وتكاثرها على حرارة باطن الأرض وبعض المواد الكيميائية.

قال السيد أحمد الحسن:

(إذن، قبل أكثر من ألف عام ذكر محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله:

- أن هناك حياة عاقلة مدركة غيرنا سبقتنا على هذه الأرض، وهذا أثبتته الاحفوريات والأدلة الجينية كما بيّنا في هذا الكتاب.

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١١ / ١٢.

٢- الخصال، الصدوق: ٦٣٩.

٣- بصائر الدرجات، الصفار: ٥١٠.

- أن هناك حياة عاقلة ومدركة غيرنا موجودة ضمن كوننا الذي نعيش فيه، وهذا بحسب المعلومات الكونية الحديثة ممكن جداً خصوصاً بعد رصد كواكب تشبه كوكب الأرض إلى حد بعيد.
- أن هناك حياة عاقلة مدركة ليست في كوننا أصلاً بل ضمن أكوان أخرى غير كوننا الذي نعيش فيه، وقد بينا هذا الأمر فيما تقدم عند مناقشة ميكانيكا الكم والأكوان المتعددة ونظرية هيو افرت) انتهى [١].

كانت هذه بعض أوجه النشاط العلمي والثورة المعرفية التي قادها الإمام الصادق عليه السلام، وبهذا نكون قد خلصنا إلى:

١- إنّ الإمام الصادق قاد نهضة علمية ومعرفية كبيرة أثرت على عموم بلاد المسلمين وجذبت آلاف المتعلمين، وقد برز العديد منهم وفتح لهم الإمام باب التخصص العلمي الذي كان يخضع لإشرافه وتقييمه.
٢- حراك الإمام العلمي لم يكن يقتصر على العلوم الدينية فقط، ولم يتخذ أسلوباً واحداً بل شمل التدريس والتأليف والحوار والندوة والمناظرة ونحو ذلك.
٣- نشطت حركة التأليف في علوم الدين والطبيعة على السواء، وباعتراف بعض مؤرخي العلوم فإنّ أبحاث عالم الكيمياء جابر بن حيان (تلميذ الإمام الصادق) ساهمت بتنشيط عملية الترجمة في بغداد.

من المهم أن نضع هذه النتائج في ذاكرتنا القريبة؛ لأننا سنحتاج إلى استحضارها لاحقاً عند استعراض البدايات التي استند إليها "بيت الحكمة" [٢] في تأسيسه!

١- وهم الإلحاد، أحمد الحسن: ٥٦٧ – ٥٦٨.

٢- مركز علمي وبحثي تخصصي في مختلف العلوم، ذاع صيته في زمن المأمون العباسي وجذب إليه كبار الباحثين والعلماء مثل الخوارزمي وغيره، وقد رفد المجتمع الإنساني ببحوث علمية مهمة ومؤثرة إلى يوم الناس هذا.

التقية والبداء:

كل ما بثّه الإمام الصادق عليه السلام من علم غطّى منظومة الدين الإلهي هو عظيم بكل ما تعنيه الكلمة، لكني أخص بالذكر أمرين مهمين وردا في نصوصه الدينية بهدف توضيحهما وبيان مراده منهما؛ كان اختيارهما بالذات لأنهما عادة ما يُساء فهمهما سواء بقصد أو بجهل، ومن ثمَّ استغلا للطعن بكلام الإمام الصادق نفسه أو الطعن بعقيدة شيعته الذين يدينون لله بدينه وقوله، والأمران هما: التقية والبداء!

١- التقية:

التقية: هي خوف وخشية تؤدي بالإنسان أن لا يظهر ما يبطن ويعتقد بشكل واضح وصريح، أو ربما يظهر خلاف ما يبطن.

وهي أمر مشروع في دين الله؛ قرآناً وسنة ضمن حدود وضوابط واضحة.

فدلالة قوله تعالى: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" النحل: ١٠٦، وكذا قوله تعالى: "لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً" آل عمران: ٢٨، على التقية أمر يؤكده جميع المسلمين:

- (بسم الله الرحمن الرحيم * كتاب الاكراه * وقول الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وقال الا ان تتقوا منهم تقاة وهي تقية وقال إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض إلى قوله واجعل لنا من لدنك نصيرا فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما امر الله به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر به * وقال الحسن التقية إلى يوم القيامة) [١].

١- صحيح البخاري: ٨ / ٥٥.

• (عن ابن عباس في قوله "الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" قال أخبر الله سبحانه انه من كفر بعد ايمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه ان الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.

... عن ابن عباس "الا ان تتقوا منهم تقاة" قال والتقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان ولا يبسط يده فيقتل ولا إلى اثم فإنه لا عذر له) [١].

• (قال أبو عمر رحمه الله: كان عمار وأمه سميّة ممن عذّب في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه، واطمأنّ بالإيمان قلبه، فنزلت فيه: "إِلَّا من أُكْرِهِ وقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ" وهذا مما اجتمع أهل التفسير عليه) [٢].

وإذا كانت "التقية" أمراً مشروعاً ومذكوراً في كتاب الله وذكرته صحاح أهل السنة وكبار علمائهم، فلماذا إذن يُستكثر على أبناء رسول الله "الأئمة" عليهم السلام قولهم بها، وهم العلماء الحقيقيون؟!

- الباقر عليه السلام: "التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له" [٣].
- الصادق عليه السلام: في قول الله عز وجل: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة" قال: "الحسنة: التقية والسيئة: الإذاعة، وقوله عزوجل: "ادفع بالتي هي أحسن السيئة" قال: التي هي أحسن التقية" [٤].

هذا من جهة التشريع، أما من جهة الحدود: فمن حدودها أنّ التقية تكون عند الضرورة حتى تبلغ الدماء، ولا تقية في الدماء:

١- السنن الكبرى، البيهقي: ٨ / ٢٠٩.

٢- الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣ / ١١٣٦.

٣- الكافي، الكليني: ٢ / ٢١٩.

٤- الكافي، الكليني: ٢ / ٢١٨.

- (عن أبي جعفر عليه السلام قال: التقية في كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به) [١].
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقية) [٢].

أما السبب الذي يجعل العمل بالتقية أمراً واجباً فهو الضرورة القاضية بالحفاظ على دين الله من قبيل: الحفاظ على حياة الإمام المعصوم، أو الحفاظ على المجتمع المؤمن من إلحاق ضرر كبير به. ولهذا، رأينا الأئمة عليهم السلام أحياناً يعملون بالتقية عندما تكون حياتهم مهددة بالقتل قبل إتمام رسالتهم المكلفين بها، كما رأيناه سابقاً في كتاب الإمام الباقر عليه السلام لسليمان بن عبد الملك؛ إذ كتب إليه بطريقة تختلف عن كتابه لعمر بن عبد العزيز، ولما سأله والي عمر بالمدينة عن ذلك قال: "إنّ سليمان كان جبّاراً كتبت إليه بما يكتب إلى الجبارين، وإن صاحبك أظهر أمراً فكتبت إليه بما شاكله" [٣]، فواضح أنّ الذي دعا الإمام الباقر لاستعمال التقية هو حفظ حياته من القتل؛ لا سيما و أنه بعدُ لم يشرع برسالته ولم يبث العلم الغزير المكلّف ببثه ونشره كما عرفنا.

أما إحداث ضرر بالمجتمع المؤمن، فهو ما كان ينظر إليه الإمام الصادق عليه السلام في تعليل أمره للعمل بالتقية وقوله لشيعته: "إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير"!

(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شئ إلا أكلته ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا) [٤].

---

١ - الكافي، الكليني: ٢ / ٢١٩.

٢- الكافي، الكليني: ٢ / ٢٢٠.

٣- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٠٥. الإمام يقصد: أنّ عمر بن عبد العزيز لما كان يريد العمل بالعدل والإنصاف ورد المظالم كان الوعظ والنصح الذي يناسبه هو التخويف والتذكير، بخلاف سليمان الذي كان طاغية جباراً.

٤- الكافي، الكليني: ٢ / ٢١٨.

الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، وقبل قيام القائم عليه السلام، حياتهم مليئة بالخطر وكانت رسالتهم تقوم على بيان دين الله ونشره وإرساء دعائم الأمة المؤمنة، لذلك حثّوا شيعتهم على التقية وعدم إذاعة سرهم حفظاً على حياة الامام وعدم إلحاق الضرر بالمؤمنين وهم قليل قياساً ببقية الناس:

(عن حبيب بن بشر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شئ أحب إليّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إن الناس إنما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا) [1].

- "قد كان ذلك": أي انتهاء الهدنة وظهور القائم عليه السلام.
- "كان هذا": أي ترك التقية.

أما الضرر الشخصي، فليس حاله كحال الضرر على الإمام المعصوم أو الضرر على المجتمع المؤمن، أي لا يجعل التقية واجبة، و إنما تبقى أمراً مشروعاً بالنسبة له؛ إن شاء عمل بها وإن شاء ترك العمل بها.

يقول السيد أحمد الحسن: (التقية عموماً مشروعة ويجوز العمل بها، ولكن لا يجب العمل بها إلا عند الضرورة كأن يكون تركها يحدث ضرراً كبيراً في المجتمع المؤمن أو بالدين أو بالإمام عليه السلام.

الضرر الشخصي لا يجعل العمل بالتقية واجباً، بل تبقى مشروعة ويمكن العمل بها كما حصل في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعمار بن ياسر عمل بها وحفظ حياته وعمله صحيح، ووالداه لم يعملا بها واستشهدا وعملهما صحيح) انتهى [2].

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٢١٧.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

بهذا يتضح أنّ التقية أمر مشروع في دين الله وله غايات وأهداف يفرضها الدين والعقل معاً، وليس الأمر كما يتوهمه بعض الجهلة الذي يشبّهون العمل بالتقية بحالة النفاق! هم يقولون هذا مع أنهم بحسب الفرض يقرؤون القرآن، ويقرؤون صحاحهم التي تضمنت روايات (وقد استعرضنا نماذج منها) ذكرت مشروعية التقية في دين الله!

وأيضاً: لا شك أنّ بين الأمرين (التقية والنفاق) فرقاً شاسعاً، هو كالفرق بين الحق والباطل، فالمنافق يضمر في قلبه باطلاً وكفراً، والمتقي يضمر في قلبه حقاً وإيماناً! إضافة إلى أنّ المنافق يفعل ذلك حفظاً لشخصه الخبيث أو لغاية خبيثة تصبُّ في إلحاق الأذى بدين الله، في حين أنّ المتقي يتقي (في حال الوجوب)؛ حفظاً لدين الله المتمثل بحفظ حياة الإمام المعصوم أو دفع ضرر كبير عن المجتمع المؤمن، ويتقي (في حال الجواز) لدفع الضرر عن نفسه، وهو رخصة من الله الرحيم طالما أنّ قلبه مطمئن بالإيمان.

وبالنتيجة، من يشكل على العمل بالتقية وجوباً وجوازاً فليس هو أعلم من رسول الله صلى الله عليه واله بدين الله، ولا هو أعلم وأكثر إيماناً من عمار بن ياسر!

يقول السيد أحمد الحسن بحق المشككين بالتقية:

(هل هم أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن عمار بن ياسر؟ بل حتى العقل يحكم بأنّ التقية في بعض الأحيان عمل حكيم) انتهى [١].

٢- البداء:

يتصور بعض المسلمين أنّ القول بالبداء يفترض نسبة الجهل لله، أو أنّ البداء يعني التبدل والتغير في علم الله، وهذا يعني أنّ الذات الإلهية حادثة وليست قديمة؛ لأنها أصبحت محلاً للحوادث أعني: التبدل والتغير [٢].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- باختصار: الشيء إن كان مسبوقاً بعدم فهو حادث وإلا فهو قديم، والذات الإلهية "الله" لا يمكن أن تتصف بالحدوث؛ لأن كل حادث يحتاج إلى محدث وعلة توجده؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولما كان القول بالبداء هو حقيقة صريحة وواضحة في روايات الأئمة ويعتقد بها شيعتهم صار هذا الاعتقاد باباً للطعن الذي يوجّه لهم من قبل الآخرين.

الحق، إنّ البداء الذي نعتقده هو الذي يتضمّنه قوله تعالى: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" الرعد: ٣٩.

(عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في هذه الآية: "يمحو الله ما يشاء ويثبت" قال: فقال: وهل يمحى إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا ما لم يكن؟) [١].

باختصار، لدينا شيئان: لوح المحو والإثبات، أم الكتاب.

- أم الكتاب: يعني اللوح المحفوظ أو كتاب المحكمات، وفي هذا اللوح لا يحصل لما فيه – مما كان أو يكون إلى يوم القيامة – بداء أو تبديل، وبه يتعلق علم الله.
- لوح المحو والإثبات: أو كتاب المتشابهات، فأيضاً فيه علم ما كان وما يكون لكن على وجوه واحتمالات كثيرة للأمر الواحد بحسب تعدّد عوالم الخلق، لكن بالنتيجة سيتحقق منها أمر واحد وهو الثابت والمدوّن في أم الكتاب.

وكمثال لتقريب الفكرة: لو افترضنا أنّ "س" في لوح المحو والإثبات مكتوب له أن يموت بعمر خمسين سنة بلدغة عقرب، لكن إذا تصدّق على فقير فسيعيش عشر سنين أخرى أي يموت بعمر ستين، وبعد انتهاء العشر إذا برَّ والديه سيعيش خمس سنين أخرى أي يموت بعمر خمسة وستين، فالآن أصبح لدينا ثلاث احتمالات في عمر هذا الشخص:

- ٥٠ سنة: إن لم يتصدّق.
- ٦٠ سنة: إن تصدّق ولم يبر والديه.
- ٦٥ سنة: إن تصدّق وبرَّ والديه.

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٤٦ – ١٤٧.

مع الانتباه إلى أنّ هذا التعدد وكثرة الاحتمالات والخيارات إنما هو على مستوى لوح المحو والاثبات أي في عوالم الخلق، أما على مستوى اللوح المحفوظ وأم الكتاب فالموجود والمكتوب فيه أمر واحد لا غير كأن يكون الخيار الثالث مثلاً، وهذا هو الثابت في علم الله، والله يعلم به:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ الله لم يبدُ له من جهل" [١].

وليس هذا فحسب ولكن يعلم به حتى قبل أن يخلق الخلق:

(عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شئ لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق) [٢].

علماً، أنّ الموجود في أم الكتاب لا يعلم به إلا الله ومن شاء أن يطلعه (أو بعضاً منه) من خاصة أوليائه.

أما لماذا ظهر الأمر متشابهاً بالنسبة لنا وفيه أكثر من خيار واحتمال؟

فلأسباب وحِكَم كثيرة؛ منها: إحياء الرجاء في النفوس، أو الامتحان والتمحيص، وغيرها من حكم كثيرة [٣].

مسألة تعاطي الناس مع البداء في عالم الامتحان الذي نحن فيه يكاد يكون بديهياً وفطرياً، فمثلاً: المذنب يدعو الله ليغفر له ويغيّر مساره الخاطئ، والفقير يعمل ويسأل الله أن يغنيه، والمريض يسعى ويعالج ويدعو الله أن يغير حاله، وهكذا. الناس أغلبهم يتقرّبون إلى الله بالعبادة والدعاء وعمل الخير برجاء تغيير حالهم نحو المسار الأفضل، وهذا يعني أنّ العبد في قرارة نفسه يعتقد أنّ أمامه أكثر من مسار وأكثر من احتمال وخيار، لهذا فهو

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٤٨.

٢- نفس المصدر.

٣- لمزيد من التفصيل في البداء، انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٩.

يسعى ويجتهد من أجل أن يعينه الله لاختيار المسار الأفضل، وهذا هو لوح المحو والإثبات الذي كنا نتحدث عنه.

لهذا، قال الإمام الصادق عليه السلام:

- "ما عُظِّم الله بمثل البداء" [١].
- "لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه" [٢].

ذلك لأن الإيمان بالبداء يحيي الرجاء في قلوب العباد ويرجعهم إلى الله، ويبعد عنهم اليأس والقنوط. وكما قلت فإنّ هذا التعدد إنما هو في عوالم الخلق لا في علم الله، أما الثابت في علم الله "أم الكتاب" فهو شيء واحد لا غير، وهو ما يؤول إليه جهد وسعي العبد وما يختاره بالنتيجة ونهاية الأمر.

توضيح ودفع شبهة:

فيما يتصل بالبداء أيضاً، هناك شبهة تتعلق بما رواه الصدوق بخصوص البداء في إسماعيل بن جعفر الصادق والبداء في إسماعيل بن إبراهيم الخليل، ويبدو أنّ الأمر استعصى فهمه على الصدوق نفسه رحمه الله؛ لأنه قال بعد ذكره روايتين: "وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر"، وهذا ما رواه:

(١٠- ومن ذلك قول الصادق عليه السلام: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني، يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي.

١١- وقد روي لي من طريق أبي الحسين الأسدي رضي الله عنه في ذلك شئ غريب، وهو أنه روى أن الصادق عليه السلام قال: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذ أمر

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٤٦.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ١٤٨.

أباه إبراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم، وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر، إلا أني أوردته لمعنى لفظ البداء والله الموفق للصواب) [١].

والسؤال: ما معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: "ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني ..."؟ وما معنى: "ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي ..."؟

يقول السيد أحمد الحسن:

(بالنسبة لمسألة البداء، تكلّمت عنها عند الكلام عن العقائد، وإجمالاً: لفهم البداء ينبغي معرفة أنّ لدينا لوح المحو والإثبات ولدينا أم الكتاب، أما المثبت في أم الكتاب فهو خيار واحد وثابت لا تغيير فيه، والتغيير يحصل في لوح المحو والإثبات؛ لأنه يوجد لدينا عدة عوالم وبالتالي يوجد أكثر من خيار و اتجاه، وهذا أمر ذكرته في كتاب "وهم الإلحاد" [٢]، و أيضاً: بيّنت الأسباب والحِكَم من وجود أكثر من خيار واحتمال في لوح المحو والإثبات [٣]. وهذا هو البداء الذي نعتقد به.

وعموماً، لو أردنا تطبيق هذه الفكرة على مسألة الذبيح مثلاً:

في أم الكتاب الذبيح هو الحسين عليه السلام، وهذا علم الله لا يتغير ولا يتبدل. نعم، في لوح المحو والإثبات هنالك أكثر من ذبيح، هنالك الحسين وهنالك اسماعيل وهنالك

١- التوحيد، الصدوق: ٣٣٦.

٢- قال السيد أحمد الحسن عن تعدد مسارات واحتمالات المستقبل وفق نظرية الأكوان المتعددة ومعطيات ميكانيكا الكم: (... أما المستقبل فمن المستحيل أن نعرفه وفق تفسير الأكوان المتعددة؛ لأنه يتفرع إلى مسارات عديدة ونحن سنكون في أحدها في لحظةٍ ما من المستقبل.

يذكرنا هذا بكلمات نزلت قبل ألف وأربعمائة سنة تقريباً: "يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ".

إنّ الفيزياء اليوم تؤكد صحة القرآن، وتؤكد أكثر صحة منهج آل محمد عليهم السلام؛ لأنه لم يفسر هذه الآية بالبداء غيرهم، بل شنع المخالفون على أهل البيت القول بالبداء، وها نحن بعد أكثر من ألف سنة يثبت ميكانيك الكم صحة ما قاله آل محمد عليهم السلام في البداء) وهم الإلحاد: الفصل السادس، مبحث الأكوان المتعددة، ص: ٥٣٢.

٣- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٩.

عبد الله، فلدينا ثلاثة، ولو أنجز الأمر الإلهي بغير الحسين لكان قد أنجز بطريق متدنٍ، لكنه لما أنجز بالحسين فهذا يعني أنه أُنجز بالطريق الأفضل الذي يريده الله. وكما قلت فان وجود هذا التعدد في المصداق والخيارات إنما هو في لوح المحو والإثبات "عوالم الخلق"، وأما في أم الكتاب وعلم الله فالمثبّت هو خيار واحد لا غير وهو أنّ الحسين هو الذبيح.

فقول الإمام الصادق عليه السلام: "ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذ أمر أباه إبراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم" معناه: أنّ العلم الذي طرحه الله في عوالم الخلق (لوح المحو والإثبات) يتضمن وجود إسماعيل وكذلك عبد الله "والد الرسول" كاحتمالات لمصداق الذبيح، لكن الله فدى إسماعيل بالحسين، وليس معنى هذا أنّ إسماعيل هو كل ما تمَّ فداءه بل الحق أنه جزء؛ لأن الحسين هو فداء عرش الله "عوالم الخلق كلها"، وهذا يشمل الرسول وعلي والأنبياء صلوات الله عليهم والخلق عموماً.

كذلك الحال في مسألة إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، فالمثبت في أم الكتاب خيار واحد وهو إمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، أما في لوح المحو والإثبات "عوالم الخلق" فظهر للخلق أكثر من احتمال؛ موسى بن جعفر وإسماعيل بن جعفر، لكن بالنتيجة لا يتحقق إلا ما يعلمه الله وما هو مثبّت في أم الكتاب وهو أنّ موسى بن جعفر هو الإمام لا غير.

أما لماذا صار إسماعيل أحد الاحتمالات في لوح المحو والإثبات، ولماذا ظهر للناس أنه عبد صالح متقي حتى ظن البعض بإمامته، فأكيد توجد أسباب؛ وأحد هذه الأسباب هو الحفاظ على حياة الإمام المعصوم، فلأجل حفظه شاء الله أن يكون أحد أخوته صالحاً ومتقياً وله مقام رفيع حتى يظن أعداء الله أنه هو الإمام وبدلاً من أن يدفعوا السم للإمام موسى بن جعفر دفعوه لإسماعيل، فجعله الله فداء للإمام الأصل) انتهى [1].

قلت: ربما يخطر ببال أحد أنّ في هذا تغرير للخلق بإمامة إسماعيل وإبعادهم عن الاعتقاد بإمامة موسى بن جعفر؟

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

فقال السيد أحمد الحسن: (تغرير بمن؟ من قال إنّ إسماعيل بن جعفر إمام؟ هل الامام الصادق – وحاشاه – قال إنّ الله عيّن إسماعيل إماماً ثم أبدله بموسى؟ بالتأكيد لم يحصل هذا، وكل ما في الأمر أنّ إسماعيل ظهر صلاحه وتقواه للناس في هذا العالم كحال صلاح إمام وكان يحمل تقوى إمام، ولا توجد رواية تقول إنّ إسماعيل إمام أو يحتمل أن يصبح اماماً، ولا أنّ وصية الرسول التي حدّدت الأوصياء من بعده ذكرت أنّ إسماعيل هو أحد الاحتمالات فيمن يلي الصادق عليه السلام، وإنما وصية الرسول وروايات الأئمة كلها ذكرت أنّ الإمام بعد الصادق هو ولده موسى بن جعفر لا غير، إذن لا يوجد تغرير. أما ظهور صلاح إسماعيل وتقواه بالنحو الذي ظهر به للناس في هذا العالم فقد ذكرنا أنّ له أسباب ومنها الحفاظ على حياة الإمام. ومع هذا فقد شاء الله أن يخرم عمره في حياة أبيه فمات إسماعيل في حياة الصادق عليه السلام حتى لا يبقى عذر لأحد.

نعم، البعض لديه عقدة من مسألة عدم التصريح العلني فيقول: لماذا لا يصرح الإمام الصادق بالعلن باسم الإمام الذي يليه وينص عليه أمام الجميع بحيث لا يبقى مجال للتأويل والاشتباه، لكن هذا الكلام غير قابل للتحقق في مثل الظروف الأمنية التي كانت تحيط بالإمام الصادق عليه السلام، وإقدامه على فعل كهذا يعني قتل وصيه "ولده موسى" لا محال، بل على العكس كان مضطراً لحفظ وصيه بنحو أخرج وصية علنية تتضمن خمسة أشخاص منهم أبو جعفر المنصور نفسه [١]! فالمسألة أنّ الشيطان وجنوده يريدون أن يعرفوا ولي عهده والإمام الذي بعده ليقتلوه، ولهذا كان حريصاً على بيان الحق وتشخيص الإمام الذي يليه للخاصة من شيعته فقط) انتهى [٢].

١- روى الكليني بسنده: (عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلما سلمت عليه رمى بالكتاب إلي وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثا - وأين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة واحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة.

... عن النضر بن سويد بنحو من هذا إلا أنه ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور وعبد الله وموسى ومحمد بن جعفر مولى لأبي عبد الله عليه السلام قال: فقال أبو جعفر: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل) الكافي: ١ / ٣١٠ – ٣١١.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وهذه بعض النصوص التي شخّص فيها الإمام الصادق عليه السلام لخاصة شيعته ولده موسى وصياً له وإماماً من بعده، وفي بعضها أنه دلَّ بعضهم عليه منذ ولادته:

(عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا صاحبكم، فتمسك به.

... عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: قد فعل الله ذلك قال: قلت: من هو جعلت فداك؟ فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال: هذا الراقد وهو غلام.

... عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: ... دخلت على جعفر بن محمد في منزله فإذا هو في بيت كذا في داره في مسجد له وهو يدعو وعلى يمنيه موسى بن جعفر عليه السلام يؤمّن على دعائه، فقلت له، جعلني الله فداك قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال: إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه، فقلت له: لا أحتاج بعد هذا إلى شيء.

... عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم عليه السلام وهو غلام، فقال: استوص به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك.

... عن المفضل بن عمر قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه، ثم قال لي: لا تجفوا إسماعيل.

... عن ابن مسكان عن سليمان بن خالد قال دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام يوماً ونحن عنده فقال لنا: عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي) [1].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٧ – ٣١٠.

الإمام الصادق(ع) ومواقف الحسنيين:

يجمع الحسنيين بالإمام الصادق عليه السلام جد واحد هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لكن مزاحمة صاحب الحق بالادعاء والتسبّب له بأذى أمر حصل ويحصل دائماً في دنيا الامتحان؛ بالرغم من الاعتراف بفضله وصدقه وأحقيته!

عن مو اقف الحسنيين مع الإمام الصادق والأئمة عليهم السلام عموماً، يقول السيد أحمد الحسن:

(جلُّ ما يهمنا في بيان حال الحسن بن الحسن وزيد بن الحسن وبنيهم هو تقمّص بعضهم لثورة الحسين ومحاولة استنساخها أو الاستفادة منها أو تعدي بعضهم على حملة رايتها ومقاماتهم.

وهم ليسوا سواء، ومو اقفهم متباينة في بعض الأحوال.

وعموماً، يرتفع مقام الإنسان عند الله بسلامة دينه وتقواه لا بالنسب والقرب من المتقين، فمن كان متبعاً لإمام زمانه مطيعاً له عاملاً بما يأمره به فهو على سلامة من دينه وإن شاء الله تكون عاقبته إلى خير، أما من يخالف إمام زمانه بأي قدر كان فهو مخطئ قد جانب الصواب وسواء السبيل. أما تشخيص عاقبة الناس وآخرتهم وهل هم من أهل الجنة أم لا، فهذا لله سبحانه وهم خلقه وهو أولى بهم وهو أرحم الراحمين.

واجبنا نحن أن نعطي لكل واحد حقه وقدره الذي يستحق، لا نبخسه من حقه شيئاً، ولا نزيده تبرعاً بدون استحقاق) انتهى [١].

كلام السيد أحمد الحسن هذا نعرف قيمته أكثر لما نلاحظ مو اقف الكثيرين في مسألة تقييم ما صدر من "آل الحسن" من إساءات بحق الأئمة والإمام الصادق بالخصوص، فهم بين من يحاول تبرئة الحسنيين بأي صورة؛ إما بتضعيف الروايات أو

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

بإيجاد المبررات من هنا وهناك ونحو ذلك لتحسين صورتهم، وبين من يراهم أعداء لآل محمد ونواصب ومن ثمَّ يسمح لنفسه بسبّهم وشتمهم بل ولعنهم صراحة!

أما نحن، كأمة وسط، فلا نقبل بهذا التصرف ولا ذاك، و إنما نطرح الحق الذي يهمّنا ونبيّن الحقيقة كما هي مما له صلة بموضوعنا لا أكثر.

أثر الدنيا والحسد في مواقف الحسنيين:

القرب النسبي من الإمام المعصوم أحياناً يكون نعمة وأخرى نقمة، والقرار بين "القريب" نفسه في اختيار أي الوجهتين شاء!

(عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفوا المال ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله") [1].

لا يتصور أحد أنّ آل محمد عليهم السلام محسودون من قبل الناس الغرباء فحسب، ولكنهم محسودين من أهل بيتهم و أقربائهم أيضاً.

و أيضاً: القريب نسباً من الإمام المعصوم لا يعني أنه من: "العترة، آل محمد" أو أنه مصدّق بالامام ومؤمن به حتماً، بل بعضهم مصدّق به "مقتصد"، وبعضهم غير مصدق "ظالم لنفسه":

(عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" فقال: أي شئ تقولون أنتم؟ قلت: نقول: إنها في الفاطميين؟ قال: ليس حيث تذهب ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى خلاف، فقلت: فأي شئ الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حق الامام، والمقتصد: العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات: الامام.

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٨٦.

... عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" الآية، قال: فقال: ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات: الامام، والمقتصد: العارف بالامام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الامام) [١].

وعموماً، هذه بعض النصوص التي تبيّن المرض الذي ابتلي به بعض أقارب الأئمة عليهم السلام، ومنهم بعض بني الحسن:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "ليس منا أحد إلا وله عدو من أهل بيته، فقيل له: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق؟ قال: بلى، ولكن يحملهم الحسد" [٢].

(عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم [٣] أن يرسل إليه بصدقة علي وعمرو عثمان وإن ابن حزم بعث إلى زيد بن الحسن وكان أكبرهم، فسأله الصدقة، فقال زيد: إن الوالي (والي الصدقات) كان بعد علي الحسن، وبعد الحسن الحسين، وبعد الحسين علي بن الحسين، وبعد علي ابن الحسين محمد بن علي، فابعث إليه فبعث ابن حزم إلى أبي، فأرسلني أبي بالكتاب إليه حتى دفعته إلى ابن حزم. فقال له بعضنا: يعرف هذا ولد الحسن؟ قال: نعم كما يعرفون أنّ هذا ليل ولكنهم يحملهم الحسد ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم ولكنهم يطلبون الدنيا) [٤].

وهذا سلوك كبار الحسنيين مع الإمام الصادق صلوات الله عليه:

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢١٤ – ٢١٥.

٢- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٣٧ – ١٣٨.

٣- ابن حزم: والي عمر بن عبد العزيز على المدينة.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦.

زيد بن الحسن وابنه:

تقدم بيان موقف زيد ابن الإمام الحسن عليه السلام مع الإمام زين العابدين عليه السلام و ابنه الباقر عليه السلام بخصوص الاستيلاء على صدقات رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما الخاصة بآل محمد عليهم السلام، وكذا في مسألة التسبّب بأذى للإمام الباقر عليه السلام؛ باعتبار أنه يتمتع بعلاقات جيدة مع الأمويين وكان يتولّى لهم الأعمال.

وأما ابنه الحسن بن زيد، فقد ولّاه المنصور العباسي المدينة في فترة حكمه [١]، وآذى الإمام الصادق عليه السلام كثيراً، حتى إنه نفّذ أمر المنصور وقام بحرق بيت الإمام:

(عن المفضل بن عمر قال وجه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار في دار أبي عبد الله فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام) [٢].

وفي معنى "أعراق الثرى"، يقول السيد أحمد الحسن:

(أعراق الثرى: أي المتدون في الأرض وعليها، بمعنى: أنا ابن أصحاب الأرض الحقيقيين وهم خلفاء الله "محمد وعلي والأئمة والأنبياء صلوات الله عليهم" فهم الذين في عين الله، والدنيا والأرض خلقت لهم وباقي الخلق لأجلهم، وذكر بعد ذلك أحدهم وهو جدّه إبراهيم عليه السلام الذي تعرّض لنفس موقفه الذي هو فيه.

١- قال ابن عنبة: (كان أمير المدينة من قبل المنصور الدوانيقي وعمل له على غير المدينة أيضاً وكان مظاهراً لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى، وهو أول من لبس السواد من العلويين) عمدة الطالب: ٧٠.

وقال الذهبي: (وقد ولي المدينة للمنصور خمس سنين، ثم عزله وصادره ثم سجنه، فلما ولي المهدي أطلقه و أكرمه وأدناه) ميزان الاعتدال: ١ / ٤٩٢.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٧٣.

القصد، الإمام يقول ما معناه: تستكثرون عليّ وجودي بينكم و إنما الدنيا والأرض خلقت لأجل آبائي ولأجلي و أنا الوارث الحقيقي، أفلا يكفيكم اغتصاب حقي حتى وصل الأمر إلى محاولة قتلي) انتهى [١].

عبد اللّه بن الحسن المثنى وولداه:

يُعرف عبد الله بـ"عبد الله المحض" [٢]، وهو أكبر سنّاً من الإمام الصادق عليه السلام؛ لأنه ولد سنة ٧٠ هـ، وقتله المنصور العباسي في السجن سنة ١٤٥ هـ.

عبد الله هذا هو صاحب فكرة الثورة على الأمويين حيث استغل موجة التعاطف التي أحدثتها ثورة زيد بن علي عليه السلام فقرر كسب الناس إليه وادعى المهدوية والإمامة لابنه "محمد"، و أقنع العباسيين بمهدوية ولده وبايعوه في بداية الأمر، لكنهم انقلبوا عليه لاحقاً، فاعتقل المنصور العباسي عبد الله وأهل بيته وبقوا في سجنه عدة سنين ثم قام بقتلهم، كما قتل محمد بن عبد الله وأخاه إبراهيم، كما سيتضح.

وهذا بعض ما يخصّه ويخص ابنه محمد:

- (عن علي بن سعيد قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالساً وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبد ربه فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول: لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علي من لم يكن إماماً ويقول: إنه ليس عندنا علم وصدق، والله ما عنده علم، ولكن والله - وأهوى بيده إلى صدره - إن عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله و إنه لإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي عليه السلام بيده، والجفر وما يدرون ما هو مسك شاة أو مسك

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- المحض: أي الخالص الذي لم يختلط به شيء آخر؛ باعتبار أنّ أباه هو الحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام، وأمه هي فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

بعير. ثم أقبل إلينا وقال: أبشروا أما ترضون أنكم تجيئون يوم القيامة آخذين بحجزة علي وعلي آخذ بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله) [١].

- (عن علي بن سعيد، قال: كنت قاعدا عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أناس من أصحابنا، فقال له معلى بن خنيس: جعلت فداك ما لقيت من الحسن بن الحسن؟ ثم قال له الطيار[٢]: جعلت فداك بينا أنا أمشي في بعض السكك إذ لقيت محمد بن عبد الله بن الحسن على حمار حوله أناس من الزيدية، فقال لي: أيها الرجل إلي إلي، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، من شاء أقام ومن شاء ظعن، فقلت له: اتق الله ولا يغرنك هؤلاء الذين حولك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام للطيار: فلم تقل له غيره؟ قال: لا، قال: فهلا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك والمسلمون مقرون له بالطاعة، فلا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ووقع الاختلاف انقطع ذلك، فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن انه يهزأ ويقول: ان هذا في جفركم الذي تدعون! قال: فغضب أبو عبد الله عليه السلام، فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام صدق! ما هو بإمام ولا أبوه كان اماماً، يزعم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماماً، ويردد ذلك، وأما قوله في الجفر، فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال أو حرام، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وخط علي عليه السلام بيده، وفيه مصحف فاطمة عليها السلام، ما فيه آية من القرآن، وان عندي خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وسيفه ولواءه، وعندي الجفر على رغم أنف من زعم) [٣].

١- بصائر الدرجات، الصفار: ١٧٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦ / ٤٠ – ٤١.

٢- الطيار: لقب لمحمد بن عبد الله بن علي الكوفي مولى فزارة، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

٣- بصائر الدرجات، الصفار: ١٧٦؛ خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٥ / ٣١٤ – ٣١٥.

• (عن سليمان بن هارون قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن العجلية [١] يزعمون أن عبد الله بن الحسن يدعي أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده، فقال: والله لقد كذب، فوالله ما هو عنده وما رآه بواحدة من عينيه قط ولا رآه أبوه إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين، وإنّ صاحبه لمحفوظ محفوظ له، ولا يذهبن يميناً ولا شمالاً فإنّ الأمر واضح. والله لو أنَّ أهل الأرض اجتمعوا على أن يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله ما استطاعوا، ولو أنّ خلق الله كلهم جميعاً كفروا حتى لا يبقى أحد جاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون هم أهله) [٢].

• (عن يونس عن علي الصائغ قال: لقي أبا عبد الله عليه السلام محمد بن عبد الله بن الحسن فدعاه محمد إلى منزله فأبى أن يذهب معه، وأرسل معه إسماعيل وأومأ إليه: أن كف، ووضع يده على فيه وأمره بالكف، فلما انتهى إلى منزله أعاد إليه الرسول يسأله إتيانه، فأبى أبو عبد الله عليه السلام وأتى الرسول محمداً فأخبره بامتناعه فضحك محمد ثم قال: ما منعه من إتياني إلا أنه ينظر في الصحف. قال: فرجع إسماعيل فحكى لأبي عبد الله عليه السلام الكلام، فأرسل أبو عبد الله عليه السلام رسولا من قبله وقال: إن إسماعيل أخبرني بما كان منك، وقد صدقت إني أنظر في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، فسل نفسك وأباك هل ذلك عندكما؟ قال: فلما أن بلغه الرسول سكت فلم يجب بشئ، فأخبر الرسول أبا عبد الله عليه السلام بسكوته فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أصاب وجه الجواب قل الكلام) [٣].

• روى ابن عساكر بسنده: (قال وقع بين جعفر بن محمد وبين عبد الله بن حسن كلام في صدر يوم قال فأغلظ في القول عبد الله بن حسن ثم افترقا وراحا إلى المسجد فالتقيا على باب المسجد فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد لعبد الله بن حسن: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ قال: بخير كما يقول المغضب، فقال: يا أبا محمد أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب فقال: لا يزال يجئ بالشئ لا نعرفه! قال: فإني أتلو عليك قرآناً قال:

١- إما يقصد بهم: بنو عجل، أحد فروع قبيلة بكر بن وائل، أو المقصود بهم: أحد فرق الغلاة أتباع عمر بن بيان العجلي الكوفي ويعرفون بالعميرية أيضاً.

٢- بصائر الدرجات، الصفار: ١٩٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦ / ٢٠٤.

٣- بصائر الدرجات، الصفار: ١٥٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦ / ١٨٦.

وذلك أيضاً؟ قال: نعم، قال: فهاته! قال: قول الله تعالى "الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب" قال: فلا تراني بعدها قاطعا رحما) [١].

- (سماعة بن مهران قال: أخبرني الكلبي النسابة قال: دخلت المدينة ولست أعرف شيئا من هذا الامر فأتيت المسجد فإذا جماعة من قريش فقلت: أخبروني عن عالم أهل هذا البيت؟ فقالوا: عبد الله بن الحسن، فأتيت منزله فاستأذنت، فخرج إلي رجل ظننت أنه غلام له، فقلت له: استأذن لي على مولاك فدخل ثم خرج فقال لي: ادخل فدخلت فإذا أنا بشيخ معتكف شديد الاجتهاد، فسلّمت عليه فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا الكلبي النسابة، فقال: ما حاجتك؟ فقلت: جئت أسألك، فقال: أمررت بابني محمد؟ قلت: بدأت بك: فقال: سل، فقلت: أخبرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء، فقال: تبنى برأس الجوزاء [٢] والباقي وزر عليه وعقوبة، فقلت في نفسي: واحدة، فقلت: ما يقول الشيخ في المسح على الخفين؟ فقال: قد مسح قوم صالحون ونحن أهل البيت لا نمسح، فقلت في نفسي: ثنتان، فقلت: ما تقول في أكل الجري أحلال هو أم حرام؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت نعافه فقلت في نفسي: ثلاث، فقلت: فما تقول في شرب النبيذ؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت لا نشربه، فقمت فخرجت من عنده و أنا أقول: هذه العصابة تكذب على أهل هذا البيت.

فدخلت المسجد فنظرت إلى جماعة من قريش وغيرهم من الناس فسلّمت عليهم ثم قلت لهم: من أعلم أهل هذا البيت؟ فقالوا: عبد الله بن الحسن، فقلت: قد أتيته فلم أجد عنده شيئا فرفع رجل من القوم رأسه فقال: ائت جعفر بن محمد عليهما السلام فهو أعلم أهل هذا البيت، فلامه بعض من كان بالحضرة - فقلت: إن القوم إنما منعهم من إرشادي إليه أول مرة الحسد - فقلت له: ويحك إياه أردت، فمضيت حتى صرت إلى منزله فقرعت الباب، فخرج غلام له فقال: ادخل يا أخا كلب فوالله لقد أدهشني فدخلت و أنا مضطرب ونظرت فإذا شيخ على مصلى بلا مرفقة ولا بردعة [٣]، فابتدأني بعد أن سلّمت عليه، فقال

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٧ / ٣٧٧ – ٣٧٨.

٢- في هامش كتاب الكافي: ١ / ٣٤٩ – الهامش ٣: (يعني بعدده، أراد انه يقع به ثلاث طلقات لان كل رأس من رأسي الجوزاء ثلاثة كواكب).

٣- المرفقة: هي المخدة والمتكأ، والبردعة: هي أشبه بحصير من قماش ثخين محشو بالصوف يُجلس عليه.

لي: من أنت؟ فقلت في نفسي: يا سبحان الله! غلامه يقول لي بالباب: ادخل يا أخا كلب ويسألني المولى من أنت؟! فقلت له: أنا الكلبي النسابة، ..... قال: .. اسأل عما جئت له، فقلت له: أخبرني عن رجل قال لامر أته: أنت طالق عدد نجوم السماء، فقال: ويحك أما تقرأ سورة الطلاق؟ قلت: بلى، قال: فاقرأ فقرأت: "فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة" قال: أترى ههنا نجوم السماء؟ قلت: لا قلت: فرجل قال لامر أته: أنت طالق ثلاثا؟ قال: ترد إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، ثم قال: لا طلاق إلا على طهر، من غير جماع بشاهدين مقبولين، فقلت في نفسي: واحدة، ثم قال: سل، قلت: ما تقول في المسح على الخفين؟ فتبسم ثم قال: إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شئ إلى شيئه ورد الجلد إلى الغنم فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم؟ فقلت في نفسي: ثنتان، ثم التفت إلي فقال: سل فقلت: أخبرني عن أكل الجري؟ فقال: إن الله عزوجل مسخ طائفة من بني إسرائيل فما أخذ منهم بحراً فهو الجري والمارماهي والزمارو ما سوى ذلك وما أخذ منهم برا فالقردة والخنازير والوبر والورك وما سوى ذلك فقلت في نفسي: ثلاث، ثم التفت إلي فقال: سل وقم، فقلت: ما تقول في النبيذ؟ فقال: حلال، فقلت: إنا ننبذ فنطرح فيه العكر (الراسب والكدر من كل شيء) وما سوى ذلك ونشر به؟ فقال: شه شه (كلمة تنفير واستقباح الشيء) تلك الخمرة المنتنة، فقلت: جعلت فداك فأي نبيذ تعني؟ فقال: إن أهل المدينة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تغيير الماء وفساد طبايعهم ، فأمرهم أن ينبذوا، فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له، فيعمد إلى كف من التمر فيقذف به في الشن (قربة من الجلد المدبوغ) فمنه شربه ومنه طهوره، فقلت: وكم كان عدد التمر الذي [كان] في الكف؟ فقال: ما حمل الكف، فقلت: واحدة وثنتان؟ فقال: ربما كانت واحدة وربما كانت ثنتين فقلت: وكم كان يسع الشن؟ فقال: ما بين الأربعين إلى الثمانين إلى ما فوق ذلك فقلت: بالأرطال؟ فقال: نعم أرطال بمكيال العراق، قال سماعة: قال الكلبي: ثم نهض عليه السلام وقمت فخرجت و أنا أضرب بيدي على الأخرى و أنا أقول: إن كان شئ فهذا، فلم يزل الكلبي يدين الله بحب آل هذا البيت حتى مات) [١].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٤٩ – ٣٥١.

واضح أنّ الكلبي تداركته رحمة الله ووصل إلى الإمام الصادق عليه السلام وبيّن له الحق، وإلا لضاع بالشكوك التي أضمرها في نفسه بسبب فتاوى المسكين عبد الله بن الحسن الذي تصدّى لأمر لا يعنيه ولم يكن من أهله!

- (ابن جمهور القمي في كتاب الواحدة ان محمد بن عبد الله بن الحسن قال لأبي عبد الله والله إني لأعلم منك وأسخى وأشجع، فقال له: أما ما قلت إنك أعلم مني فقد أعتق جدي وجدك ألف نسمة من كد يده فسمهم لي وإن أحببت أن أسميهم لك إلى آدم فعلت، وأما ما قلت إنك أسخى مني فوالله ما بت ليلة ولله عليّ حق يطالبني به، وأما ما قلت إنك أشجع مني فكأني أرى رأسك وقد جئ به ووضع على حجر الزنانير يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا. قال: فحكى ذلك لأبيه، فقال: يا بني آجرني الله فيك ان جعفرا أخبرني أنك صاحب حجر الزنابير.

أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين، لما بويع محمد بن عبد الله بن الحسن على أنه مهدي هذه الأمة جاء أبوه عبد الله إلى الصادق عليه السلام وقد كان ينهاه وزعم أنه يحسده فضرب الصادق يده على كتف عبد الله وقال: إيها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك و إنما هي لهذا - يعني السفاح - ثم لهذا - يعني المنصور- يقتله على أحجار الزيت ثم يقتل أخاه بالطفوف وقوائم فرسه في الماء، فتبعه المنصور فقال: ما قلت يا أبا عبد الله فقال: ما سمعته و انه لكائن. قال: فحدثني من سمع المنصور أنه قال: انصرفت من وقتي فهيأت أمري فكان كما قال) [1].

الحسن بن الحسن المثنى:

الحسن بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام، وهو المعروف بـ "الحسن المثلث". وكان يعتقد بعقيدة الزيدية [2].

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٥٥.

٢- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٢٦.

حاله مع الصادق عليه السلام لا يختلف عن حال أخيه عبد الله وربما أسوأ!

- (عن أبي يعقوب قال: لقيت أنا ومعلى بن خنيس الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا يهودي، فأخبرنا بما قال فينا جعفر بن محمد عليه السلام فقال: هو والله أولى باليهودية منكما إن اليهودي من شرب الخمر) [١].

- (عن سليمان بن خالد، قال لقيت الحسن بن الحسن، فقال: أما لنا حق أما لنا حرمة، إذا اخترتم منا رجلاً واحد كفاكم، فلم يكن له عندي جواب، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فأخبرته بما كان من قوله لي، فقال لي: ألقه فقل له أتيناكم فقلنا هل عندكم ما ليس عند غيركم: فقلتم: لا، فصدقناكم وكنتم أهل ذلك، و آتينا بني عمكم فقلنا هل عندكم ما ليس عند الناس؟ فقالوا: نعم، فصدقناهم وكانوا أهل ذلك. قال: فلقيته فقلت له ما قال لي، فقال لي الحسن: فإنّ عندنا ما ليس عند الناس فلم يكن عندي شيء (أي: لم يكن عندي جواب)، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فأخبرته، فقال لي: ألقه وقل إن الله عز وجل يقول في كتابه: "ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين" فاقعدوا لنا حتى نسألكم. قال: فلقيته فحاججته بذلك، فقال لي: أفما عندكم شئ ألا تعيبونا، إن كان فلان تفرّغ وشغلنا فذاك الذي يذهب بحقنا!) [٢].

فلان: يعني الصادق عليه السلام.

واضح من خلال النصوص أعلاه أنّ الحسنيين كانوا يطمحون بأن يكون لهم نصيب من ولاية الأمر والإمامة، وهم ليسوا متفردين في هذا الطموح، فالإمامة ادعاها ويدعيها كثيرون حتى يوم الناس هذا طمعاً بالدنيا، وسيستمر هذا الأمر ما دمنا في دنيا الامتحان!

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٣٨.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٦٥٠ – ٦٥١.

موسى بن عبد اللّه يروي ما جرى مع الصادق(ع):

موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى، أخو محمد و إبراهيم، اهتدى للحق وروى ما جرى بين أبيه وأخيه محمد وبين الإمام الصادق عليه السلام، والرواية طويلة أنقلها بتمامها للفائدة:

(عن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري قال: أتينا خديجة بنت عمر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نعزيها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبد الله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريباً من النساء، فعزيناهم، ثم أقبلنا عليه ... فأقمنا عندها حتى كاد الليل أن يجيئ، ثم قالت خديجة: سمعت عمي محمد بن علي صلوات الله عليه وهو يقول: إنما تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها ولا ينبغي لها أن تقول هجراً، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح، ثم خرجنا إليها غدوة فتذاكرنا عندها اختزال منزلها من دار أبي عبد الله جعفر بن محمد [١]، فقال: هذه دار تسمى دار السرقة، فقالت: هذا ما اصطفى مهدينا - تعني محمد بن عبد الله بن الحسن - تمازحه بذلك. فقال موسى بن عبد الله: والله لأخبرنكم بالعجب رأيت أبي رحمه الله لما أخذ في أمر محمد بن عبد الله [٢] وأجمع على لقاء أصحابه، فقال لا أجد هذا الأمر يستقيم إلا أن ألقى أبا عبد الله جعفر بن محمد، فانطلق وهو متكٍ عليّ، فانطلقت معه حتى أتينا أبا عبد الله عليه السلام فلقيناه خارجاً يريد المسجد فاستوقفه أبي وكلّمه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ليس هذا موضع ذلك، نلتقي إن شاء الله، فرجع أبي مسروراً [٣].

١- أي: إنّ دارها أُخذت و اقتُطعت من دار ابن عمها؛ الإمام الصادق عليه السلام، وواضح - بحسب خديجة - أنّ المقتطع لها هو محمد بن عبد الله بن الحسن، وسميت بدار السرقة؛ لأن محمداً هذا لما ثار بالمدينة وأخذ البيعة من الناس أمر بإحضار الصادق عليه السلام وطلب بيعته فرفض الإمام مبايعته، فأمر بسجنه وأخذ أمواله، كما سيتضح.

٢- أي: ادعى له المهدوية و أنه صاحب الأمر الذي تجب بيعته.

٣- وجه سروره: أنه ظن أنّ الإمام سيوافق على طلبه؛ لأنه عليه السلام وعده بالكلام لاحقاً.

ثم أقام حتى إذا كان الغد أو بعده بيوم، انطلقنا حتى أتيناه، فدخل عليه أبي و أنا معه فابتدأ الكلام، ثم قال له فيما يقول: قد علمت جعلت فداك أنّ السن لي عليك [١] وأنّ في قومك من هو أسن منك ولكن الله عزوجل قد قدّم لك فضلاً ليس هو لأحد من قومك وقد جئتك معتمداً لما أعلم من برّك، واعلم - فديتك - إنك إذا أجبتني لم يتخلّف عني أحد من أصحابك ولم يختلف عليّ اثنان من قريش ولا غيرهم [٢]، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك تجد غيري أطوع لك مني ولا حاجة لك فيّ [٣]، فوالله إنك لتعلم أني أريد البادية أو أهم بها فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسي، فاطلب غيري وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتني، فقال له: إن الناس مادّون أعناقهم إليك وإن أجبتني لم يتخلّف عني أحد ولك أن لا تكلّف قتالاً ولا مكروهاً، قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال أبي: جعلت فداك ما تقول؟ فقال: نلتقي إن شاء الله، فقال: أليس على ما أحب؟ فقال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك ثم انصرف حتى جاء البيت، فبعث رسولاً إلى محمد في جبل بجهينة، يقال له الأشقر، على ليلتين من المدينة، فبشّره وأعلمه أنه قد ظفر له بوجه حاجته وما طلب [٤].

ثم عاد بعد ثلاثة أيام، فوقفنا بالباب ولم نكن نحجب إذا جئنا فأبطأ الرسول، ثم أذن لنا، فدخلنا عليه فجلست في ناحية الحجرة ودنا أبي إليه فقبّل رأسه، ثم قال جعلت فداك قد عدت إليك راجياً، مؤملاً، قد انبسط رجائي وأملي ورجوت الدرك لحاجتي [٥]، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن عم إني أعيذك بالله من التعرّض لهذا الأمر الذي أمسيت فيه، و إني لخائف عليك أن يكسبك شراً، فجرى الكلام بينهما، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد وكان من قوله: بأي شئ كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين عليه

١- أي: أنا أكبر منك سنّاً.

٢- وهذا يؤكد عظمة ومنزلة الإمام الصادق عليه السلام بين عموم المسلمين.

٣- واضح أنّ الإمام يريد صرفه عنه؛ لأنه عليه السلام لا يعين على باطل، وحاشاه.

٤- أي: إنّ عبد الله بشّر ابنه محمد بأنه سيظفر بتأييد الصادق عليه السلام لحركته، وهذا يعني أنّ أمره سيشتد والأمة ستجتمع عليه وتبايعه؛ نتيجة قوة تأثير كلمة الصادق عليه السلام!

٥ - الدرك: الوصول.

السلام كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها في الأسن من ولد الحسن، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لما أن أوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله أوحى إليه بما شاء ولم يؤامر أحداً من خلقه وأمر محمد صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بما شاء ففعل ما أمر به، ولسنا نقول فيه إلا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تبجيله وتصديقه، فلو كان أمر الحسين أن يصيّرها في الأسن أو ينقلها في ولدهما [١] - يعني الوصية - لفعل ذلك الحسين وما هو المتهم عندنا في الذخيرة لنفسه، ولقد ولي وترك ذلك ولكنه مضى لما أمر به وهو جدك وعمك [٢]، فإن قلت خيراً فما أولاك به وإن قلت هجراً فيغفر الله لك، أطعني يا ابن عم واسمع كلامي، فوالله الذي لا إله إلا هو لا آلوك نصحاً وحرصاً فكيف ولا أراك تفعل، وما لأمر الله من مردّ، فسرَّ أبي عند ذلك.

فقال له أبو عبد الله: والله إنك لتعلم أنه [٣] الأحول الأكشف الأخضر المقتول بسدة أشجع، عند بطن مسيلها، فقال أبي: ليس هو ذلك والله ليحاربن باليوم يوماً، وبالساعة ساعة وبالسنة سنة وليقومن بثأربني أبي طالب جميعاً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يغفر الله لك ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا "منتك نفسك في الخلاء ضلالا" لا والله لا يملك أكثر من حيطان المدينة ولا يبلغ عمله الطائف إذا أحفل - يعني إذا أجهد نفسه - وما للأمر من بد أن يقع، فاتقِ الله وارحم نفسك وبني أبيك، فوالله إني لأراه أشأم سلحة [٤] أخرجتها أصلاب الرجال إلى أرحام النساء والله إنه المقتول بسدة أشجع بين دورها والله لكأني به صريعاً مسلوباً بزّته بين رجليه لبنة ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع - قال موسى بن عبد الله - يعنيني - وليخرجن معه فيهزم ويقتل صاحبه، ثم يمضي فيخرج معه راية أخرى، فيقتل كبشها ويتفرق جيشها، فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من

١- أي: ولد الحسن والحسين عليهما السلام.

٢- "جدك": أي جده من جهة الأم؛ لأن أم عبد الله هي فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام. "عمك": باعتبار أنّ الإمام الحسن عليه السلام جد عبد الله، والجد أب كما هو معلوم، فيكون الإمام الحسين عليه السلام عمّه.

٣- أي: محمد، الذي يدّعي له أبوه عبد الله المهدوية وولاية الأمر. وقول الإمام "والله إنك لتعلم": يعني أنّ عبد الله يعلم جيداً - نتيجة إخبارات الأئمة عليهم السلام التي وصلته - بأنّ ابنه سيقتل ولا يتم له ما أراد، لكنه يمنّي نفسه بـ "عسى" و"لعل"! ومعنى وصف الإمام له بـ "الأحول الأكشف الأخضر": الحول معروف، والأكشف هو الذي انحسر مقدم رأسه، أما الأخضر فهو شديد السمرة بل ربما يميل لونه إلى السواد.

٤- سلحة: الولد أو النطفة.

بني العباس حتى يأتيه إليه بالفرج [١] ولقد علمت بأن هذا الأمر لا يتم و أنك لتعلم ونعلم أنّ ابنك الأحول الأخضر الأكشف المقتول بسدة أشجع بين دورها عند بطن مسيلها، فقام أبي وهو يقول: بل يغني الله عنك ولتعودن أو ليفيء الله بك وبغيرك وما أردت بهذا إلا امتناع غيرك وأن تكون ذريعتهم إلى ذلك [٢].

فقال أبو عبد الله عليه السلام الله يعلم ما أريد إلا نصحك ورشدك وما عليّ إلا الجهد، فقام أبي يجر ثوبه مغضباً فلحقه أبو عبد الله عليه السلام، فقال له: أخبرك أني سمعت عمك وهو خالك [٣] يذكر أنك وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، فوالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه لوددت أني فديتك بولدي وبأحبهم إلي وبأحب أهل بيتي إلي، وما يعدلك: عندي شئ، فلا ترى أني غششتك، فخرج أبي من عنده مغضباً أسفاً، قال: فما أقمنا بعد ذلك إلا قليلاً - عشرين ليلة أو نحوها - حتى قدمت رسل أبي جعفر فأخذوا أبي وعمومتي سليمان بن حسن وحسن بن حسن و إبراهيم بن حسن وداود بن حسن وعلي بن حسن وسليمان بن داود بن حسن وعلي بن إبراهيم بن حسن وحسن بن جعفر بن حسن وطباطبا إبراهيم ابن إسماعيل بن حسن وعبد الله بن داود، قال: فصفدوا في الحديد، ثم حملوا في محامل أعراء لا وطأ فيها ووقفوا بالمصلى لكي يشمتهم الناس، قال: فكف الناس عنهم ورقوا لهم للحال التي هم فيها، ثم انطلقوا بهم حتى وقفوا عند باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

١- الإمام الصادق عليه السلام أخبر بخروج موسى بن عبد الله (راوي الرواية) مع أخيه محمد بن عبد الله في ثورته بالمدينة، وبيّن أنّ محمداً يُقتل وموسى ينهزم، ثم يلتحق موسى برايةٍ أخرى وهي ثورة أخيه إبراهيم بالبصرة حيث قتل أيضاً وتفرق جيشه كما أخبر الإمام، فانهزم موسى أيضاً وغيّب نفسه عن أنظار العباسيين فترة، ثم عمل بنصيحة الإمام وطلب الأمان من بني العباس في أيام المهدي العباسي (ابن المنصور) وأعطاه الأمان، ولذلك كان موسى يعتبر الإمام صاحب فضل عليه؛ لأن نصيحته تسبّبت بنجاته، كما سيذكر في خاتمة الرواية.

٢- معنى قول عبد الله: "ولتعودن أو ليفيء الله بك وبغيرك" أي لتعودن إلينا أنت وغيرك لما ترون انتصارنا وارتفاع شأننا، وقوله: "وما أردت بهذا إلا امتناع غيرك وأن تكون ذريعتهم إلى ذلك" أي ما اردت بطلب موافقتك وتأييدك لنا إلا إسقاط حجة وذريعة أصحابك؛ لأنهم يتذرعون بك في عدم لحوقهم بنا وبيعتهم لنا.

٣- أي: الإمام زين العابدين عليه السلام.

قال عبد الله بن إبراهيم الجعفري: فحدثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لما وقفوا عند باب المسجد - الباب الذي يقال له باب جبرئيل - أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام وعامة ردائه مطروح بالأرض، ثم أطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار - ثلاثاً - ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً ولكني غلبت وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده وعامة ردائه يجرّه في الأرض، ثم دخل بيته فحم عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيه الليل والنهار حتى خفنا عليه، فهذا حديث خديجة.

قال الجعفري: وحدثنا موسى بن عبد الله بن الحسن أنه لما طلع بالقوم في المحامل، قام أبو عبد الله عليه السلام من المسجد ثم أهوى إلى المحمل الذي فيه عبد الله بن الحسن يريد كلامه، فمنع أشد المنع وأهوى إليه الحرسي فدفعه وقال: تنح عن هذا، فإن الله سيكفيك ويكفي غيرك، ثم دخل بهم الزقاق ورجع أبو عبد الله عليه السلام إلى منزله، فلم يبلغ بهم البقيع حتى ابتلى الحرسي بلاء شديداً، رمحته ناقته [١] فدقت وركه فمات فيها ومضى بالقوم، فأقمنا بعد ذلك حيناً، ثم أتى محمد ابن عبد الله بن حسن، فأخبر أن أباه وعمومته قتلوا - قتلهم أبو جعفر - إلا حسن ابن جعفر وطباطبا وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داود وداود بن حسن وعبد الله بن داود.

قال: فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستونق الناس [٢] لبيعته ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي، قال: وشاور عيسى بن زيد [٣] وكان من ثقاته وكان على شرطه فشاوره في البعثة إلى وجوه قومه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيبوك، أو تغلظ عليهم، فخلني و إياهم فقال له محمد: امضي إلى من أردت منهم، فقال: ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم - يعني أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام - فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرهم على الطريق التي أمررت عليها أبا عبد الله عليه السلام، قال: فوالله ما لبثنا أن أُتي بأبي عبد

١- أي: ضربته.

٢- أي: اجتمعوا.

٣- هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقال له محمد: لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك، ولا تكلفن حرباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما في حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذّرته الذي حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يا ابن أخي عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ [١]، فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إني لم أعازك ولم أجئ لأتقدم عليك في الذي أنت فيه، فقال: له محمد: لا والله لابد من أن تبايع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما في يا ابن أخي طلب ولا حرب و إني لأريد الخروج إلى البادية فيصدّني ذلك ويثقل علي حتى تكلمني في ذلك الأهل غير مرة، ولا يمنعني منه إلا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنا ونشقى بك [٢]، فقال له: يا أبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق - يعني أبا جعفر- فقال له أبو عبد الله عليه السلام: وما تصنع بي وقد مات؟ قال: أريد الجمال بك، قال: ما إلى ما تريد سبيل، لا والله ما مات أبو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم قال: والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد في بيعتك، فأبى عليه إباءً شديداً وأمر إلى الحبس [٣]، فقال له عيسى بن زيد: أما إن طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق، خفنا أن يهرب منه، فضحك أبو عبد الله عليه السلام، ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أو تراك تسجنني؟ قال: نعم والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجننك ولأشددن عليك، فقال عيسى بن زيد: احبسوه في المخبأ - وذلك دار ريطة اليوم [٤] - فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله إني سأقول ثم أصدق، فقال له عيسى ابن زيد: لو تكلّمت لكسرت فمك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله يا أكشف يا أزرق [٥] لكأني بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه وما أنت في المذكورين عند

١- يشير الإمام إلى كبر سنّه، إذ كان عمره ٦٢ عاماً؛ باعتبار أنه ولد سنة ٨٣ هـ، ومحمد ثار سنة ١٤٥ هـ.

٢- أي: إنّ الإمام ناشده بالله والرحم الذي بينهما أن لا يتسبب بإدخال التعب والشقاء عليه.

٣- أي: أمر محمد بحبس الإمام الصادق عليه السلام لرفضه مبايعته.

٤- دار ريطة: ريطة هي بنت عبد الله ابن محمد بن الحنفية.

٥- يعني بذلك عيسى بن زيد.

اللقاء [١] و إني لأظنك إذا صفق خلفك، طرت مثل الهيق [٢] النافر فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه واغلظ عليه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرادة نصفها أبيض ونصفها أسود [٣]، على فرس كميت أقرح [٤] فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً وضربت خيشوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدئليين عليه غديرتان مضفورتان، وقد خرجتا من تحت بيضته [٥]، كثير شعر الشاربين، فهو والله صاحبك، فلا رحم الله رمّته [٦]، فقال له محمد: يا أبا عبد الله، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد [٧].

قال: فطلع بإسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو شيخ كبير ضعيف، قد ذهبت إحدى عينيه وذهبت رجلاه وهو يحمل حملاً فدعاه إلى البيعة، فقال له: يا ابن أخي إني شيخ كبير ضعيف و أنا إلى برّك وعونك أحوج، فقال له: لا بد من أن تبايع، فقال له: وأي شئ تنتفع ببيعتي والله إني لأضيق عليك مكان اسم رجل إن كتبته، قال: لابد لك أن تفعل، وأغلظ له في القول، فقال له إسماعيل: ادع لي جعفر بن محمد، فلعلنا نبايع جميعاً، قال: فدعا جعفراً عليه السلام، فقال له إسماعيل: جعلت فداك إن رأيت أن تبين له فافعل، لعل الله يكفه عنا، قال: قد أجمعت الا أكلّمه، فليرَ فيّ برأيه. فقال إسماعيل لأبي عبد الله عليه السلام: أنشدك الله هل تذكر يوماً أتيت أباك محمد بن علي عليهما السلام وعليّ حلّتان صفراوان، فدام النظر إلي فبكى، فقلت له: ما يبكيك فقال لي:

١- أي: جبان.

٢- الهيق: ذكر النعام، ومعروف بجبنه ونفرته.

٣- "فارس معلم": أي عليه علامة، و"طرادة": رمح قصير.

٤ - "كميت": الفرس الذي يميل لونه إلى الحمرة، و"أقرح": أقل من الغرة، وهي البياض التي تكون في جبهة الفرس.

٥- "غديرتان مضفورتان": خصلتان مضفورتان من الشعر. و"بيضته": أي الخوذة التي يقي بها رأسه، وخروج الخصلتين عن البيضة كناية عن طول شعر رأسه.

٦- الرمّة: العظام البالية، وهو دعاء عليه بالهلاك.

٧- أي: إنّ محمداً لم يكتفِ بسجن الإمام، وإنما قام بأخذ أمواله ومصادرتها، وكذلك فعل بكل من لم يقبل بمبايعته من قومه.

يبكيني أنك تقتل عند كبر سنك ضياعاً، لا ينتطح في دمك عنزان، قال: قلت: فمتى ذاك؟ قال: إذا دعيت إلى الباطل فأبيته، وإذا نظرت إلى الأحول مشؤم قومه ينتمي من آل الحسن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، يدعو إلى نفسه، قد تسمى بغير اسمه، فأحدث عهدك واكتب وصيتك، فإنك مقتول في يومك أو من غد. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: نعم وهذا - ورب الكعبة - لا يصوم من شهر رمضان إلا أقله. فأستودعك الله يا أبا الحسن وأعظم الله أجرنا فيك وأحسن الخلافة على من خلفت و إنا لله و إنا إليه راجعون.

قال: ثم احتمل إسماعيل ورُدَّ جعفر إلى الحبس، قال: فوالله ما أمسينا حتى دخل عليه بنو أخيه بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر فتوطؤوه حتى قتلوه وبعث محمد بن عبد الله إلى جعفر فخلى سبيله.

قال: و أقمنا بعد ذلك حتى استهللنا شهر رمضان فبلغنا خروج عيسى ابن موسى [١]، يريد المدينة، قال: فتقدم محمد بن عبد الله، على مقدمته يزيد بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر، وكان على مقدمة عيسى بن موسى ولد الحسن ابن زيد بن الحسن بن الحسن وقاسم ومحمد بن زيد وعلي و إبراهيم بنو الحسن بن زيد [٢]، فهزم يزيد بن معاوية وقدم عيسى بن موسى المدينة وصار القتال بالمدينة، فنزل بذباب ودخلت علينا المسودة [٣] من خلفنا وخرج محمد في أصحابه حتى بلغ السوق، فأوصلهم ومضى، ثم تبعهم حتى انتهى إلى مسجد الخوامين فنظر إلى ما هناك فضاء ليس فيه مسوّد ولا مبيّض، فاستقدم حتى انتهى إلى شعب فزارة ثم دخل هذيل ثم مضى إلى أشجع، فخرج إليه الفارس الذي قال أبو عبد الله [٤] من خلفه، من سكة هذيل فطعنه، فلم يصنع فيه شيئاً وحمل على الفارس، فضرب خيشوم فرسه بالسيف، فطعنه الفارس، فأنفذه في الدرع و انثنى عليه محمد،

١- عيسى بن موسى العباسي ابن عم أبي جعفر المنصور، أرسله بجيش من العراق إلى المدينة للقضاء على تمرّد محمد بن عبد الله بن الحسن.

٢- تقدم بيان أنّ الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن كان معيناً لبني العباس على بني عمه الحسنيين، وولّاه المنصور العباسي على المدينة فحكمها خمس سنين. وكان ولده وذريته مثله.

٣- المسودة: أي الجيش العباسي، لأن السواد كان شعار العباسيين كما هو معروف. وسمي أنصار محمد بالمبيّضة، لأن راياتهم كانت بيضاء.

٤- أي: ذكره الامام الصادق عليه السلام ووعده به في كلامه المتقدم.

فضربه فأثخنه وخرج عليه حميد بن قحطبة وهو مدبر على الفارس يضربه من زقاق العماريين، فطعنه طعنة، أنفذ السنان فيه، فكسر الرمح وحمل على حميد فطعنه حميد بزج الرمح فصرعه، ثم نزل إليه فضربه حتى أثخنه وقتله وأخذ رأسه ودخل الجند من كل جانب وأُخذت المدينة وأجلينا هرباً في البلاد.

قال موسى بن عبد الله: فانطلقت حتى لحقت بإبراهيم بن عبد الله، فوجدت عيسى بن زيد مكمناً عنده، فأخبرته بسوء تدبيره وخرجنا معه حتى أصيب رحمه الله، ثم مضيت مع ابن أخي الأشتر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن حتى أصيب بالسند، ثم رجعت شريداً طريداً، تضيق عليّ البلاد، فلما ضاقت عليّ الأرض واشتد [بي] الخوف ذكرت ما قال أبو عبد الله عليه السلام [1]، فجئت إلى المهدي [2] وقد حج وهو يخطب الناس في ظل الكعبة، فما شعر إلا و أني قد قمت من تحت المنبر فقلت: لي الأمان يا أمير المؤمنين؟ وأدلك على نصيحة لك عندي؟ فقال: نعم ما هي؟ قلت: أدلك على موسى بن عبد الله بن حسن، فقال لي: نعم لك الأمان، فقلت له: أعطني ما أثق به، فأخذت منه عهوداً ومو اثيق ووثقت لنفسي ثم قلت: أنا موسى بن عبد الله، فقال لي: إذاً تُكرم وتُحبا فقلت له: أقطعني إلى بعض أهل بيتك يقوم بأمري عندك، فقال لي: انظر إلى من أردت، فقلت: عمك العباس بن محمد (ابن المنصور) فقال العباس: لا حاجة لي فيك، فقلت: ولكن لي فيك الحاجة، أسألك بحق أمير المؤمنين إلا قبلتني فقبلني، شاء أو أبى، وقال لي المهدي: من يعرفك؟ - وحوله أصحابنا أو أكثرهم - فقلت: هذا الحسن بن زيد يعرفني وهذا موسى بن جعفر يعرفني وهذا الحسن بن عبد الله ابن العباس يعرفني، فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين كأنه لم يغب عنا، ثم قلت للمهدي: يا أمير المؤمنين لقد أخبرني بهذا المقام أبو هذا الرجل وأشرت إلى موسى بن جعفر، قال موسى بن عبد الله: وكذبت على جعفر كذبة فقلت له: وأمرني أن أقرئك السلام وقال إنه إمام عدل وسخاء، قال: فأمر لموسى بن جعفر بخمسة آلاف دينار. فأمر لي منها موسى بألفي دينار ووصل عامة أصحابه ووصلني، فأحسن صلتي.

١- حيث قال الإمام عليه السلام لأبيه عبد الله وكان موسى يسمع، كما تقدم: "... فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من بني العباس حتى يأتيه إليه بالفرج".

٢- أي: المهدي العباسي الذي استخلفه أبوه المنصور قبل موته.

فحيث ما ذكر ولد محمد بن علي بن الحسين، فقولوا صلى الله عليه وملائكته وحملة عرشه والكرام الكاتبون، وخصّوا أبا عبد الله بأطيب ذلك، وجزى موسى بن جعفر عني خيراً، فأنا والله مولاهم بعد الله) [١].

أقول: لو لم يصلنا في بيان ما لاقاه الإمام الصادق عليه السلام من أهل بيته غير هذه الرواية لكفت ووفت، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

مهدي الحسنيين وموقف الإمام الصادق(ع) منه:

ذكرنا سابقاً، أنّ الرسول وآله صلوات الله عليهم بشّروا بالمهدي وصاحب الأمر الذي يقوم بالسيف بعد شهادة الإمام الحسين صلوات الله عليه، لذلك صارت قضيته محوراً تصبو إليها عيون و أنفس الكثيرين وتمتد إلى مقامه الرفيع أعناقهم، ومن بين من مدّوا لها أعناقهم هم بنو الحسن وبنو العباس.

وبالنسبة إلى الحسنيين، فقد عرفنا أنّ "مهديهم" و"صاحب أمرهم" هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، وبالتحديد هذه كانت أمنية كبيرهم عبد الله والد محمد.

أمر المهدوية في البداية كان يراود عبد الله بن الحسن نفسه:

(عن ابن دأب قال: لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن منذ كان صبياً، يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه، ويسمى بالمهدي) [٢].

وروي أنّ الذي أثار الفكرة في باله هي عمّة أبيه "فاطمة بن علي عليه السلام"، بحسن نيّة منها بالتأكيد، لكنها – أي الفكرة – استغلت وفعّلت لاحقاً:

(أخبرني سلم العامري، قال: إنما شهر محمد بن عبد الله فاطمة بنت علي لما ولد محمد بن عبد الله جاءت فنظرت إليه وأدخلت أصبعها في فيه. فإذا في لسانه عقدة،

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٥٨ – ٣٦٦.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٦٢.

فكانت تربيه، يكون عندها أكثر مما يكون عند أمه، حتى تخرج، وخرج من الكتاب وعملت طعاماً، وأرسلت إلى نفر من أهل بيته فتغدوا عندها، ثم قالت: اللهم إن أخي الحسين كان دفع إلى سفطاً بخاتمه، والله ما أدري ما فيه، وأرى إذا ولد هذا الغلام أن أدفعه إليه، ثم دعت بالسفط فدفعته إلى محمد بن عبد الله بمحضر من القوم، وحمل معه إلى منزله ما تدري ما فيه فهي التي شهرته، وقال الناس فيه. .....

عبد الله ابن الحسن: قال: دعتني عمتي فاطمة بنت علي فقالت: يا بني، إن أبي علي بن أبي طالب كان يذكر أن أصغر ولده يدرك المهدي و أنا أصغر ولده. وقد كان يذكر ويصف علامات فيه. فلست أراها في أحد غيرك: فان كنت أنت ذاك فعليك بالنمط الأوسط من النمطين، يرجع إليك الغالي. ويلحق المقصر، ثم اشفني من بني أمية) [١].

كان عبد الله يعتقد أنّ له ميزة خاصة على غيره من العلويين، من جهة أنّ أباه (ابن الإمام الحسن) وأمه (ابنة الإمام الحسين)، لذا كان يقول: "أنا أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين" [٢].

ومهما يكن، فقد ادعاها لابنه محمد وهيّأ له وضعاً خاصّاً، وأشاع عنه بعض الأمور:

(عن ابن أخي الزهري: تجالسنا بالمدينة أنا وعبد الله بن حسن فتذاكرنا المهدي، فقال عبد الله بن حسن: المهدي من ولد الحسن بن علي. فقلت: يأبى ذاك علماء أهل بيتك. فقال عبد الله: المهدي والله من ولد الحسن بن علي ثم من ولدي خاصة) [٣].

ذكرنا سابقاً أنّ موجة تعاطف مع آل محمد عليهم السلام ازدادت بشكل ملحوظ بعد شهادة زيد بن علي سنة ١٢٠ هـ، كما أنّ الناس - لبساطتهم - وسّعوا مفهوم العترة وآل محمد واعتبروا كل علوي من العترة، فاستغل بعض بني الحسن هذا الوضع وبدأ عبد الله

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٦٣.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٢٣.

٣- تهذيب الكمال، المزي: ٢٥ / ٤٦٨.

بن الحسن المثنى التفكير في طرح ابنه بعنوان "المهدي" و"صاحب الأمر" الموعود به الذي تجب بيعته على المسلمين، و أقنع أصحابه العباسيين بفكرته.

كان العباسيون في ذلك الوقت مجرد تابعين للحسنيين، حتى إنّ المنصور العباسي كان يجلّ محمد بن عبد الله ويعدل له ثيابه وهو على السرج، ويسميه: "مهدينا أهل البيت"!

(حدثني عمير بن الفضل الخثعمي قال: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه وله فرس و اقف على الباب مع عبد له اسود، و أبو جعفر ينتظره فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب، ثم سوّى ثيابه على السرج ومضى محمد فقلت وكنت حينئذ اعرفه ولا اعرف محمدا: من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال: أوما تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن مهدينا أهل البيت) [١].

و أيضاً: ذكر المؤرخون أنّ المنصور بايع محمداً مرتين [٢]، لكن الأيام أثبتت أنّ بيعته له لم تكن عن اعتقاد حقيقي، و إنما هي سبيل لتحصيل الدنيا لا أكثر، ولهذا فإنّه بمجرد وصوله إلى عرش الخلافة قام بحبس آل الحسن وقتلهم ثم قاتل مهديه "محمد" بحسب زعمه وقتله، ثم سمّى ابنه بـ"المهدي" ليطبّق النبوءة عليه [٣]!

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٦١ – ١٦٢.

٢- روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده: (عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: بايع أبو جعفر المنصور محمد بن عبد الله مرتين إحداهما بالمدينة والأخرى انا حاضرها بمكة في المسجد الحرام فلما بايعه قام معه حتى خرج من المسجد الحرام فركب فأمسك له أبو جعفر بركاب دابته ثم قال له: يا أبا عبد الله، أما إنه إن أفضى إليك هذا الامر نسيت هذا الموقف ولم تعرفه لي) مقاتل الطالبيين: ١٩٧.

٣- روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن: (أبي سلمة المصبحي، قال: حدثني مولى لأبي جعفر "المنصور"، قال: أرسلني أبو جعفر، فقال: اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد "ابن عبد الله بن الحسن" فسمعته يقول: إنكم لا تشكّون أني أنا المهدي، و أنا هو. فأخبرت بذلك أبا جعفر، فقال: كذب عدو الله، بل هو ابني) مقاتل الطالبيين: ١٦٢.

وعموماً، كانت بداية مشروع الحسنيين بشكل صريح في اجتماع الأبواء [١] الذي عقده عبد الله بن الحسن المثنى بحضور شخصيات من بني هاشم، وقد حصل الاجتماع بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد المعروف بـ"الناقص" في سنة ١٢٦ هـ، وفيه دعا عبد الله الحضور لبيعة ابنه محمد على أنه "المهدي":

- (إنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس و أبو جعفر المنصور وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن بن الحسن و ابناه محمد و إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان. فقال صالح بن علي: قد علمتم انكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتو اثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن و أثنى عليه ثم قال: قد علمتم ان ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه. وقال أبو جعفر: لأي شئ تخدعون أنفسكم ووالله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد محمد بن عبد الله. قالوا: قد - والله - صدقت إن هذا لهو الذي نعلم. فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على يده. .....

قالوا: وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه فقال جعفر: لا تفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد إن كنت ترى - يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أو انه وإن كنت إنما تريد ان تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانا والله لا ندعك و أنت شيخنا ونبايع ابنك.

فغضب عبد الله وقال: علمت خلاف ما تقول ووالله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال: والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته و أبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم. وإن ابنيك لمقتولان. ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري. فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر -؟

١- منطقة تقع قرب المدينة المنورة.

قال: نعم قال فانا والله نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمدا؟ قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة. قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رايته قتلهما.

قال: فلما قال جعفر ذلك انفض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها. وتبعه عبد الصمد و أبو جعفر فقالا يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم أقوله والله وأعلمه) [١].

- (عن ابن داحة: أن جعفرا بن محمد قال لعبد الله بن الحسن: إن هذا الامر، والله ليس إليك، ولا إلى ابنيك، و إنما هو لهذا - يعني السفاح - ثم لهذا - يعني المنصور، ثم لولده من بعده، لا يزال فيهم حتى يؤمر الصبيان، ويشاوروا النساء. فقال عبد الله: والله يا جعفر، ما أطلعك الله على غيبه، وما قلت هذا إلا حسدا لابني. فقال: لا والله ما حسدت ابنك، وإن هذا - يعني أبا جعفر - يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف، وقوائم فرسه في الماء. ثم قام مغضبا يجر رداءه، فتبعه أبو جعفر فقال: أتدري ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال: إي والله أدريه، و إنه لكائن.

قال: فحدثني من سمع أبا جعفر يقول: فانصرفت لوقتي فرتبت عمالي، وميزت أموري تمييز مالك لها) [٢].

أبو جعفر المنصور بمجرد أن سمع قول الإمام الصادق عليه السلام هيأ حاله للخلافة؛ لأنه يعلم أنّ ما يقوله يتحقق ويحصل لا محال، وقد مرَّ بنا أنه كان يتعامل مع كلام الباقر عليه السلام بمثل ذلك أيضاً.

ثم إنّ مسألة عدم صحة ادعاء محمد بن عبد الله للمهدوية لا يقتصر علمه على آل محمد عليهم السلام وحسب، ولكن غيرهم كان يعرف بهذه الحقيقة أيضاً و أكيد أنه كان نتيجة بلوغ بعض أحاديث آل محمد واخباراتهم عن المهدي، فهذا مروان بن محمد الأموي (آخر خلفاء بني أمية) ينكر مهدوية محمد بن عبد الله لما سمع بدعوته وتحركه:

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٠ – ١٤٢.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧٢ – ١٧٣.

(عن أبي العباس الفلسطي قال: قلت لمروان بن محمد: جدَّ محمد بن عبد الله بن الحسن، فإنه يدعي هذا الأمر ويتسمى بالمهدي فقال: ما لي وله ما هو به ولا من بني أبيه و إنه لابن أم ولد. فلم يهجه مروان حتى قتل) [١].

علماً، أنّ مروان بن محمد كانت تربطه بعبد الله بن الحسن (والد محمد) علاقة:

- (أن مروان لما بعث عبد الملك بن عطية السعدي لقتال الحرورية لقيه أهل المدينة سوى عبد الله بن الحسن و ابنيه محمد و إبراهيم، فكتب بذلك إلى مروان، وكتب إليه إني هممت بضرب أعناقهم. فكتب إليه مروان ألا تعرض لعبد الله ولا لابنيه فليسوا بأصحابنا الذين يقاتلونا أو يظهرون علينا. .....
أرسل مروان بن محمد إلى عبد الله بن الحسن بعشرة ألف دينار وقال له: اكفف عني ابنيك وكتب إلى عامله بالمدينة ان استتربثوب منك فلا تكشفه عنه وإن كان جالساً على جدار فلا ترفع رأسك إليه) [٢].

وعموماً، لم يستمع الحسنيون لنصيحة الإمام الصادق عليه السلام، وسعى عبد الله بن الحسن لكسب قاعدة تؤيد مشروعه، فتحرّك على فقهاء المدينة والبصرة بغرض إقناعهم لمبايعة ولده "المهدي"، وفعلاً أثمرت جهوده وبايع ابنه مجموعة من فقهاء المعتزلة وغيرهم أمثال: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم، و ابن عجلان، ومالك بن أنس، و أبي حنيفة، وغيرهم. و أفتى بعضهم بوجوب بيعة محمد والخروج معه وأنّ بيعة المنصور باطلة لأنها كانت بإكراه [٣]!

(كان ابن فضالة النحوي يخبر قال: اجتمع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبد الرحمن المخزومي من أهل البصرة، فتذاكروا الجور فقال عمرو بن عبيد:

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧٤.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧٤ – ١٧٥.

٣- روى أبو الفرج الأصفهاني: (أن مالك بن أنس استفتي في الخروج مع محمد بن عبد الله وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد ابن عبد الله) مقاتل الطالبيين: ١٩٠.

فمن يقول بهذا الامر ممن يستوجبه وهو له أهل؟ فقال واصل: يقوم به والله من أصبح خير هذه الأمة، محمد بن عبد الله بن الحسن. فقال عمرو بن عبيد: ما أرى ان نبايع ولا نقوم إلا مع من اختبرناه، وعرفنا سيرته. فقال له واصل: والله لو لم يكن في محمد بن عبد الله امر يدل على فضله إلا أن أباه عبد الله بن الحسن، في سنه، وفضله وموضعه قد رآه لهذا الأمر أهلاً، وقدمه فيه على نفسه - لكان لذلك يستحق ما نراه له، فكيف بحال محمد في نفسه وفضله).

ثم قرّروا الذهاب إلى المدينة واللقاء بعبد الله بن الحسن ورؤية ولده محمد وتقديم البيعة له، لكن الملفت أنّ عبد الله أخرج لهم ابنه إبراهيم بدل محمد:

(قال يحيى: وسمعت أبا عبيد الله بن حمزة يحدث قال: خرج جماعة من أهل البصرة من المعتزلة منهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما حتى أتوا سويقة فسألوا عبد الله بن الحسن أن يخرج لهم ابنه محمد حتى يكلموه فطلب لهم عبد الله فسطاطاً واجتمع هو ومن شاوره من ثقاته أن يخرج إليهم إبراهيم بن عبد الله. فأخرج إليهم إبراهيم، وعليه ريطتان، ومعه عكازة، حتى أوقفه عليهم، فحمد الله و أثنى عليه، وذكر محمد بن عبد الله وحاله، ودعاهم إلى بيعته، وعذرهم في التأخر عنه فقالوا اللهم إنا نرضى برجل هذا رسوله فبايعوه و انصرفوا إلى البصرة) [1].

ثم التقى بعض هؤلاء الفقهاء بالإمام الصادق لإقناعه بما توصلوا إليه من بيعة محمد بن عبد الله، لكن الإمام عليه السلام بيّن بطلان منهجهم في اختيار الإمام:

(عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي قال: كنت قاعدا عند أبي عبد الله عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة وناس من رؤسائهم وذلك حدثان (أي: في أول) قتل الوليد واختلاف أهل الشام بينهم فتكلموا وأكثروا وخطبوا فأطالوا فقال لهم أبو عبد الله عليه السلام: إنكم قد أكثرتم علي فأسندوا أمركم إلى رجل منكم وليتكلم بحججكم ويوجز، فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فتكلم فأبلغ وأطال، فكان فيما قال أن قال: قد قتل أهل الشام

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٩٦.

خليفتهم وضرب الله عز وجل بعضهم ببعض وشتت الله أمرهم فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروة وموضع ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبد الله بن الحسن فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه ثم نظهر معه فمن كان بايعنا فهو منا وكنا منه ومن اعتزلنا كففنا عنه ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ورده إلى الحق وأهله وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا فإنه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك.

فلما فرغ قال أبو عبد الله عليه السلام: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم فحمد الله و أثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: إنما نسخط إذا عصي الله فأما إذا أطيع رضينا، أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها وولتك بغير قتال ولا مؤونة وقيل لك: ولها من شئت من كنت توليها؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين قال: بين المسلمين كلهم؟ قال: نعم، قال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: نعم، قال: والعرب والعجم؟ قال: نعم، قال: أخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تتبرء منهما؟ قال: أتولاهما، فقال: فقد خالفتهما ما تقولون أنتم تتولونهما أو تتبرؤون منهما، قالوا: نتولاهما. قال: يا عمرو إن كنت رجلا تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحداً ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه أحداً ثم جعلها عمر شورى بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستة من قريش وأوصى فيهم شيئا لا أراك ترضى به أنت ولا أصحابك إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين، قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام وأن يشاور أولئك الستة ليس معهم أحد ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شئ وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا رجلاً أن يضربوا أعناق أولئك الستة جميعا فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضربوا أعناق الاثنين أفترضون بهذا أنتم فيما تجعلون من الشورى في جماعة من المسلمين؟ قالوا: لا.

ثم قال: يا عمرو دع ذا أرأيت لو بايعت صاحبك الذي تدعوني إلى بيعته ثم اجتمعت لكم الأمة فلم يختلف عليكم رجلان فيها فأفضتم إلى المشركين الذين لا يسلمون ولا يؤدون الجزية أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في المشركين في حروبه؟ قال: نعم، قال: فتصنع ماذا؟ قال: ندعوهم إلى الإسلام فإن

أبوا دعوناهم إلى الجزية. قال: وإن كانوا مجوسا ليسوا بأهل الكتاب؟ قال: سواء، قال: وإن كانوا مشركي العرب وعبدة الأوثان؟ قال: سواء، قال: أخبرني عن القرآن تقرؤه؟ قال: نعم، قال: اقرأ "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" فاستثناء الله عزوجل واشتراطه من الذين أوتوا الكتاب فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟ قال: نعم، قال عمن أخذت ذا؟ قال: سمعت الناس يقولون، قال: فدع ذا، فإن هم أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: اخرج الخمس و أقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه. قال: أخبرني عن الخمس من تعطيه؟ قال: حيثما سمى الله، قال: فقرأ "واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين و ابن السبيل" قال: الذي للرسول من تعطيه؟ ومن ذو القربى قال: قد اختلف فيه الفقهاء فقال بعضهم: قرابة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وقال بعضهم: الخليفة، وقال بعضهم: قرابة الذين قاتلوا عليه من المسلمين، قال: فأي ذلك تقول أنت؟ قال: لا أدري، قال: فأراك لا تدري فدع ذا.

ثم قال: أرأيت الأربعة أخماس تقسمها بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم، قال: فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في سيرته بيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم فأسألهم فإنهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا على إن دهمه من عدوه دهم أن يستنفرهم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نصيب و أنت تقول بين جميعهم فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في كل ما قلت في سيرته في المشركين ومع هذا ما تقول في الصدقة؟ فقرأ عليه الآية: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ... إلى آخر الآية" قال: نعم، فكيف تقسمها؟ قال: اقسمها على ثمانية أجزاء فاعطي كل جزء من الثمانية جزءا، قال: وإن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف منهم رجلا واحدا أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم، قال: وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم قال: فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في كل ما قلت في سيرته، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ولا يقسمه بينهم بالسوية و إنما يقسمه على قدر ما يحضره منهم وما يرى وليس عليه في ذلك شئ موقت

موظف و إنما يصنع ذلك بما يرى على قدر من يحضره منهم فإن كان في نفسك مما قلت شيء فالق فقهاء أهل المدينة فإنهم لا يختلفون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله كذا كان يصنع. ثم أقبل على عمرو بن عبيد فقال له: اتق الله و أنتم أيها الرهط فاتقوا الله فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلّف) [١].

الإمام الصادق عليه السلام نصح الفقهاء وحذّرهم، تماماً كما حذّر الحسنيين "أصحاب مشروع الخلافة" وأخبر بمقتلهم وما يجري عليهم بالتفصيل، و أيضاً: أخبر بوضوح بملك العباسيين وأنّ الأمر صائر إليهم لا محال حتى تتلاعب به صبيان المنصور، تماماً كما لو أنّ القضية عبارة عن كتاب مفتوح أمام ناظريه، وبالنتيجة دارت الأيام وحصل كل ما أخبر به صلوات الله عليه لم يفلت منه شيء" [٢].

١- الكافي، الكليني: ٥ / ٢٣ – ٢٧.

٢- قال الشيخ المظفر: (كم أعلمَ عليه السلام عن حادثة وقعت بعد حين، وعن أمر حدث كما أخبر عن مُلك بني العبّاس مراراً قبل أن يكون، جاءه أبو مسلم الخراساني وناجاه سرّاً بالدعوة له، وأعلمه أنّ خلقاً كثيراً أجابوه، فقال له الصادق عليه السّلام: إن ما تؤمي إليه غير كائن لنا حتّى يتلاعب بها الصبيان من وُلد العبّاس، فمضى إلى عبد الله بن الحسن فدعاه، فجمع عبد الله أهل بيته وَهَمَّ بالأمر، ودعا أبا عبد الله عليه السلام للمشاورة، فلما حَضر جلس بين السفّاح والمنصور، وحين استُشير ضرب على منكب السفّاح، فقال: لا والله أو يملكها هذا أوّلاً، ثمّ ضرب بيده الأخرى على منكب المنصور وقال: وتتلاعب بها الصبيان من وُلد هذا، ووثب وخرج من المجلس.

ودعاه عبد الله بن الحسن مرّة أخرى للبيعة لابنه محمّد، فقال له: إنَّ هذا الأمر والله ليس لك ولا لابنيك، و إنمّا هو لهذا - يعني السفّاح - ثمّ لهذا - يعني المنصور - ثمّ لولده من بعده، ولمّا خرج تبعه أبو جعفر فقال: أتدري ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال عليه السلام: أي والله أدريه و أنّه لكائن، وما أكثر ما أنبأ عن مُلك بني العبّاس.

كما أخبر عن مقتل محمّد و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن في مواطن عديدة، فقد قال يوماً: مروان خاتم بني أميّة، وإن خرج محمّد بن عبد الله قُتل.

وقال لمحمّد يوماً وقد فاخره: فكأني أرى رأسك وقد جيء به ووضع على حجر بالزنابير، يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا، فصار محمّد إلى أبيه فأخبره بمقالة الصادق عليه السلام فقال أبوه: آجرني الله فيك، إن جعفراً أخبرني أنك صاحب الزنابير.

وأخبر بذلك يوماً أمّ الحسين بنت عبد الله بن محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام وقد سألته عن أمر محمّد فقال عليه السلام: فتنة يقتل فيها محمّد عند بيت رومي، ويقتل أخوه لأمّه و أبيه بالعراق، وحو افر فرسه في الماء.

ليست الإمامة باختيار الناس وانتخابهم، وإنما هي بتنصيب ووحي من الله ونص يشخّص به الحجة الإلهي من يليه، هذا هو دين الله الذي بيّنه محمد وآل محمد، ومنهم الصادق عليه السلام، الامامة والخلافة الإلهية أمانة عظيمة ومن يتعرّض لها بغير وجه حق يخسر آخرته ودنياه، لذا نرى الإمام المعصوم حريصاً جداً على نصح الناس عموماً وأهل بيته بالخصوص، لكن كثيرين منهم يفهمون النصح حسداً ومنافسة كما رأيناه في كلماتهم السابقة، وحاشى المعصوم من أن يمس صفحة وجوده الطاهر هذا المرض الشيطاني الخبيث، أعني "الحسد"!

- (عن فضيل بن يسار وبريد بن معاوية وزرارة أن عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد الله عليه السلام: إن الزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد الله فهل له سلطان؟ فقال: والله إن عندي لكتابين فيهما تسمية كل نبي وكل ملك يملك الأرض، لا والله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما.

... عن فضيل [بن] سكرة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا فضيل أتدري في أي شئ كنت انظر قبيل؟ قال: قلت: لا، قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام ليس من ملك يملك الأرض الا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً) [١].

- (عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من نبي ولا وصي، ولا ملك، إلا وهو في كتاب عندي، لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم) [٢].

وقال لعبد الله بن جعفر بن المسور: أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر؟ - قلت: نعم، قال عليه السلام: فإنّا والله نجده يقتل محمّداً، قلت: أوَ يقتل محمّد؟ - قال: نعم، قلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة، ثمّ ما خرجت والله من الدنيا حتّى رأيته قُتل.

وأخبر بذلك أباهما عبد الله بن الحسن وقال له: إن هذا - يعني المنصور - يقتل محمّداً على أحجار الزيت، ثمّ يقتل أخاه بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء. فكان كلّ ما أخبر به من أمر العبّاسيّين ومحمّد وإبراهيم قد وقع لم يفلت منه شيء) الإمام الصادق، الشيخ محمد حسين المظفر: ١ / ٢٦٠ – ٢٦٢.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٤٢.

٢- بصائر الدرجات، الصفار: ١٨٩.

ثورات الحسنيين ومقتلهم:

لم يستمع عبد الله بن الحسن المثنى ولا ابنه محمد ولا بقية أهل بيتهم لكل النصح الذي أبداه لهم الإمام الصادق صلوات الله عليه، وقرروا المضي بمشروعهم، مع أنه أخبر بمقتل محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم في أكثر من مناسبة، وكذا أخبر والدهم "عبد الله بن الحسن" أكثر من مرة أيضاً بما سيجري عليه وعلى أهل بيته إن أصرّوا على موقفهم!

قال الإمام لعبد الله (كما روى ولده موسى في روايته الطويلة التي تقدمت): "... إنك وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، فوالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه لوددت أني فديتك بولدي وبأحبهم إليّ وبأحب أهل بيتي إلي، وما يعدلك عندي شيء ..."!

ماذا يفعل لهم الإمام أكثر من هذا؟

كان عليه السلام يبكي أحياناً لما يرى محمد:

- (عن عنبسة بن نجاد العابد قال: كان جعفر بن محمد إذا رأى محمد ابن عبد الله بن حسن تغرغرت عيناه ثم يقول: بنفسي هو إن الناس ليقولون فيه إنه المهدي وإنه لمقتول ليس هذا في كتاب أبيه علي من خلفاء هذه الأمة) [1].
- (عن معلى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل محمد بن عبد الله فسلّم ثم ذهب فرقَّ له أبو عبد الله ودمعت عيناه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟ فقال: رققت له لأنه ينسب إلى أمر ليس له لم أجده في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأمة ولا من ملوكها) [2].

1- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٢.

2- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٩٥.

انفراط الحلف الحسني العباسي في وقت المنصور:

يجمع المؤرخون على أنّ المنصور العباسي هو أول من بذر العداء بين العلويين (الحسنيين) والعباسيين بعد أن كان الطرفان حلفاً وشيئاً واحداً [١].

العلاقة التي كانت تربط الحسنيين بالعباسيين، وقد رأينا مثالاً قريباً لها في اجتماع الأبواء، قذفت بها ملذات الحكم وشهوة السلطة والمال في مهب الريح بمجرد وصول بني العباس إلى كرسي الحكم والخلافة. ولم يشفع لعبد الله بن الحسن كبر سنّه وذهابه إلى الكوفة بمعية بعض إخوته لتقديم التهنئة لأبي العباس السفاح بالخلافة سنة ١٣٢ هـ وإعلان البيعة له، إذ كان أول سؤال واجهه من الخليفة العباسي الجديد هو ما كان يبلغه من أخبار ولده محمد فطمأنه هو وأخوه الحسن فقبل بتعهدهما [٢]!

لكن هلاك السفاح واستلام أخيه أبي جعفر المنصور الخلافة سنة ١٣٦ هـ جعلت الأمور بين العباسيين والحسنيين تسوء أكثر، إذ جعل المنصور أولى مهامه الأساسية القضاء على دعوة مهدي الحسنيين والقبض عليه، وأنذر عبد الله مدة محددة ليقوم ولده محمد بتسليم نفسه إلى السلطات!

(عبد الله بن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر قال: لما استخلف أبو جعفر لم يكن همه إلا طلب محمد والمسألة عنه وعما يريد فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً فسألهم في خلوة فكلهم يقول: يا أمير المؤمنين إنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل هذا اليوم وهو يخافك على نفسه ولا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره وقال: والله ما آمن وثوبه عليك والله لا ينام عنك فر أيك. قال ابن أبي عبيدة: فأيقظ من لا ينام) [٣].

١- قال السيوطي: (كان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيئاً واحداً) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

٢- انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٦٠.

٣- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٣؛ تاريخ الطبري: ٦ / ١٥٦.

المنصور العباسي كان قلقاً جداً من حركة محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم، وقد خصّص الرجال والأموال لتتبعهم وطلبهم، وأطلق يد واليه على المدينة (محمد بن خالد بن زياد) للجد في طلب محمد بالذات [١]، وأحياناً كان يطلب منه أن يقوم بإحضار العلويين وتهديدهم بالقتل من أجل الضغط والوصول إلى "محمد"، وبطبيعة الحال كان من ضمن المحضرين الإمام الصادق عليه السلام [٢]، مع أنّ المنصور يعلم جيداً بأنّ الإمام كان رافضاً لادعاء الحسنين وحركتهم، لكنه وجدها فرصة لإيذاء الإمام؛ لأنه يعرف تماماً فضله ووزنه بين الناس!

ولما لم يظفر المنصور العباسي بمحمد و إبراهيم، وكان قد حج سنة ١٤٠ هـ والتقاه عبد الله بن الحسن فسأله عن ابنه محمد، فأنكر معرفته بمكانه، ثم ألح عليه أن يأتيه به، فقال عبد الله: " لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه"، فأمر بحبسه وأهل بيته [٣].

بقوا في سجن الربذة أربع سنين، إلى أن حج المنصور سنة ١٤٤ هـ فطلب من عامله على المدينة (رياح بن عثمان) أن يشخصهم إليه إلى العراق، فسجنهم في الهاشميات [٤]:

- (وكان [أبو]جعفر المنصور قد طلب محمداً، و إبراهيم فلم يقدر عليهما، فحبس عبد الله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته بالمدينة ثم أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها فلما ظهر محمد قتل عدة منهم في الحبس ...) [٥].

- (ثم إنّ المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة فمر بهم على بلغة شقراء، فناداه عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر فأخساه أبو جعفر وتفل عليه ومضى فلما قدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه أما ترون في هذه القرية من

١- انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ١٥٦ – ١٥٧، ١٦٦.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧٦ – ١٧٧؛ تاريخ الطبري: ٦ / ١٨٤ – ١٨٥.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ١٦١.

٤- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٨؛ تاريخ الطبري: ٦ / ١٧٣ – ١٧٤. والهاشميات أو الهاشمية: مدينة بناها السفاح قرب الكوفة و اتخذها مقراً لخلافته قبل انتقاله إلى الأنبار، انظر: معجم البلدان: ٥ / ٣٨٩.

٥- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٢١.

يمنعنا من هذا الطاغية قال فلقيه الحسن وعلي ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا: له قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد قال قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا. ثم إنّ المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة واحضر المنصور محمد ابن إبراهيم بن الحسن وكان أحسن الناس صورة فقال له أنت الديباج الأصغر قال نعم. قال لأقتلنك قتلة لم اقتلها أحداً ثم أمر به فبنى عليه أسطوانة وهو حي فمات فيها. وكان إبراهيم بن الحسن أول من مات منهم ثم عبد الله بن الحسن فدفن قريبا من حيث مات فان يكن في القبر الذي يزعم الناس انه قبره وإلا فهو قريب منه. ثم مات علي بن الحسن. وقيل إنّ المنصور أمر بهم فقتلوا وقيل بل أمر بهم فقتلوا وقيل بل أمر بهم فسقوا السم وقيل وضع المنصور على عبد الله من قال له ان ابنه محمدا قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات والله اعلم) [١].

- (ثم صار (المنصور العباسي) إلى الحيرة، فحبس عبد الله بن حسن بن حسن وأهل بيته، فلم يزالوا في الحبس حتى ماتوا، وقد قيل: إنهم وجدوا مسمرين في الحيطان) [٢].

- (ومضى ببني حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر بن هبيرة وأحضر محمد بن إبراهيم بن حسن و أقامه، ثم بنى عليه أسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً. ثم قتل أكثر من معه من بني حسن) [٣].

أما حال الإمام الصادق عند اعتقال بني عمّه "آل الحسن"، فقد أوضحته رواية موسى بن عبد الله المتقدمة، حيث كان ينظر إليهم وهو يبكي، ولما خرج لرؤيتهم سقط رداءه عن كتفه دون أن يشعر، ومرض مرضاً شديداً خيف منه عليه لشدة تأثره!

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٥٢٦ – ٥٢٧.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٧٠.

٣- النزاع والتخاصم، المقريزي: ١٤٣.

• (ثم إنّ آل حسن حملوا في أقيادهم إلى العراق، ولما نظر إليهم جعفر الصادق وهم يخرج بهم من دار مروان جرت دموعه على لحيته، ثم قال: والله لا تحفظ لله حرمة بعد هؤلاء) [١].

• الحسين بن زيد قال: (إني لو اقف بين القبر والمنبر إذ رأيت بني الحسن يخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يراد بهم الربذة فأرسل إلي جعفر بن محمد فقال: ما وراءك؟ قلت: رأيت بني الحسن يخرج بهم في محامل. فقال: اجلس. فجلست. قال: فدعا غلاما له ثم دعا ربه كثيرا ثم قال لغلامه: اذهب فإذا حملوا فأت فأخبرني. قال: فأتاه الرسول فقال: قد اقبل بهم. فقام جعفر فوقف وراء ستر شعر ابيض من ورائه فطلع بعبد الله بن الحسن و إبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم كل واحد منهم معاد له مسود فلما نظر إليهم جعفر ابن محمد هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ثم اقبل علي فقال: يا أبا عبد الله والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا، والله ما وفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله بما أعطوه من البيعة على العقبة ...) [٢].

• (قال عبد الله بن إبراهيم الجعفري: فحدثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لما وقفوا عند باب المسجد - الباب الذي يقال له باب جبرئيل - أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام وعامة ردائه مطروح بالأرض، ثم أطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار - ثلاثاً - ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً ولكني غلبت وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده وعامة ردائه يجرّه في الأرض، ثم دخل بيته فحم عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيه الليل والنهار حتى خفنا عليه) [٣].

١- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٩ / ١٨.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٨ – ١٤٩.

٣ - الكافي، الكليني: ١ / ٣٦١.

ثورة محمد بن عبد الله ومقتله:

بعد أن حبس المنصور أباه وأهل بيته، ثار محمد بن عبد الله بالمدينة في شهر رجب سنة ١٤٥ هـ وبسط نفوذه عليها، وحبس والي المنصور فيها في دار مروان، ثم وجّه بجماعة إلى مكة وسيطروا عليها أيضاً، وبعث أخاه إبراهيم إلى البصرة فأخذها و انتزعها من ملك العباسيين [١].

لما بلغ المنصور العباسي الخبر، أرسل جيشاً بأربعة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عيسى بن موسى العباسي، الذي جعله السفاح ولياً لعهد المنصور، وكان المنصور يفكر بالتخلّص منه ونقل ولاية العهد لابنه المهدي، لذا اختاره لمهمة قيادة الجيش؛ إذ المسألة لا تفرق عنده إن قتل عيسى محمداً أو قتله محمد؛ فكلا الخيارين بصالحه!

(وندب المنصور لقتال محمد ابن عمه عيسى بن موسى وقال في نفسه: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، فجهز مع عيسى أربعة آلاف فارس ...) [٢].

عموماً، كان محمد قد التف حوله جمع كبير بالمدينة، وعلم بأنّ المنصور كتب إلى شخصيات كثيرة بالمدينة لاستمالتهم إليه وبلغته الكتب قبل وصولها إلى أصحابها، فأمر بالقبض عليهم وتقييدهم بكبول وسلاسل [٣].

جعل محمد على جيشه عيسى بن زيد الشهيد، وكان يقول لمحمد: "من خالفك أو تخلّف عن بيعتك من آل أبي طالب فأمكني منه أن أضرب عنقه" [٤].

١- انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٤.

٢- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٩ / ٢٦.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٦ – ٢٠٧.

٤- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٨٩ – ١٩٠.

وفعلاً، قام محمد وعيسى بإحضار الإمام الصادق عليه السلام وهو شيخ فاق عمره الستين عاماً، وعرضا عليه البيعة، ولما لم يقبل قاما بالإساءة للإمام ثم أمر محمد بسجنه ومصادرة أمواله، كما لاحظناه في رواية موسى بن عبد الله المتقدمة [١].

١- إذ ورد فيها: (قال: فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي، قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته وكان على شرطه فشاوره في البعثة إلى وجوه قومه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيبوك، أو تغلظ عليهم، فخلني و إياهم فقال له محمد: امضي إلى من أردت منهم، فقال: ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم - يعني أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام - فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرهم على الطريق التي أمررت عليها أبا عبد الله، قال: فوالله ما لبثنا أن أُتي بأبي عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقال له محمد: لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك، ولا تكلفن حرباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما في حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذّرته الذي حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يا ابن أخي عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ، فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إني لم أعازك ولم أجئ لأتقدم عليك في الذي أنت فيه، فقال: له محمد: لا والله لابد من أن تبايع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما في يا ابن أخي طلب ولا حرب و إني لأريد الخروج إلى البادية فيصدّني ذلك ويثقل علي حتى تكلمني في ذلك الأهل غير مرة، ولا يمنعني منه إلا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنا ونشقى بك، فقال له: يا أبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق - يعني أبا جعفر - فقال له أبو عبد الله عليه السلام: وما تصنع بي وقد مات؟ قال: أريد الجمال بك، قال: ما إلى ما تريد سبيل، لا والله ما مات أبو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم قال: والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد في بيعتك، فأبى عليه إباءً شديداً وأمر إلى الحبس، فقال له عيسى بن زيد: أما إن طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق، خفنا أن يهرب منه، فضحك أبو عبد الله عليه السلام، ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أوتراك تسجنني؟ قال: نعم والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجننك ولأشددن عليك، فقال عيسى بن زيد: احبسوه في المخبأ - وذلك دار ريطة اليوم - فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله إني سأقول ثم أصدق، فقال له عيسى ابن زيد: لو تكلّمت لكسرت فمك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله يا أكشف يا أزرق لكأني بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه وما أنت في المذكورين عند اللقاء و إني لأظنك إذا صفق خلفك، طرت مثل الهيق النافر فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه واغلظ عليه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرادة نصفها أبيض ونصفها أسود، على فرس كميت أقرح فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً وضربت خيشوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدئليين عليه غديرتان مضفورتان، وقد خرجتا من تحت بيضته، كثير شعر الشاربين، فهو والله صاحبك، فلا رحم الله رمته، فقال له محمد: يا أبا عبد الله، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد) الكافي: ١ / ٣٦٢ – ٣٦٣.

الإمام الصادق عليه السلام إثناء كلامه مع أبناء عمومته "محمد وعيسى" وصف الحال الذي سيصير إليه كل منهما، وقد حصل بالفعل. وبالنسبة لعيسى فقد وصفه بأنه ليس من "المذكورين عند اللقاء"، وفعلاً، ترك صاحبه وهرب عند اشتداد المعركة بين جيشي محمد وجيش عيسى بن موسى العباسي بعد وصوله إلى المدينة! والملفت أنّ القتال استمر يوماً واحداً فقط بسبب ترك أهل المدينة لمحمد ونكثهم بيعته، وانتهت المعركة بمقتل محمد في "زقاق أشجع" [١]:

(أزهر بن سعيد قال: لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فت ذلك في أعضادهم ودخل حميد بن قحطبة من زقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر وأخذ رأسه فأتى به عيسى وقتل معه بشراً كثيراً) [٢].

لم يدم مكوث محمد في المدينة بعد ثورته سوى شهرين ونصف تقريباً؛ إذ ثار في رجب وقتل في شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ، وبعث برأسه إلى المنصور بالكوفة!

(ولما جيء المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشراف أهل المدينة، فمنهم من قتله ومنهم من ضربه ضرباً مبرحاً، ومنهم من عفا عنه) [٣].

وكان محمد أوصى قبل مقتله لأخيه إبراهيم، ومن بعد إبراهيم لعيسى بن زيد:

(ولما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن وزحف إليه عيسى بن موسى جمع إليه وجوه الزيدية وكل من حضر معه من أهل العلم، وعهد إليه أنه إن أصيب في وجهه ذلك فالأمر إلى أخيه إبراهيم فان أصيب إبراهيم فالأمر إلى عيسى بن زيد) [٤].

١- وهو نفس المكان الذي أخبر الإمام الصادق عليه السلام أنه سيقتل فيه.

٢- تاريخ الطبري: ٦ / ٢١٨.

٣- البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٩٦.

٤- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٧٠.

ولم يكن عيسى الوحيد من ولد زيد الشهيد مع أبناء عبد الله بن الحسن في ثورتهم، و إنما كان أخوه الحسين معه في هذا التوجّه أيضاً:

(كان عيسى والحسين ابنا زيد بن علي مع محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن في حروبهما من أشد الناس قتالاً و أنفذهم بصيرة فبلغ ذلك عنهما أبا جعفر (المنصور) فكان يقول: ما لي ولابني زيد وما ينقمان علينا؟ ألم نقتل قتلة أبيهما ونطلب بثأرهما ونشفي صدورهما من عدوهما؟) [١].

علماً، أنّ عيسى لم ينتظر مقتل إبراهيم ليدعو الناس إلى نفسه، و إنما دعا الناس إليه بعد مقتل محمد مباشرة:

(عن حمزة التركي، قال: قدم عيسى ابن زيد بعد قتل محمد، فذكر أنّ محمداً جعل الأمر إليه ودعا الزيدية إلى نفسه فأجابوه، و أبى البصريون ذلك، حتى قالوا لإبراهيم: إن شئت أخرجناهم عنك من بلادنا فالأمر لك وما نعرف غيرك، حتى كادت تقع فرقة فسفروا بينهم سفراً وقالوا: إنا إن اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر، ولكن نقاتله جميعاً والأمر لإبراهيم فإن ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد، فأجمعوا على ذلك) [٢].

وبالنسبة للحسين بن زيد، فقد ربّاه الإمام الصادق عليه السلام بعد شهادة أبيه وكان مقيماً عنده في بيته:

(محول بن إبراهيم قال: شهد الحسين بن زيد بن حرب بن محمد و إبراهيم بني عبد الله بن الحسن بن الحسن ثم توارى. وكان مقيما في منزل جعفر بن محمد. وكان جعفر رباه ونشأ في حجره منذ قتل أبوه واخذ عنه علما كثيرا. فلما لم يذكر فيمن طلب ظهر لمن يأنس به من أهله وإخوانه) [٣].

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٦٩.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٤٥.

٣- المصدر السابق: ٢٥٧.

ثورة إبراهيم بن عبد الله ومقتله:

وصل خبر مقتل محمد إلى أخيه إبراهيم وهو بالبصرة فتألم جداً، وكان قد التف حوله خلق كثير عند وصوله إلى البصرة حيث بايعه أهلها، وربما السبب في ذلك يعود إلى:

١- بيعة فقهاء البصرة لأخيه محمد وتعاطيهم مع مشروع أبيه عبد الله بن الحسن بشكل إيجابي كما عرفناه سابقاً.
٢- إفتاء بعض كبار فقهاء المسلمين بوجوب بيعة إبراهيم ونصرته والخروج معه، مثل: أبي حنيفة وسفيان الثوري وغيرهم، بل أفتى بعضهم ببطلان بيعة المنصور، وكان بعضهم يعرّض به في خطبه جهاراً [١].
٣- طغيان المنصور وظلمه وفساده.

بالنتيجة، كسب إبراهيم تأييداً شعبياً كبيراً في البصرة وأطرافها، وبعض المؤرخين خصّص فصلاً بعنوان "تسمية من خرج مع إبراهيم" ذكر فيه كثير من الشخصيات التي لحقت بإبراهيم عند قيامه [٢].

و أيضاً: كان أبو حنيفة من ضمن المؤيدين لثورة إبراهيم، حيث كتب إليه ونصحه بأن يأتي الكوفة سرّاً:

(كتب أبو حنيفة إلى إبراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة ليعينه الزيدية. وقال له: ائتها سراً فان من هاهنا من شيعتكم يبيتون أبا جعفر فيقتلونه أو يأخذون برقبته فيأتونك به) [٣].

١- منهم بشير الرحال "الزاهد المعروف": (وكان بشير يقول يعرض بأبي جعفر: أيها القائل بالأمس: إن ولينا عدلنا، وفعلنا وصنعنا، فقد وليت فأي عدل أظهرت؟ وأي جور أزلت؟ وأي مظلوم أنصفت؟ آه. ما أشبه الليلة بالبارحة إن في صدري حرارة لا يطفيها إلا برد عدل أو حرسنان) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٢٧.

٢- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٣٥ – تسمية من خرج مع إبراهيم بن عبد الله.

٣- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٤٣.

و أيضاً: نصحه بأن يسير بالمنصور وصحبه إذا ظفر بهم بسيرة علي عليه السلام بأعدائه يوم صفين وليس بسيرته يوم الجمل:

(إنّ أبا حنيفة كتب إلى إبراهيم بن عبد الله لما توجه إلى عيسى بن موسى: إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الأموال ولم يتبع مدبراً ولم يذفف (يجهز) على جريح لأن القوم لم يكن لهم فئة (جماعة ومدد) ولكن سر فيهم بسيرة يوم صفين فإنه سبى الذرية وذفف على الجريح وقسم الغنيمة لان أهل الشام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم. فظفر أبو جعفر بكتابه فسيّره وبعث إليه فأشخصه وسقاه شربة (سم) فمات منها ودفن ببغداد) [١].

وعموماً، بلغ جيش إبراهيم بالبصرة آلافاً كثيرة، وقرّر أن يزحف بهم نحو الكوفة:

(و أقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس أكثر من جماعة عيسى بن موسى فالتقوا بباخمرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا بها قتالاً شديداً وانهزم حميد بن قحطبة وكان على مقدمة عيسى بن موسى وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ومروا منهزمين ...) [٢].

(ووصل أوائل المنهزمين من عسكر المنصور إلى الكوفة، فتهيأ المنصور للهرب، وأعدَّ النجائب ليذهب إلى الري، فيقال: إن نوبخت المنجم دخل عليه فقال: الظفر لك، وسيقتل إبراهيم، فلم يقبل منه، فقال: احبسني عندك، فإن لم يقتل إبراهيم وإلا فاقتلني، فبات طائر اللب، فلما كان الصباح أتي برأس إبراهيم ...) [٣].

(ولما اتصل بالمنصور انهزام عسكره وهو بالكوفة اضطرب اضطراباً شديداً وجعل يقول: فأين قول صادقهم أين لعب الغلمان والصبيان؟ ثم جاءه بعد ذلك خبر الظفر، وجيئ برأس إبراهيم فوضعه في طشت بين يديه والحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليه

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٤٣ – ٢٤٤.

٢- تاريخ الطبري: ٦ / ٢٦٠.

٣- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٩ / ٤٢.

السلام و اقف على رأسه عليه السواد فخنقته العبرة، والتفت إليه المنصوروقال: أتعرف رأس من هذا؟ فقال: نعم:

فتى كان تحميه من الضيم نفسه وينجيه من دار الهوان اجتنابها

فقال المنصور: صدقت ولكن أراد رأسي فكان رأسه أهون على ولوددت انه فاء إلى طاعتي. وكان قتل إبراهيم - على ما قال أبو نصر البخاري - لخمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثماني وأربعين سنة) [١].

قول المنصور: "أين قول صادقهم ..."، يؤكد أنّ الطاغية مذهول مما حلَّ بجيشه، فهو لا يتعقل أنه سيهرب ويترك الملك مع أنّ " الإمام الصادق" أخبر بملكه وملك ذريته من بعده! المنصورو اثق في قرارة نفسه أنّ نبوءة الصادق لا تُخطئ أبداً!

وعلى أي حال، بمقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى سنة ١٤٥ هـ انتهى حلم الحسنيين بالخلافة وطموحهم بولاية الأمر، وليتهم استمعوا لنصيحة ابن عمّهم الرحيم بهم والشفيق عليهم؛ الإمام الصادق، ولكن كما قال هو: "لا ينفع حذر من قدر"!

ملاحظات:

الأولى: لا يصح بحال اعتبار مسألة القرب النسبي من الإمام المعصوم حجة ودليلاً على وجوب الطاعة والاتباع، بمعنى: لا يصح أنك تنقاد وتسلّم زمام دينك لشخص لمجرد أنه قريب نسباً من الإمام المعصوم، بل إذا لاحظنا البحوث المتقدمة وجدنا أنّ أغلب حواريي الإمام الصادق والأئمة عموماً صلوات الله عليهم الذين نصروهم وأعانوهم على بيان دين الله ونشره لم يكونوا قريبين لهم نسباً، أمثال: زرارة، ومحمد بن مسلم، وهشام بن الحكم، ومؤمن الطاق، والفضيل بن يسار، و أبو بصير، وبريد العجلي، و أبان بن تغلب، وغيرهم.

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ١١٠.

نحن في دنيا الامتحان، والكل فيها ممتحن بالإمام المعصوم؛ سواء القريب نسباً منه أو البعيد، والعبرة في وجوب الاتباع هو "النص" لا غير كما هو معلوم في ثوابت الدين الإلهي، أما العبرة في التفاضل بين الممتحنين فهو تقوى الله والطاعة والتسليم للإمام المعصوم، وليس القرب النسبي!

و أيضاً: طالما نحن في دنيا امتحان، فالمفروض بالمؤمن عدم سبق إمام زمانه بشيء إطلاقاً، وليكن حريصاً على الاقتصار بالعمل بالمنصوص لا غير، أما توزيع ألقاب ومناصب ومزايا ومفردات تمجيد وتعظيم ... إلخ على الناس (بما فيهم المؤمنين) بحسب ما يراه ويظنه فهذا أمر غير صحيح وقد يؤدي إلى نتائج لا يُحمد عقباها ويُحاسب عليها يوم القيامة إذا ما تسببت بضرر لدين الله، فأحياناً يصادف ذلك التمجيد والتعظيم فكرة "فتنة" ساكنة ونائمة في رأس مخلوق (وإن كان مؤمناً)، و أنت بكلمتك "غير المسؤولة" أيقظت فيه وحفزت لديه تلك الفكرة الشيطانية المستقرة برأسه! فلا الانتقاص من المؤمنين صحيح، ولا التمجيد والتعظيم ومنح المزايا بالمجان لكل أحد صحيح، وخير الأمور أوسطها، والوسط هنا: ملازمة المعصوم بكل ما صدر منه وترك ما لم يصدر منه، ولا عاصم إلا الله!

الثانية:

كما لم يأذن الإمام الصادق عليه السلام لشيعته وأصحابه بنصرة العباسيين في ثورتهم ضد الحكم الأموي، كذلك لم يأذن بنصرة الحسنيين، بل رأينا نصحه ونهيه لعبد الله بن الحسن و ابنه محمد عن الادعاء وعن القيام المسلّح، لأنه يعلم يقيناً بأنّ الأمر صائر إلى العباسيين لا محال، وأنّ القيام بالقوة بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه ينحصر بالقائم من آل محمد عليه السلام، وكل من يقوم قبله فيتسبب بضرر على دين الله وعلى أولياء الله، وقد تقدم بيان هذه الحقائق بالتفصيل.

- (عن الحسين بن خالد الكوفي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك حديث كان يرويه عبد الله بن بكير عن عبيد بن زرارة قال: فقال عليه السلام لي: وما هو؟ قلت: روى عن عبيد بن زرارة انه لقى أبا عبد الله عليه السلام في السنة التي خرج فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فقال له: جعلت فداك ان هذا قد الف الكلام

وسارع الناس إليه فما الذي تأمر به؟ قال فقال: اتقوا الله وأسكنوا ما سكنت السماء والأرض قال: وكان عبد الله بن بكير يقول: ولئن كان عبيد بن زرارة صادق فما من خروج وما من قائم قال: فقال لي أبو الحسن عليه السلام: ان الحديث على ما رواه عبيد وليس على ما تأوله عبد الله بن بكير إنما عنى أبو عبد الله عليه السلام بقوله: ما سكنت السماء من النداء باسم صاحبكم وما سكنت الأرض من الخسف بالجيش) [١].

- (عن أبي غيلان، قال: أتيت الفضيل بن يسار، فأخبرته أنّ محمداً و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن قد خرجا، فقال لي: ليس أمرهما بشئ قال: فصنعت ذلك مرارا، كل ذلك يرد علي مثل هذا الرد. قال، قلت: رحمك الله قد أتيتك غير مرة أخبرك فتقول ليس أمرهما بشئ أفبر أيك تقول هذا؟ قال، فقال: لا والله، ولكن سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن خرجا قتلا) [٢].

- (عيسى بن عبد الله قال: حدثتني أمي أم الحسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين قالت: قلت لعمي جعفر بن محمد: إني - فديتك - ما امر محمد هذا؟ قال: فتنة يقتل محمد عند بيت رومي ويقتل أخوه لأمه و أبيه بالعراق وحو افر فرسه في الماء) [٣].

الثالثة:

كان هناك رسائل متبادلة بين أبي جعفر المنصور وبين محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى قبل مقتله [٤]، يذكر كل واحد منهما ما يثبت به صحة موقفة وشرعية ولايته وبيعته، ومن يلاحظ تلك الرسائل يجد أنّ كلا الطرفين يحتج لنفسه بالقرب النسبي للرسول صلى الله عليه وآله، فمحمد يحتج بالقرب من جهة النساء (جدته فاطمة الزهراء صلوات الله عليها)، والمنصور يحتج بالقرب من جهة العمومة (باعتبار أنّ جده العباس عم الرسول)، وأنّ القرب الذي يحققه العم أقوى من الذي تحققه النساء؛ لأنه – أي العم – من عصبة

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٢٧٧.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٤٧٣ – ٤٧٤.

٣- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٦٨.

٤- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٥ – ١٩٩.

الرجل دون المرأة، ... إلى غير ذلك من سفاسف وخزعبلات لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأنها بلا رصيد حقيقي في دين الله المرضي، فالحق ودين الله يؤخذ من أهله المعصومين الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، أما غيرهم – أياً يكن – فلا يُعبأ بكلامه ولا بحججه المزعومة التي هي موهومة بالتأكيد.

الرابعة:

كان للإمام الصادق عليه السلام بساتين تسمّى "عين أبي زياد"، أنشأها قرب المدينة، وكان ينتفع من غلّتها لتدبير شؤونه عموماً (رعيته وعياله)، صادرها محمد بن عبد الله في أيام ثورته بالمدينة من ضمن أموال الإمام التي صودرت لما رفض بيعته كما تقدم، ولما قُتل محمد وضع عيسى بن موسى (عامل المنصور على المدينة) يده عليها بأمر من المنصور بحجة أنها من ضمن أموال محمد!

(سعيد الرومي مولى جعفر بن محمد قال: أرسلني جعفر بن محمد عليه السلام أنظر ما يصنعون، فجئته فأخبرته أن محمداً قُتل وأنّ عيسى قبض على عين أبي زياد، فنكس طويلاً ثم قال: ما يدعو عيسى إلى أن يسئ بنا، ويقطع أرحامنا؟ فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً) [١].

ثم بعد مدة، جاء المنصور لزيارة المدينة فالتقاه الإمام الصادق عليه السلام وطلب منه أن يعيد إليه ماله "عين أبي زياد" الذي أُخذ منه:

(قال: كتب أبو جعفر (المنصور) إلى عيسى بن موسى من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلى باسمه ومن لم يلقك فاقبض ماله قال فقبض عين أبي زياد وكان جعفر بن محمد تغيب عنه فلما قدم أبو جعفر كلّمه جعفر وقال مالي قال قد قبضه مهديكم) [٢].

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٣٠٥.

٢- تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٥.

قول الإمام: "قبضه مهديكم"؛ باعتبار أنّ المنصور كان يقول عن محمد: "مهدينا أهل البيت"، وقد بايعه في اجتماع الأبواء، كما تقدم بيانه سابقاً.

وعموماً، لم يردّها المنصور على الإمام الصادق عليه السلام، و إنما ردها ولده المهدي على ولد الإمام لاحقاً:

(فلما قتل محمد قبض عيسى أموال بني الحسن كلها وأموال جعفر، فلقي جعفر المنصور فقال له: ردّ عليّ قطيعتي من أبي زياد. قال: إياي تكلم بهذا؟ والله لأزهقن نفسك قال فلا تعجل علي قد بلغت ثلاثاً وستين سنة وفيها مات أبي وجدي وعلي بن أبي طالب وعليّ كذا وكذا إن ربتك بشيء وإن بقيت بعدك أن ربت الذي يقوم بعدك فرقَّ له المنصور ولم يرد عليه قطيعته فردها المهدي على ولده) [١].

الخامسة:

بخصوص الأذى الذي لاقاه الإمام الصادق من أهل بيته، فلم يكن من إخوته، و إنما من عمومته وبنيهم الحسنيين وبعضهم كانوا حسينيين:

بالنسبة لأخوته، ينبغي أن ينعرف أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان له أربعة أولاد ذكور، هم: جعفر الصادق عليه السلام، وعبد الله، و إبراهيم، وعبيد الله. أما إبراهيم وعبيد الله فقد درجا، أي ماتا ولم يعقّبا. وأما عبد الله فقتل مسموماً:

(لم يعتقد في أحد من ولد أبي جعفر عليه السلام الإمامة إلا في أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام خاصة، وكان أخوه عبد الله رضي الله عنه يُشار إليه بالفضل والصلاح. وروي: أنه دخل على بعض بني أمية فأراد قتله، فقال له عبد الله رضي الله عنه: لا تقتلني فأكون لله عليك عونا، واستبقني أكن لك على الله عونا، يريد بذلك أنه ممن يشفع إلى الله فيشفعه، فقال له الأموي: لست هناك، وسقاه السم فقتله) [٢].

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٥٥٣ – ٥٥٤.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٧٦.

أما بالنسبة لبني عمومته الحسنيين، فقد مربنا حالهم وبعض تصرفاتهم مع الإمام، أما بعض الحسينيين، فهذه بعض الأمثلة:

١- ما فعله الحسن بن علي ابن الإمام علي بن الحسين المعروف بـ "الأفطس":

أقدم الأفطس على محاولة طعن الإمام الصادق عليه السلام بشفرة:

(عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد جميعا، عن سالمة مولاة أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حين حضرته الوفاة فأغمي عليه فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين وهو الأفطس سبعين دينارا وأعطوا فلانا كذا وكذا وفلانا كذا وكذا فقلت: أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة؟ فقال: ويحك أما تقرئين القرآن؟ قلت: بلى قال: أما سمعت قول الله عزوجل: "الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب".

قال ابن محبوب في حديثه حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك.

فقال: أتريدين على أن لا أكون من الذين قال الله تبارك وتعالى: "الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " نعم يا سالمة إن الله خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة الفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم) [1].

٢- ما فعله محمد الأرقط ابن عبد الله ابن الإمام زين العابدين:

ذكرنا سابقاً، أنّ عبد الله "الباهر" عنده ولد اسمه "محمد" وهو المعروف بـ "الأرقط"؛ نتيجة وجود نمش وتشويه في وجهه، وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ السبب في

١- الكافي، الكليني: ٧ / ٥٥.

تشويه وجهه هو دعاء الإمام الصادق عليه نتيجة إقدامه على توجيه إساءة للإمام [١]! وربما لأجل ذلك أقسم الإمام الكاظم عليه السلام أن لا يكلّمه [٢]!

٣- ما فعله عيسى بن زيد ابن الإمام زين العابدين:

تقدم بيان موقفه في ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بالمدينة سنة ١٤٥ هـ، إذ ولّاه قيادة شرطته وحرسه وأجبرا الإمام الصادق عليه السلام على البيعة ولما امتنع قاما بتوجيه الإساءة له قولاً وفعلاً، ثم أقدما على سجنه ومصادرة أمواله!

الأحداث التي واجهها الإمام الصادق كثيرة، ولا أريد الاستغراق فيها، والقصد من عرض هذه الشواهد الإشارة إلى أمرين:

الأول: إننا في دنيا الامتحان ولا أحد مستثنى منه، قريب للمعصوم نسباً أو بعيد عنه، فالكل في مسألة استحقاق الامتحان سواء، والكل – عدا المعصومين – في مسألة إمكانية النجاح أو الفشل في الامتحان سواء أيضاً.

الثاني: إنّ "الحسد" لم ولن ينتهي ما دمنا في هذه الدار؛ بل الحقيقة المؤلمة أنّ أكثر الناس عرضة لهذا المرض الشيطاني الخبيث هم آل محمد (أئمة ومهديين) صلوات الله عليهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١- قال ابن عنبة: (قال أبو نصر البخاري: من يطعن في الأرقط فلا يطعن من حيث النسب والعقب. وإنما يطعنون لشيء جرى بينه وبين الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقال إنه بصق في وجه الصادق عليه السلام فدعا عليه فصار أرقط الوجه به نمش كريه المنظر وأما نسبه فلا مطعن فيه، هذا كلامه) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٥٢.

٢- قال النمازي: (حلف الكاظم صلوات الله عليه أن لا يكلم محمداً هذا) مستدركات علم رجال الحديث: ١ / ٥٣٥.

الإمام الصادق(ع) والمنصور العباسي:

قلنا سابقاً إنّ مقتل الإمام الحسين صلوات الله عليه وما تلاه من أحداث وصولاً إلى شهادة زين بن علي ولّد موجة تعاطف كبيرة مع آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وأكثر جهة استغلت هذه الموجة هم بنو العباس، فهم بالرغم من رفعهم شعار "الرضا من آل محمد" في بداية تحركهم، لكنهم في الحقيقة كانوا طامحين بالحكم من البداية، والشعار كان مجرد وسيلة لكسب تأييد المسلمين لا أكثر؛ لأنهم بالأصل مغمورون ويعانون من عقدة النقص؛ خصوصاً بالنسبة لـ "مقلاص"، "الدوانيقي" [1].

الإمام الصادق عليه السلام من جهته، كان يعلم بنوايا العباسيين وما يضمرون جيداً، ولهذا رفض مشاركتهم أو تأييد ثورتهم.

سعي المنصور للكيد بالإمام الصادق(ع):

المنصور العباسي، كأي طاغية يطمح إلى توريث السلطة من بعده لبنيه، كان يعلم أنّ استقامة ملكه وملك ذريته من بعده يتطلب بالضرورة إزاحة الإمام الصادق عن الطريق؛ لذلك سعى جاهداً لإيذاء الإمام بأي طريقة ممكنة؛ لا سيما وأنّ سيرته تشهد بأنه طاغية جبّار متكبّر [2]، لكنه بالتأكيد بحاجة إلى مبرر ومستمسك ليكون حجة بيده لإيذاء الإمام!

١- عن عقدة النقص التي يعاني منها المنصور: روى عبد الصمد بن علي (عم المنصور): (قيل للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو، قال: ... نحن بين قوم رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء، فليس تتمهّد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢١٢.

وأما "مقلاص" فهو لقب عُرف به في صغره: (مقلاص: اسم لص كانت تضرب به الأمثال، وكان أبو جعفر المنصور صبياً سرق غزلاً لعجوز، كانت تخدمه. وباعه لينفق على أتراب له. فلما علمت بفعلته سمته مقلاصاً وغلب عليه هذا اللقب في صغره ثم ذهب عنه) البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ١٠٨ – هامش ٢.

وأما "الدوانيقي": فهو لإفراطه في البخل؛ إذ كان معروفاً عنه التدقيق والمحاسبة على مبالغ مالية تافهة، فالدوانيق: جمع دانق، ويعني: سدس الدرهم، الشيء الساقط والتافه، انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٠ / ٤٣٨.

٢- تقدم وصف الإمام الباقر عليه السلام له بالجبار= الدكتاتور؛ إذ قال لعمّه داود: "ما منع جباركم أن يأتيني"!

في أول أمره، حاول المنصور العباسي إظهار التودد للإمام الصادق صلوات الله عليه؛ لعلمه بأنّ التأثير عليه يعني كسب قاعدة واسعة تتمثل بتلاميذ الإمام وشيعته!

(كتب المنصور إلى جعفر بن محمد عليهما السلام: لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: "ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزيك، فما نصنع عندك؟" قال: فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا، فأجابه: "من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك" فقال المنصور: والله لقد ميز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، و انه ممن يريد الآخرة لا الدنيا) [١].

كل محاولات المنصور لم تفلح في ثني الإمام الصادق عليه السلام عن مشروعه ورسالته الإلهية التي كلّفه الله بإنجازها، فمغريات الدنيا وشهوة الجلوس إلى الحكام ولطع مو ائدهم التي خدعت الكثيرين لا تنفع مع رجل عصمه الله واصطفاه لرسالته وطهّره من الرجس ودنس القذارات تطهيراً!

استمر المنصور العباسي بسعيه لإيجاد المبرر الذي يمكّنه من إلحاق الأذى بالإمام عليه السلام، لكنه صلوات الله عليه كان حكيماً بكل ما يصدر منه، وفوّت على اللعين غرضه واستمر في إنجاز رسالته بتمامها، وهذه إحدى مكائد المنصور:

(عن صفوان بن يحيى، عن جعفر بن محمد بن الأشعث قال: قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به؟ وما كان عندنا منه ذكر ولا معرفة شئ مما عند الناس، قال: قلت له: ما ذاك؟ قال: إن أبا جعفر - يعني أبا الدو انيق - قال لأبي، محمد بن

و أيضاً: (عن الربيع صاحب المنصور قال: قال المنصور يوماً لأبي عبد الله عليه السلام وقد وقع على المنصور ذباب فذبّه عنه ثم وقع عليه فذبه عنه، ثم وقع عليه فذبه عنه، فقال: يا أبا عبد الله لأي شيء خلق الله تعالى الذباب؟ قال: ليذل به الجبارين) علل الشر ائع، الصدوق: ٢ / ٤٩٦.

قال المقريزي: (وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فإنه تزيا بزي الأكاسرة وجعل أبناء فارس رجالات دولتهم كبني برمك وبني نوبخت، وأحدث تقبيل الأرض (بين يديه) وتحجّب عن الرعية وترفّع عليهم) النزاع والتخاصم: ١٤١.

١- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٢ / ٣٠٧.

الأشعث: يا محمد ابغ لي رجلا له عقل يؤدي عني [١] فقال له أبي: قد أصبته لك هذا فلان ابن مهاجر خالي قال: فأتني به، قال: فأتيته بخالي فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال وأت المدينة وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال و أتى المدينة فرجع إلى أبي الدو انيق ومحمد بن الأشعث عنده، فقال له أبو الدو انيق ما وراءك قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فجلست خلفه وقلت حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل و انصرف، ثم التفت إلي فقال: يا هذا اتق الله ولا تغر أهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج، فقلت: وما ذاك أصلحك الله؟ قال: فأدنى رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا، قال: فقال له أبو جعفر: يا أبن مهاجر! اعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدث وإن جعفربن محمد محدثنا اليوم، وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة) [٢].

"قولنا بهذه المقالة": أي التشيع لآل محمد عليهم السلام.

والرو اية واضحة في أنّ مكيدة المنصورللإيقاع بالإمام لم تفلح، كان يتأمل أن يحصل على ورقة ممضاة بخط الإمام تؤكد قبضه المال من شيعته ليستعملها ضده وتكون مبرراً لأذاه، لكن الله شاء أن يبطل مسعاه الخبيث، فخاب وتلاشى أمام حكمة الإمام!

١- أي: يفعل لي المهمة التي أُريد إنجازها.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٧٥.

المنصور بعد قتل الحسنيين:

استعمل المنصور كل جبروته للانتقام من المشتركين في ثورات الحسنيين؛ خصوصاً البصريين الذين خرجوا مع إبراهيم، إذ كتب لعامله بالبصرة "سلم بن قتيبة" يأمره بهدم دورهم وعقر نخيلهم [١]، فهرب الناس خوف البطش واستخفوا بعد أن قتل منهم جماعة كثيرة [٢].

وبالنسبة للإمام الصادق عليه السلام، فالمنصور يعلم جيداً بأنّ الإمام لم يشترك في ثورات الحسنيين، بل يعلم تماماً بأنه كان ينهاهم وينصحهم بترك الدعوة لأنفسهم وأنّ الأمر صائر للعباسيين، وسمع بنفسه كلام الإمام معهم أكثر من مرة!

أيضاً: بالتأكيد، سمع المنصور بنهي الإمام الصادق عليه السلام أصحابه وشيعته عن الاشتراك في ثورات الحسنيين [٣]، أو لا أقل الواقع يشهد بهذا، أعني: الواقع يشهد بأنّ أحداً من أصحاب الإمام المعروفين – وهم كثر ومنتشرون في العراق والحجاز – لم يشترك مع محمد وإبراهيم لما ثارا في المدينة والبصرة!

وأيضاً: المنصور كان يعلم سابقاً برفض الإمام الصادق العروض التي تقدم بها أبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني في بداية التحرك على الأمويين وقبل أن تتم بيعة أخيه السفاح أصلاً، وهو أمر يكشف بكل وضوح أنّ الإمام الصادق غير طامح بالحكم من الأساس ومنصرف عن هذا الأمر تماماً، وأنه قد سخّر كل جهده ووقته لأمر آخر اقتضته رسالته الإلهية كما أوضحنا!

١- انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣ / ١٦.

٢- انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ٩ / ٤٢.

٣- تقدم ذكر بعض الروايات التي تؤكد ذلك.

أقول: بالرغم من علم المنصور بهذه الحقائق، لكنه – إرضاء للؤمه وخبث سريرته – أحضر الإمام الصادق من المدينة ومعه جميع العلويين في عملية إجلاء واسعة لم تبقِ في دور العلويين غير النساء والأطفال:

(يونس بن أبي يعقوب، قال حدثنا جعفر بن محمد من فيه إلى أذني، قال: لما قتل إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بباخمرى حُسرنا عن المدينة، ولم يترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب [١] فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى.

قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج. قلت: إليك يجبى - يا أمير المؤمنين - الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، و أترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق، فإنهم لكم مفسدة. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، و أنت من ذلك النسل. قال فتبسم وقال: أعد علي، فأعدت فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم، ووهبت لكم جرم أهل البصرة، حدثني الحديث الذي حدثتني عن أبيك، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله. قلت: حدثني أبي، عن آبائه: عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تعمر الديار، وتطيل الاعمار، وإن كانوا كفارا. فقال: ليس هذا. فقلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأرحام معلقة بالعرش تنادي: اللهم صل من وصلني، و اقطع من قطعني. قال: ليس هذا. فقلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله عزوجل يقول: أنا الرحمن، خلقت

١- الربيع بن يونس: حاجب أبي جعفر المنصور، غلام اشتراه المنصور بإشارة من عيسى بن أبان لما شكا له ضعف حجّابه فقال له: "استخدم قوماً وقاحاً! قال: ومن هم؟ قال: اشتر قوماً من اليمامة فإنهم يربون الملاقيط (جمع لقيط: لا أب شرعي له)، فاشتراهم وجعل وظيفة الحاجب إليهم، ومنهم الربيع الحاجب (انظر: الفهرست، ابن النديم: ٢٨٥). والربيع هذا له ولد اسمه "الفضل" عيّنه هارون وزيراً له، وهو الذي قام باعتقال الإمام الكاظم في المدينة بأمر هارون كما سيأتي.

الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته. قال: ليس هذا الحديث.

قلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن ملكا من الملوك في الأرض كان بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة. فقال: هذا الحديث أردت، أي البلاد أحب إليك؟ فوالله لأصلن رحمي إليكم. قلنا: المدينة، فسرحنا إلى المدينة، وكفى الله مؤنته) [١].

المنصور يؤسس ويرعى المذاهب الفقهية:

من أبرز قرارات المنصور لإضعاف مرجعية الإمام الصادق الدينية بين المسلمين والتأثيرعلى التأييد الكبيرالذي يحظى به لدى غالبيتهم، هو قراره القاضي بإنشاء ورعاية مذاهب دينية بزعامة فقهاء تتلمذوا على يد الإمام بالأساس!

أحضر المنصور مالك بن أنس وقال له بدهاء: (لم يبقَ على وجه الأرض أعلم مني ومنك! و إني قد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنّب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمرووطئه للناس توطئة. قال مالك: فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ) [٢].

قال مالك: (..... ثم قال لي: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودوّنه، ودوّن منه كتباً، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمرورخص عبد الله بن عباس، وشواذ ابن مسعود، و اقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبثها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها، ولا يقضوا بسواها، فقلت له: أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا، ولا يرون في عملهم

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٣٣ – ٢٣٤.

٢- تاريخ ابن خلدون: ١ / ١٧ – ١٨.

رأينا. فقال أبو جعفر: يُحملون عليه، ونضرب عليه هاماتهم بالسيف، ونقطع طي ظهورهم بالسياط، فتعجل بذلك وضعها ...) [١].

المنصور (وكذا من تلاه) خطّط أن يكون مالك مفتي الدولة الوحيد؛ يجمع الناس على آرائه وفتاواه ولو بالقوة:

- (قال خالد بن نزار الأيلي: بعث المنصور إلى مالك حين قدم المدينة، فقال: إن الناس قد اختلفوا بالعراق، فضع كتاباً نجمعهم عليه. فوضع " الموطأ ") [٢].
- (عن عبد الله بن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومئة وصائح يصيح (ناطق رسمي للدولة): لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة) [٣].
- (... وما روي من أن مالكاً لما أراده الرشيد على الذهاب معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن) [٤].

و أيضاً: وعده المنصور أن يجعل كلامه كالقرآن إن هو أنجز مراده كما خطط له:

(أبو مصعب: سمعت مالكا يقول: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، وقد نزل على مثال له يعني فرشه وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان، وجاء صبي يخرج ثم يرجع، فقال لي: أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابني، و إنما يفزع من هيبتك، ثم ساءلني عن أشياء منها حلال، ومنها حرام، ثم قال لي: أنت والله أعقل الناس، وأعلم الناس. قلت: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: بلى. ولكنك تكتم. ثم قال: والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق، فلأحملنهم عليه) [٥].

١- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ٢ / ١٥٠، تحقيق: د. طه محمد الزيني.

٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨ / ١١١.

٣- تهذيب الكمال، المزي: ١٨ / ١٥٦ – ١٥٧.

٤- فيض القدير، المناوي: ١ / ٢٧١.

٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨ / ٦١ – ٦٢.

وهكذا شيئاً فشيئاً تأسس مذهب مالك بن أنس، مع أنّ مالكاً نفسه يقول عن أستاذه الإمام الصادق عليه السلام: (ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً، ...) [١].

الملاحظ أنّ مالكاً لم يروِ عن الإمام علي عليه السلام رأياً منفرداً في كتاب "الموطأ" بالرغم من أنه روى عن صحابة كثر، كما أنه حرص أن لا يروي عن أستاذه الإمام الصادق حتى ظهر أمر العباسيين وثبت ملكهم [٢]، وواضح أنّ فعله وتصرفه هذا كان بتنسيق واشتراط من المنصور نفسه!

كثير من الباحثين يعتبرون خطوة المنصور هذه (أعني: حثّه لمالك بن أنس على كتابة الموطأ) اهتماماً منه بالعلم، بل يستشهد بها بعضهم للتدليل على أنّ بدايات تأسيس "بيت الحكمة" [٣] كانت على يده لشدة محبته للعلم على حد زعمهم! مع أنّ الحقيقة أنّها مجرد مكر ودهاء بامتياز؛ لإبعاد العالم الحقيقي (الصادق عليه السلام) عن الساحة وفسح المجال أمام الظنون التي تسهم بتثبيت أركان سلطة الدوانيقي وملكه لا أقل ولا أكثر. ولهذا لم يحظَ الجهد العلمي الذي قام به "ابن جريج" مثلاً بأي تكريم من قبل المنصور ولا حتى أدنى اهتمام يُذكر لما عرضه عليه [٤]؛ مع أنّه قائم بالأساس على جمع تراث جدّه عبد الله بن عباس! والسبب أنّ جده – كما يعرف الجميع – كان تلميذاً ينهل من علوم الإمام علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين عليهم السلام، وأكيد أنّ روايات ابن عباس تسلّط الضوء على علومهم وبالتالي تسهم بعلو ذكرهم وإبراز شأنهم، وهذا ما لا يرغب به الدوانيقي إطلاقاً؛ لأنه يصب بصالح خصمه؛ أعني الإمام الصادق عليه السلام!

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٩٦.

٢- انظر: ميزان الاعتدال، الذهبي: ١ / ٤١٤.

٣- بيت الحكمة: مكتبة أُنشأت في زمن هارون العباسي ثم تطورت في عهد المأمون لتصبح مركزاً علمياً وبحثياً يُعنى بأغلب العلوم الرائجة في ذلك الوقت، وكانت له إسهامات علمية مهمة لا زال أثرها ملحوظاً حتى وقتنا الراهن، وسيأتي بحث الأمر وبيان السبب الحقيقي الكامن وراء هذا التطور.

٤- قال أحمد بن حنبل: (سمعت أبي يقول: قدم بن جريج على أبي جعفر فقال له إني قد جمعت حديث جدك عبد الله بن عباس وما جمعه أحد جمعي أو نحو ذا قال: فلم يعطه شيئاً ...) العلل، أحمد بن حنبل: ٢ / ٣١٢.

وعموماً، يبدو أنّ المنصور لم يتح له ما أراد أعني جمع الناس على مفتٍ واحد، ففتح المجال لآخرين – غير مالك – ليتبوّؤوا مناصب في دولته كأبي حنيفة و ابن شبرمة و ابن أبي ليلى وبعض تلاميذهم كأبي يوسف القاضي (تلميذ أبي حنيفة) حيث عيّنه مفتياً وقاضياً!

أما بالنسبة إلى أبي حنيفة، فقصة المنصور معه بدأت بترويضه على بيعته بعد أن كان رافضاً لها في أول الأمر:

(حمزة ابن عبد الله الخزاعي: إن أبا حنيفة هرب من بيعة المنصور وجماعة من الفقهاء قال أبو حنيفة لي فيهم أسوة فخرج مع أولئك الفقهاء فلما دخلوا على المنصور اقبل على أبي حنيفة وحده من بينهم فقال له: أنت صاحب حيل فالله شاهد عليك إنك بايعتني صادقا من قلبك؟ قال: الله يشهد عليّ حتى تقوم الساعة فقال: حسبك، فلما خرج أبو حنيفة قال له أصحابه حكمت على نفسك بيعته حتى تقوم الساعة قال: انما عنيت حتى تقوم الساعة من مجلسك إلى بول أو غائط أو حاجة حتى يقوم من مجلسه ذلك) [1].

ثم استدرجه المنصور أكثر، وطلب منه أن يهيأ مسائل صعبة لاختبار الإمام الصادق عليه السلام، بغية إحراجه أمام الناس والتقليل من شأنه:

(قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة ان الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد فهيأ له من مسائلك الشداد فهيأت له أربعين مسألة ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلّمت عليه فأومأ إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة الق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعناكم وربما تابعناهم وربما خالفنا جميعاً، حتى

١- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر: ١٥٩.

أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء، ثم قال أبو حنيفة: أليس ان أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) [١].

ثم بدأ أبو حنيفة يتماشى مع منهج المنصور للطعن بفضائل علي عليه السلام:

(شريك بن عبد الله القاضي، قال: حضرت الأعمش في علته التي قبض فيها، فبينا أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة و ابن أبي ليلى و أبو حنيفة، فسألوه عن حاله، فذكر ضعفا شديدا، وذكر ما يتخوف من خطيئاته، وأدركته رنة فبكى، فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا محمد، اتق الله، و انظر لنفسك، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث، لو رجعت عنها كان خيرا لك. قال الأعمش: مثل ماذا، يا نعمان؟ قال: مثل حديث عباية: "أنا قسيم النار".

قال: أو لمثلي تقول يا يهودي؟ أقعدوني سندوني أقعدوني، حدثني - والذي إليه مصيري - موسى بن طريف، ولم أر أسديا كان خيرا منه، قال: سمعت عباية بن ربعي إمام الحي، قال: سمعت عليا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا قسيم النار، أقول هذا ولي دعيه، وهذا عدوي خذيه. وحدثني أبو المتوكل الناجي، في إمرة الحجاج، وكان يشتم عليا عليه السلام شتما مقذعا - يعني الحجاج لعنه الله - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأمر الله عزوجل فأقعد أنا وعلي على الصراط، ويقال لنا: أدخلا الجنة من آمن بي وأحبكما، وأدخلا النار من كفر بي و أبغضكما. قال أبو سعيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم يتول - أو قال: لم يحب - عليا، وتلا "ألقيا في جهنم كل كفار عنيد". قال: فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه، وقال: قوموا بنا، لا يجيئنا أبو محمد بأطم من هذا.

قال الحسن بن سعيد: قال لي شريك بن عبد الله: فما أمسى - يعني الأعمش - حتى فارق الدنيا رحمه الله) [٢].

١- تهذيب الكمال، المزي: ٥ / ٧٩؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٦ / ٢٥٧ – ٢٥٨.

٢- الأمالي، الطوسي: ٦٢٨ – ٦٢٩.

مع هذا، لم يكن حال المنصور مع أبي حنيفة على ما يرام في كل الأوقات؛ لأنّه بالأصل لم يكن يرى خلافته شرعية [١]، وكان يعترض على تصرّفات المنصور بأموال المسلمين، حتى إنه لم يكن يقبل صلته أحياناً، فسأله المنصور يوماً: "لم لا تقبل صلتي؟"، فأجابه: "ما وصلني أمير المؤمنين من ماله بشيء فرددته ولو وصلني بذلك لقبلته، إنما وصلني من بيت مال المسلمين، ولا حق لي في بيت مالهم" [٢].

أيضاً: عرض المنصور على أبي حنيفة تولّي منصب القضاء فرفض، فأمر بجلده ثلاثين سوطاً فاختضب جسمه بالدم، وعاتبه عمّه عبد الصمد بن علي بن عباس قائلاً: "يا أمير المؤمنين ماذا فعلت سللت على نفسك مائة ألف سيف، فهذا فقيه أهل العراق هذا فقيه أهل المشرق"، فندم المنصور وأمر له بثلاثين ألف درهم مكان كل سوط ألف درهم فرفضها أبو حنيفة، فقيل له: خذها وتصدق بها فقال: "وعندهم شيء حلال؟ وعندهم شيء حلال" و أبى أن يقبلها [٣]!

١- روى ربيع بن يونس حاجب الخليفة المنصور أن المنصور دعا مالك و ابن أبي ذئب و أبا حنيفة وقال لهم: كيف ترون هذا الأمر الذي خولني الله تعالى فيه من أمر هذه الأمة، هل أنا لذلك أهل؟ قال مالك: "لو لم تكن أهلاً لما ولاك الله تعالى"، وقال ابن أبي ذئب: "ملك الدنيا يؤتيه الله تعالى من يشاء وملك الآخرة يؤتيه الله تعالى لمن طلبه ووفقه الله تعالى والتوفيق منك قريب إن أطعت الله تعالى وإن عصيته فبعيد وأن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى لمن وليها و أنت وأعوانك خارجون عن التوفيق عادلون عن الحق فإن سألت الله تعالى السلامة وتقربت إليه بالأعمال الزاكية كان ذلك وإلا فأنت المطلوب". قال أبو حنيفة: "كنت أنا ومالك نجمع ثيابنا مخافة أن يقطر علينا من دمه"! ثم قال المنصور لأبي حنيفة: "ما تقول أنت؟" فقال: "المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب إن أنت نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا فإنما أردت أن تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه مخافة منك ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك اثنان من أهل الفتوى، والخلافة تكون باجتماع المؤمنين ومشورتهم فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمسك عن الحكم ستة أشهر حتى جاءته بيعة أهل اليمن". فأمرهم المنصور فانصرفوا ثم أمر لهم بثلاث بدر (أكياس من المال) و اتبعهم بها وقال لحاجبه: إن أخذها مالك كلها فادفعها له وأن أخذها ابن أبي ذئب أو أبو حنيفة فجئني برأسهما، فقال ابن أبي ذئب: "ما أرضى بهذا المال له كيف أرضاه لنفسي"، وقال أبو حنيفة: "والله لو ضرب عنقي على أن أمس منه درهماً ما فعلت"، فقبله كله مالك فأعطاه له. فلما علم المنصور بذلك قال: بهذه الصيانة أحقنوا دماءهم) مناقب الإمام الأعظم، ابن البزاز الكردري: ٢ / ١٥ – ١٦.

٢- المصدر السابق: ١ / ٢١٥.

٣- المصدر السابق: ١ / ٢١٥ – ٢١٦.

علماً، أنه لما رفض تولي القضاء، تقصّد المنصور إذلاله فعيّنه في وظيفة شبيهة بعمل "مقاول بناء"، وهي ليست من اختصاصه بطبيعة الحال:

(عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء فامتنع من ذلك فحلف المنصور أن يتولى له وحلف أبو حنيفة ألا يفعل فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعدّه وأخْذ الرجال بالعمل قال: و إنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه قال: وكان أبو حنيفة المتولي لذلك حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق وكان استتمامه في سنة ١٤٩) [١].

المنصور العباسي رجل حقود وخبيث، ومهما فعل له أبو حنيفة فهو لن ينسى له موقفه السابق في تأييد ثورات الحسنيين (ثورة إبراهيم بالخصوص)، لذلك فبمجرد انتهاء غرضه منه قرّر تصفيته وقتله في سنة ١٥٠ هـ:

- (وهو الذي ضرب أبا حنيفة رحمه الله على القضاء، ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل: إنه قتله لكونه أفتى بالخروج عليه) [٢].
- (دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى الطعام فأكل منه، ثم استسقى فسقى شربة عسل مجدوحة وكانت مسمومة فمات من غد ودفن في بغداد في المقابر المعروفة بمقابر الخيزران) [٣].

لا شك، أنّ المذهب الحنفي له بدايات تعود إلى أواخر الحكم الأموي، لكنه بالتأكيد ترعرع وتوسع أكثر في زمن العباسيين، وفي زمن المنصور بالتحديد، تماماً كما رعى مشروع مالك بن أنس في تأليف موطئه، وشيئاً فشيئاً أصبح لكل من مالك و أبي حنيفة مذهب فقهي خاص به يتناول فتاواه وآراءه، وكان الغرض من التأسيس والرعاية – كما ذكرنا – مزاحمة الإمام الصادق وسحب الصدارة عنه والتشويش على علمه بمذاهب وآراء مسنودة من السلطة الحاكمة التي تسعى جاهدة للاستغناء عن صاحب الدين الحقيقي

١- تاريخ الطبري: ٦ / ٢٣٨.

٢- تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٠٧.

٣- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٤٤.

تماماً! هذا، مع أنّ الجميع كان يفتخر بجلوسه في مجلسه والتعلم منه، وقد تقدم نقل كلمات مالك و أبي حنيفة وغيرهم بحق الإمام الصادق عليه السلام، بل ذكر بعضهم أنّ الفقيه أبا يزيد "البسطامي" كان سقاءً في دار الإمام [١]، وأنّ إبراهيم بن أدهم ومالك بن دينار كانا من غلمانه [٢].

(عن نوح بن دراج قال: قلت لابن أبي ليلى: أكنت تاركاً قولاً قلته أو قضاء قضيته لقول أحد؟ قال: لا إلا رجل واحد، قلت: من هو؟ قال: جعفر بن محمد عليه السلام) [٣].

وأما بالنسبة إلى المذهبين الآخرين، أعني: الشافعي و ابن حنبل، فهما من تلاميذ تلاميذ أبي حنيفة، وبالنتيجة: الكل مدين للإمام جعفر الصادق صلوات الله عليه وإلى جده أمير المؤمنين صلوات الله عليه في نهاية المطاف:

قال ابن أبي الحديد: (ومن العلوم: علم الفقه، وهو (الإمام علي) عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الاسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، و أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الامر إلى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة) [٤].

١- قال الإيجي: (... حتى كان أبو يزيد "البسطامي" سقاء في دار جعفر الصادق رضي الله عنه ومعروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا) المواقف: ٣ / ٦٢٨.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٢٩.

٣- تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٢٩٢.

٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٨.

تنبيه:

نحن لما نذكر تأسيس المنصور العباسي للمذاهب، فهذا لا يعني أنّ أثره التخريبي لدين الله يقتصر على الجانب الفقهي وحسب، وإنما كان لديه مساعٍ حثيثة في الجانب العقائدي للدين أيضاً، فهو قد أشرف بنفسه على مشروع شيطاني خبيث يقوم على أُسس محرّفة وباطلة، منها: رفع مكانة العباس بن عبد المطلب، وأنه أولى بوراثة الرسول من أبناء بنته [١]، وانبرى كحاطب ليل يجمع ما طاله فأسه لتلفيق فضائل من هناك وهناك يزعم أنها كافية في إثبات شرعية خلافة جده العباس وذريته، من قبيل: إنّ خروج العباس مع مشركي بدر كان مكرمة له (ولا أعرف كيف!)، وأنه فدا عقيل بن أبي طالب من الأسر فصار بذلك أولى بالحق من آل أبي طالب، وأنّ النبي لما مات لم يكن هناك من بني عبد المطلب غير العباس عمّه فصار أولى بخلافته! ونحو ذلك من باطل وتحريف بيّن [٢]؛ باعتبار أننا لما نعتقد بإمامة الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام فليس لأنهم من آل أبي طالب ليزعم المنصور أنّ آل العباس مساوون لهم في هذا الحق أو أولى به منهم، وإنما لأجل النص عليهم بأسمائهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، الرسول الذي يفترض أنّ المنصور يؤمن به ويدعي خلافته له! وهذا الأمر – أعني النص – لا يملكه العباس ولا بنوه ولا غيرهم بما في ذلك بقية الطالبيين من غير الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم المشخّصين بأسمائهم.

وعموماً، بالتأكيد سيجد المنصور من يخدمه في مشروعه التحريفي من لاعقي الموائد ومن يقتاتون على فتاتها فوضعوا له الأحاديث الملفّقة في العباس وبنيه، فمثلاً: وضع بعضهم أنّ النبي (وحاشاه) قال: "العباس مني وأنا منه" على طريقة "حسين مني

١- قال المنصور في أحد كتبه لمحمد بن عبد الله بن الحسن: (أما بعد فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والأولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به) تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٧؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٩٨.

٢- يمكن الاطلاع على حجج وتقولات المنصور العباسي هذه وغيرها في بعض كتبه ورسائله، انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٤ – ١٩٩.

و انا من حسين"؛ الحديث الذي صح عن الرسول صلى الله عليه وآله، حتى قال الذهبي: "وقد اعتنى الحفّاظ بجمع فضائل العباس رعاية للخلفاء" [١]!

في مقابل هذا، كان لدى المنصور سعي حثيث للانتقاص من أمير المؤمنين [٢] وإخفاء فضائله وفضائل آل محمد عليهم السلام عموماً، ولذا رأينا إحجام مالك عن الرواية عن أمير المؤمنين في موطّئه!

المنصور يؤسس لتقديس الصحابة وعدم جواز القدح فيهم:

بغضاً بآل محمد عليهم السلام، صاغ المنصور في وقت متأخر من حكمه مرسوماً يقضي بذكر الشيخين (أبي بكر، وعمر) والترضي عليهم في خطب الجمعة؛ إذ يؤثَر عنه أنه قال: "والله لأرغمن أنفي و أنوفهم، ولأرفعن عليهم بني تيم وعدي" [٣].

ثم شيئاً فشيئاً تحوّلت مسألة الترضي إلى عدم جواز انتقادهما أو الإساءة لهما، فأصدر مالك بن أنس فتواه الشهيرة – التي يبدو أنها كانت بتوجيه من المنصور نفسه، وإلا لما سمح لها بالمرور أصلاً – القاضية بجلد من يسب الشيخين وقتل من يسب عائشة:

(هشام بن عمار قال: سمعت مالك بن أنس يقول من سب أبا بكر وعمر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال: لان الله تعالى يقول في عائشة رضي الله

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢ / ٩٩.

٢- على سبيل المثال: خطب المنصور يوماً بأهل خراسان، وذكر علياً عليه السلام فقال: (... فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين فافترقت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة ثم وثبت عليه شيعته و أنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ...) تاريخ الطبري: ٦ / ٣٣٤. كذب المنصور وخبثه في كلامه هذا واضح؛ فعلي عليه السلام لم تتلطخ يداه بدماء المسلمين، وحاشاه، بل من خرج عليه خرج على إمام معصوم منصوص عليه، فالتلطخ والسوء بوجه من خرج عليه! على أنّ ذلك كان بإخبار الرسول له في قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين، كما صح في كتب المسلمين. أما بالنسبة إلى قتلته، فمن قتل علياً صلوات الله عليه هو ابن ملجم لعنه الله، وهو من الخوارج لعنهم الله وليس من شيعته وثقاته.

٣- الصراط المستقيم، العاملي: ٣ / ٢٠٤.

عنها: "يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين" قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل) [١].

ثم بمرور الوقت، تلقّف البعض "الكرة" التي دحرجها المنصور العباسي، فوسّع الأمر أكثر وشمل كل الصحابة، كفتوى القاضي أبي يعلى الحنبلي (٣٨٠ – ٤٥٨ هـ) التي نقلها السبكي في فتاويه، قال: (وروي عن مالك رضي الله عنه من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل. وقال أحمد بن حنبل فيمن سب الصحابة أما القتل فأجبن عنه ولكن أضربه ضرباً نكالاً. وقال أبو يعلى الحنبلي الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلاً لذلك كفر وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر قال: وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة) [٢].

أما اليوم، فقد تحولت "بدعة" المنصور العباسي إلى "دين" يدين به الكثير، وخصوصاً المتعصبين كالسلفيين ومن على شاكلتهم.

إجرام المنصور بحق العلويين وشهادة الإمام الصادق(ع):

إجرام المنصور بحق العلويين:

مرَّ بنا سابقاً شيء من إجرام المنصور العباسي بحق العلويين، وهذا مثال لإجرامه:

(لما بني المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ويجعل من ظفر منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والاجر فظفر ذات يوم بغلام متهم حسن الوجه عليه شعر اسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسلمه إلى البنّاء الذي كان يبني له وأمره أن يجعله في جوف أسطوانة ويبني عليه ووكل عليه من ثقاته من يراعي ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشهده فجعله البنّاء في جوف أسطوانة فدخلته رقة عليه ورحمه له فترك الأسطوانة فرجة يدخل منها الروح فقال للغلام: لا بأس عليك

١- المحلى، ابن حزم: ١١ / ٤١٥.

٢- فتاوي السبكي، تقي الدين السبكي: ٢ / ٥٨٠.

فاصبر فأني سأخرجك من جوف هذه الأسطوانة إذا جنَّ الليل فلما جن الليل جاء البنّاء في ظلمة فأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيب شخصك فأني إنما أخرجتك ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأني خفت إن تركتك في جوفها أن يكون جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة خصمي بين يدي الله عز وجل ثم أخذ شعره بآلات الجصاصين كما أمكن وقال: غيب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أمك فقال الغلام: فإن كان هذا هكذا فعرف أمي أني قد نجوت وهربت لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها. وان لم يكن لعودي إليها وجه فهرب الغلام ولا يُدرى أين قصد من وجه أرض الله تعالى ولا إلى أي بلد وقع؟! قال ذلك البناء: وقد كان الغلام عرّفني مكان أمه وأعطاني العلامة فأنهيت إليها في الموضع الذي دلّني عليه فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء فعلمت أنها أمه فدنوت منها وعرّفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره و انصرفت) [1].

حتى إنه لما أراد الحج أوصى لابنه "المهدي" أن يسير بسيرته مع العلويين:

(لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً الا المهدي ولا هي الا أن يصح عندما موته فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان) [2].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ١٠٢.

٢- تاريخ الطبري: ٦ / ٣٤٣ – ٣٤٤.

و أيضاً: المنصور – لعنه الله – يعترف بقتله ألف نفس علوية، ويتمنّى القضاء على الإمام الصادق عليه السلام بأي طريقة:

(محمد بن الاسقنطري قال: كنت من خواص المنصور أبي جعفر الدوانيقي، وكنت أقول بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام -، فدخلت يوما على أبي جعفر الدوانيقي، وإذا هو يفرك يديه، ويتنفس تنفساً بارداً، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إني قتل من ذرية فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله - ألفا أو يزيدون وقد تركت سيدهم المشار إليه، فقلت له: ومن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد، فقلت له: إن جعفر بن محمد - عليه السلام - رجل قد أنحلته العبادة واشتغل بالله عما سواه وعما في أيدي الملوك، فقال: يا محمد قد علمت بأنك تقول بإمامته، والله إنه لإمام هذا الخلق كلهم، ولكن الملك عقيم، وآليت على نفسي أن لا أمسي أو أفرغ منه. .....) [١].

شهادة الإمام الصادق(ع):

المنصور العباسي منذ لحظة توليه الخلافة بعد هلاك أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ ولم تبارح مخيلته فكرة الخلاص من الإمام الصادق صلوات الله عليه، وكان قد وضع العيون والجواسيس لمراقبة حركات الإمام وتصرفاته:

(عن أبي القاسم الأصفهاني أنه دخل عليه سفيان الثوري، فقال عليه السلام: أنت رجل مطلوب وللسلطان علينا عيون فأخرج عنا غير مطرود) [٢].

و أيضاً: مرَّبنا كيف أنّ المنصور أمر واليه على المدينة بحرق بيت الإمام الصادق عليه السلام، و أنجاه الله من محاولة قتلهم له.

١- مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٥ / ٢٤١.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٧٣. "رجل مطلوب": أي معروف ومشهور بين الناس.

وحقيقة، ما يهم الإمام الصادق عليه السلام هو إنجاز مراد الله و إتمام رسالته، وهذا يتطلب بطبيعة الحال عدم منح الطاغية مبرر الاستعجال بالقضاء عليه، ولولا حكمة الإمام لقضى عليه المنصور منذ لحظة توليه. ومع هذا، كانت لديه عدة محاولات لقتل الإمام، منها:

- (عن الربيع حاجب المنصور قال: لما استوت الخلافة لأبي جعفر المنصور قال لي يا ربيع قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به قال ففتحت من بين يديه وقلت أي بلية يريد أن يفعل وأوهمته أن أفعل ثم أتيته بعد ساعة فقال لي ألم أقل لك أن تبعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به والله لأقتلنه فلم أجد بدّاً من ذلك فدخلت إليه فقلت يا أبا عبد الله أجب أمير المؤمنين فقام معي مسرعاً فلما دنونا إلى الباب قام يحرك شفتيه ثم دخل فسلّم فلم يرد عليه ووقف فلم يجلسه ثم رفع رأسه إليه فقال يا أبا جعفر أنت ألبت علينا وكثرت وعذرت وحدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة فقال جعفر بن محمد حدثني أبي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادي يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه فما زال يقول حتى سكن ما به ولان له فقال اجلس يا أبا عبد الله ارتفع أبا عبد الله ثم دعا مدهن فيه غالية فعلقه بيده والغالية تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين المنصور ثم قال انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وقال لي يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته ...) [١].

- (عن الربيع صاحب المنصور، قال: بعث المنصور إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يستقدمه لشئ بلغه عنه، فلما وافى بابه خرج إليه الحاجب فقال: أعيذك بالله من سطوة هذا الجبار، فإني رأيت حرده (غضبه) عليك شديداً، فقال الصادق عليه السلام: عليّ من الله جنة و اقية تعينني عليه إن شاء الله، استأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلّم فرد عليه السلام، ثم قال له: يا جعفر، قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبيك علي بن أبي طالب: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح، لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من تراب قدميك، يستشفون به.

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٨ / ٨٨.

وقال علي عليه السلام: يهلك في اثنان ولا ذنب لي: محب غال، ومفرط قال قال ذلك اعتذاراً منه أنه لا يرضى بما يقول فيه الغالي والمفرط، ولعمري إن عيسى بن مريم عليه السلام لو سكت عما قالت فيه النصارى لعذبه الله، ولقد تعلم ما يقال فيك من الزور والبهتان، وإمساكك عن ذلك ورضاك به سخط الديان، زعم أوغاد الحجاز ورعاع الناس أنك حبر الدهر وناموسه، وحجة المعبود وترجمانه، وعيبة علمه وميزان قسطه، مصباحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة إلى ضياء النور، وأن الله لا يقبل من عامل جهل حدك في الدنيا عملا، ولا يرفع له يوم القيامة وزنا، فنسبوك إلى غير حدك، وقالوا فيك ما ليس فيك، فقل فإن أول من قال الحق جدك، وأول من صدقه عليه أبوك، و أنت حري أن تقتص آثارهما وتسلك سبيلهما.

فقال الصادق عليه السلام: أنا فرع من فروع الزيتونة، وقنديل من قناديل بيت النبوة، وأديب السفرة، وربيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور وصفو الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر.

فالتفت المنصور إلى جلسائه، فقال: هذا قد أحالني على بحر مواج لا يدرك طرفه، ولا يبلغ عمقه، يحار فيه العلماء، ويغرق فيه السبحاء، ويضيق بالسابح عرض الفضاء، هذا الشجى المعترض في حلوق الخلفاء، الذي لا يجوز نفيه، ولا يحل قتله، ولولا ما يجمعني و إياه شجرة طاب أصلها، وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذر، وقدست في الزبر، لكان مني إليه ما لا يحمد في العو اقب لما يبلغني من شدة عيبه لنا وسوء القول فينا.

فقال الصادق عليه السلام: لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فإن النمام شاهد زور وشريك إبليس في الاغراء بين الناس، وقد قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين". ونحن لك أنصار وأعوان، وللملك دعائم وأركان، ما أمرت بالعرف والاحسان، وأمضيت في الرعية أحكام القرآن، وأرغمت بطاعتك لله أنف الشيطان، وإن كان يجب عليك في سعة فهمك وكثرة علمك ومعرفتك بآداب الله أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإن المكافي ليس بالواصل، إنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها، فصل رحمك يزد الله في عمرك، ويخفف عنك الحساب يوم حشرك.

فقال المنصور: قد صفحت عنك، لقدرك، وتجاوزت عنك لصدقك، ...) [١].

• (عن الربيع صاحب المنصور قال: حججت مع أبي جعفر المنصور فلما كان في بعض الطريق قال لي المنصور: يا ربيع إذا نزلت المدينة فاذكرلي جعفربن محمد بن علي بن الحسين بن علي فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري احذرتدع أن تذكرني به، قال: فلما صرنا إلى المدينة أنساني الله عزوجل ذكره قال: فلما صرنا إلى مكة قال لي: يا ربيع ألم آمرك أن تذكرني بجعفربن محمد إذا دخلنا المدينة؟ قال: فقلت: نسيت ذلك يا مولاي يا أمير المؤمنين قال: فقال لي: إذا رجعت إلى المدينة فاذكرني به، فلا بد من قتله فإن لم تفعل لأضربن عنقك فقلت: نعم يا أمير المؤمنين ثم قلت لغلماني وأصحابي: اذكروني بجعفربن محمد إذا دخلنا المدينة إن شاء الله تعالى فلم يزل غلماني وأصحابي يذكروني به في كل وقت ومنزل ندخله وننزل فيه حتى قدمنا المدينة فلما نزلنا بها دخلت إلى المنصور فوقفت بين يديه وقلت له: يا أمير المؤمنين جعفربن محمد!

قال: فضحك وقال لي: نعم اذهب يا ربيع فائتني به ولا تأتني به إلا مسحوباً قال: فقلت له: يا مولاي يا أمير المؤمنين حبا وكرامة، و أنا أفعل ذلك طاعة لأمرك قال: ثم نهضت و أنا في حال عظيم من ارتكابي ذلك قال: فأتيت الإمام الصادق جعفربن محمد عليهما السلام وهو جالس في وسط داره فقلت له: جعلت فداك إن أمير المؤمنين يدعوك إليه فقال لي: السمع والطاعة، ثم نهض وهو معي يمشي قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إنه أمرني أن لا آتيه بك إلا مسحوبا قال: فقال الصادق: امتثل يا ربيع ما أمرك به، قال: فأخذت بطرف كمه أسوقه إليه، فلما أدخلته إليه رأيته وهو جالس على سريره، وفي يده عمود حديد يريد أن يقتله به، ونظرت إلى جعفرعليه السلام وهو يحرك شفتيه، فلم أشك أنه قاتله، ولم أفهم الكلام الذي كان جعفريحرك شفتيه به، فوقفت أنظرإليهما.

قال الربيع: فلما قرب منه جعفربن محمد قال له المنصور: ادن مني يا ابن عمي، وتهلل وجهه، وقربه منه، حتى أجلسه معه على السرير، ثم قال: يا غلام ائتني بالحقة فأتاه بالحقة فإذا فيها قدح الغالية فغلفه منها بيده، ثم حمله على بغلة، وأمرله ببدرة وخلعة، ثم أمره بالانصراف قال: فلما نهض من عنده، خرجت بين يديه حتى وصل إلى منزله فقلت

١- الأمالي، الصدوق: ٧٠٩ – ٧١١.

له: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله إني لم أشك فيه ساعة تدخل عليه يقتلك، ورأيتك تحرك شفتيك في وقت دخولك، فما قلت؟ قال لي: نعم يا ربيع اعلم أني قلت "حسبي الرب من المربوبين" الدعاء) [١].

عدد المرات التي أمر المنصور فيها بحمل الإمام الصادق من المدينة إليه في العراق كانت كثيرة، وكان صفوان الجمال الحامل له في أحد المرات:

- (عن صفوان الجمال قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة و أبو جعفر المنصور بها فلما أشرف على الهاشمية مدينة أبي جعفر أخرج رجله من غرز الرجل ثم نزل ودعى ببغلة شهباء ولبس ثياب بيض وكمة (قلنسوة) بيضاء فلما دخل عليه قال له أبو جعفر: لقد تشبهت بالأنبياء فقال أبو عبد الله عليه السلام: و أنى تبعدني من أبناء الأنبياء فقال: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ويسبي ذريتها فقال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال رفع إليّ أن مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال فقال: والله ما كان، فقال: لست أرضى منك إلا بالطلاق والعتاق والهدي والمشي فقال: أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف أنه من لم يرض بالله فليس من الله في شئ؟ فقال أتتفقه علي فقال: و أنى تبعدني من الفقه و أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: فإني أجمع بينك وبين من سعى بك قال: فافعل فجاء الرجل الذي سعى به فقال له أبو عبد الله: يا هذا فقال: نعم والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ويلك تمجد الله فيستحيي من تعذيبك ولكن قل: برءت من حول الله وقوته وألجئت إلى حولي وقوتي فحلف بها الرجل فلم يستتمها حتى وقع ميتاً، فقال له أبو جعفر: لا أصدق بعدها عليك أبداً وأحسن جائزته وردّه) [٢].

وروي أنّ الاستدعاء التاسع أراد قتله هو وولده موسى بن جعفر عليهما السلام:

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ – ١٩٠ – ١٩١.

٢- الكافي، الكليني: ٦ / ٤٤٥ – ٤٤٦.

- (ومن ذلك ما احتجب به الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه لما بعث المنصور إليه إلى المدينة ليقتله وهي المرة التاسعة رويناها من كتاب الخصائص للحافظ أبي الفتح محمد بن أحمد بن علي النطنزي ... عن قيس بن الربيع قال حدثني أبي الربيع قال دعاني المنصور يوماً قال أما ترى ما هو هذا يبلغني عن هذا الحبشي قلت ومن هو يا سيدي قال جعفر بن محمد والله لأستأصلن شأفته ثم دعا بقائد من قواده فقال انطلق إلى المدينة في ألف رجل فاهجم على جعفر بن محمد وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر في مسيرك فخرج القائد من ساعته حتى قدم المدينة وأخبر جعفر بن محمد فأمر فأتى بناقتين فأوثقهما على باب البيت ودعا بأولاده موسى وإسماعيل ومحمد وعبد الله فجمعهم وقعد في المحراب وجعل يهمهم قال أبو نصر فحدثني سيدي موسى بن جعفر أنّ القائد هجم عليه فرأيت أبي وقد همهم بالدعاء فأقبل القائد وكل من كان معه قال خذوا رأسي هذين القائمين فاجتزوا رأسهما ففعلوا و انطلقوا إلى المنصور فلما دخلوا عليه أطلع المنصور في المخلاة التي كان فيها الرأسان فإذا هما رأسا ناقتين فقال المنصور وأي شيء هذا قال يا سيدي ما كان بأسرع من أن دخلت البيت الذي فيه جعفر بن محمد فدار رأسي ولم أنظر ما بين يدي فرأيت شخصين قائمين خيل إلي أنهما جعفر وموسى ابنه فأخذت رأسيهما فقال المنصور اكتم عليّ فما حدثت به أحداً حتى مات ...) [1].

وبمناسبة ذكر الأدعية التي كان الإمام الصادق يقرأها عند دخوله على المنصور العباسي نقل بعض المحدثين والمؤرخين أكثر تلك الاستدعاءات التي كان المنصور يهدف بها قتل الإمام، لكن الله سبحانه ينجيه في كل مرة، وفيما ذكرناه كفاية. وبعضهم – كابن طاووس – كان يرقم الاستدعاءات بالمرة الثانية والثالثة وهكذا وصولاً إلى العاشرة، وربما هي أكثر، وهذا يكشف عن حجم الظلم الذي لاقاه الإمام الصادق من الطاغية المجرم.

وفي إحدى المرات، استغل الإمام الصادق فرصة استدعائه إلى العراق فزار جده أمير المؤمنين بالنجف، ودلّ بعض الخواص على قبره بعد أن كان مجهولاً طيلة ما سبق:

١- مهج الدعوات ومنهج العبادات، ابن طاووس: ٢١٤ – ٢١٥.

- (عن صفوان الجمال قال: حملت جعفر بن محمد عليهما السلام فلما انتهيت إلى النجف قال: يا صفوان: تياسر حتى نجوز الحيرة فنأتي القائم [١]. قال: فبلغت الموضع الذي وصف لي فنزل فتوضأ ثم تقدم هو وعبد الله بن الحسن فصليا عند قبر فلما فرغا قلت: جعلت فداك أي موضع هذا القبر؟ قال هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام وهو القبر الذي يأتيه الناس هناك) [٢].
- (فلم يزل قبره عليه السلام مخفي حتى دل عليه الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في الدولة العباسية، وزاره عند وروده إلى أبي جعفر - وهو بالحيرة - فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته) [٣].

ولما كنّا في عالم امتحان اقتضت سنة الله فيه أن يكون الموت هو الخاتمة الحتمية لكل إنسان، كتب سبحانه أن تختم حياة وليه الصادق مقتولاً بسمِّ الطاغية المجرم، فقضي شهيداً مظلوماً في ٢٥ شوال سنة ١٤٨ هـ بعمر ٦٥ عاماً بعد أن أنجز رسالته المطلوب منه إنجازها على أتم وجه ممكن، وكان قد أوصى قبل وفاته إلى خمسة؛ أحدهم المنصور العباسي نفسه، وبهذا فوّت الإمام على الطاغية غرضه الخبيث، وتلك هي حكمة آل محمد التي شاء الله أن ينجز بهم مراده ويتم بهم دينه، والله أعلم حيث يجعل رسالته!

(عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلما سلمت عليه رمى بالكتاب إلي وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله و إنا إليه راجعون - ثلاثا - و أين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة وأحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة.

١- ربما بناء أو أسطوانة موجودة في ذلك الوقت.

٢- الغارات، الثقفي: ٢ / ٨٥٠ – ٨٥١.

٣- الإرشاد، المفيد: ١ / ١٠.

... عن النضر بن سويد بنحو من هذا إلا أنه ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور وعبد الله وموسى ومحمد بن جعفر ومولى لأبي عبد الله عليه السلام قال: فقال أبو جعفر: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل) [1].

واضح أنّ السبب في تصرف الإمام هو التمويه على الطاغية "المنصور" والاحتياط لحفظ حياة وصيه من بعده؛ لئلا تخلو الأرض من حجة، وهذا يؤكد شدة الظروف الأمنية والظلم الذي قاساه الإمام في أواخر حياته الشريفة بعد أن استتب الوضع للمنصور وأحكم قبضته على كرسي الخلافة وقضى على منافسيه وأخمد كل حركات التمرد التي كانت موجودة، فعاد الوضع شبيهاً بأيام غطرسة وقسوة الحكم الأموي تماماً، وأعان الله ولده موسى بن جعفر عليه السلام على أداء رسالته في ظرف شبيه بظرف جده زين العابدين عليه السلام!

رحل الإمام الصادق صلوات الله عليه وغصّة مصيبة جده الحسين لا تبارح قلبه:

(عن عبد الله بن حماد البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: ان عندكم - أو قال: في قربكم - لفضيلة ما أوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وان لها لأهلاً خاصة قد سموا لها، وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، الا ما كان من صنع الله لهم وسعادة حباهم الله بها ورحمة ور أفة وتقدم.

قلت: جعلت فداك وما هذا الذي وصفت ولم تسمه، قال: زيارة جدي الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله، في ارض فلاة لا حميم قربه ولا قريب، ثم منع الحق وتوازر عليه أهل الردة، حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيته به وبأهل بيته، فأمسي مجفواً في حفرته، صريعاً بين قر ابته، وشيعته بين اطباق

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٠ – ٣١١.

التراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذي لا يأتيه الا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا.

فقلت له: جعلت فداك قد كنت آتيه حتى بليت بالسلطان وفي حفظ أموالهم و انا عندهم مشهور، فتركت للتقية اتيانه و انا اعرف ما في اتيانه من الخير، فقال: هل تدري ما فضل من أتاه وما له عندنا من جزيل الخيرفقلت: لا، فقال: اما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ما له عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء. ولقد حدثني أبي انه لم يخل مكانه منذ قتل من مصلي يصلي عليه من الملائكة أو من الجن أو من الانس أو من الوحش، وما من شئ الا وهو يغبط زائره ويتمسح به ويرجو في النظر إليه الخيرلنظره إلى قبره. ثم قال: بلغني أن قوما يأتونه من نواحي الكوفة وناسا من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت له: نعم جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهدرونهم ويقبحون ما يصنعون) [1].

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٥٣٧ – ٥٣٩. يهدرونهم: أي يهدرون دمهم.

(٤)

الإمام الكاظم صبرٌ حسينيٌ جميل

المكان: المدينة المنورة، بغداد
العمر: ٥٥ عاماً (١٢٨ – ١٨٣ هـ)
مدة الإمامة: ٣٥ عاماً

رابع الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الملّقب بـ "الكاظم"؛ لشدة كظمه للغيظ، وله ألقاب أخرى كما سيتضح.

وكان يُكنّى بعدة كنى أشهرها: أبو الحسن [١]، أبو إبراهيم، أبو علي.

ولد في الأبواء (قرب المدينة) في السابع من صفر عام ١٢٨ هـ بعد رجوع الإمام الصادق عليه السلام من الحج حيث رافقته زوجته "حميدة" أم الإمام الكاظم عليه السلام وكانت مقرباً به، فسُرَّ بولادته أيّما سرور، وقال لمن كان معه من أصحابه: "قد وهب لي غلاماً وهو خير من برأ الله في خلقه ..... فدونكم فهو والله صاحبكم من بعدي" [٢].

كان الإمام الصادق عليه السلام يحب ولده "موسى" حبّاً جمّاً:

(وقيل له عليه السلام: ما بلغ بك من حبّك موسى؟ قال: وددت أن ليس لي ولد غيره حتى لا يشركه في حبي له أحد) [٣].

١- أحياناً يذكر الإمام الكاظم في الروايات بعنوان: أبو الحسن الأول أو أبو الحسن الماضي؛ للتمييز بينه وبين ولده الرضا عليه السلام الذي يكنى بأبي الحسن أيضاً ويذكر أحياناً بعنوان أبو الحسن الثاني. و أيضاً: الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام يكنى بأبي الحسن، ولذا يذكر أحياناً بعنوان: أبو الحسن الثالث.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٥ – ٣٨٦.

٣- بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٢٠٩.

إمامة الكاظم(ع) وألقابه وحزنه على كربلاء:

النص على إمامته:

النص على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يمكن ملاحظته بصورتين:

١- نص الرسول صلى الله عليه وآله عليه، وهذا واضح في وصيته التي تقدمت، حيث ورد فيها: "فإذا حضرته (أي: الصادق) الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم" [١].

٢- نص الإمام الصادق عليه، وهي نصوص كثيرة، تقدم ذكر قسم منها [٢]، وهذا قسم آخر:

- (عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا صاحبكم، فتمسك به) [٣].

- (عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم عليه السلام وهو غلام، فقال: استوص به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك) [٤].

- (عن ابن مسكان عن سليمان بن خالد قال دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام (الكاظم) يوماً ونحن عنده فقال لنا: عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي) [٥].

١- الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

٢- انظر: بحث: البداء – توضيح ودفع شبهة.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٧.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٨.

٥- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٠.

• (عن فيض بن المختار قال: إني لعند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل أبو الحسن موسى عليه السلام - وهو غلام - فالتزمته وقبلته، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أنتم السفينة وهذا ملاحها، قال: فحججت من قابل ومعي ألفا دينار فبعثت بألف إلى أبي عبد الله عليه السلام وألف إليه، فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا فيض عدلته بي؟ قلت: إنما فعلت ذلك لقولك، فقال: أما والله ما أنا فعلت ذلك، بل الله عزوجل فعله به) [١].

• (عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إن كان كون - ولا أراني الله ذلك - فبمن أئتم؟ قال: فأومأ إلى ابنه موسى عليه السلام قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده حدث وترك أخاً كبيراً و ابناً صغيراً فبمن أئتم؟ قال: بولده، ثم قال: هكذا أبدا، قلت: فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه؟ قال: تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الامام الماضي، فإن ذلك يجزيك إن شاء الله) [٢].

ملاحظة: الرواية تؤكد أنّ الإمامة بعد الحسين صلوات الله عليه لا تنتقل في "أخوين" إلى يوم القيامة، و إنما تكون في الأعقاب (الذرية) دائماً و أبداً، أي: أب فابن ... وهكذا، حتى آخر وصي من أوصياء محمد صلى الله عليه وآله، قال تعالى: "ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" آل عمران: ٣٤.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١١.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٩.

ألقابه وما قيل فيه:

بعض ألقابه:

للإمام الكاظم صلوات الله عليه ألقاب كثيرة، وواضح أنّ أشهرها هو "الكاظم"؛ لأنه لقب خصّه به جده الرسول صلى الله عليه وآله كما رأيناه في وصيته ليلة وفاته.

ابن الأثير: (وكان يلقب الكاظم؛ لأنه كان يحسن إلى من يسيء إليه كان هذا عادته أبداً) [١].

ومن ألقابه أيضاً: "الصابر"؛ لُقّب به لشدة صبره، و"الزاهر"؛ لسمو أخلاقه، و"العبد الصالح"؛ لكثرة عبادته، وهذا اللقب ورد ذكره في الروايات كما لاحظناه في وصية "الخواتيم" المتقدمة، حيث قال معاذ بن كثير للإمام الصادق عليه السلام: (..... فقلت: أسأل الله الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات، قال: قد فعل الله ذلك يا معاذ، قال: فقلت: فمن هو جعلت فداك؟ قال: هذا الراقد - وأشار بيده إلى العبد الصالح - وهو راقد) [٢].

ومن ألقابه أيضاً: "باب الحوائج":

هذا اللقب لا تقتصر شهرته عند شيعة آل محمد عليهم السلام فحسب، ولكن مؤداه مشهور عند بقية المسلمين أيضاً، بل عند بعض أئمتهم:

- شيخ الحنابلة؛ الحسن بن إبراهيم الخلال يقول: (ما أهمني أمر، فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهّل الله لي ما أحب) [٣].

١- الكامل في التاريخ: ٦ / ١٦٤.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠. العبد الصالح: أي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٩ / ٨٩.

- الشافعي: (قبر موسى الكاظم الترياق المجرّب) [١].

الترياق المجرب: أي العلاج الناجع في شفاء الأمراض والسموم، والمعنى: أنّ قبر الإمام الكاظم عليه السلام مكان يستجيب الله فيه الدعاء وتُقضى فيه حوائج السائلين.

ما قاله الشافعي وشيخ الحنابلة (أبو علي الخلال) يشير إلى مشروعية زيارة أضرحة الأولياء ويكشف عن أنّ سيرة عموم المسلمين قائمة على ذلك، وهي صفعة واضحة لعقيدة الوهابيين وبدعتهم القائمة على تكفير من يتقرّب إلى الله بزيارة أضرحة الأولياء.

بعض الشهادات بحق الكاظم(ع):

خير من يعرف الابن أباه، فما بالك إذا كان الأب إمام معصوم! قال الإمام الصادق عليه السلام في وصف ولده الكاظم عليه السلام:

- "خير من برأ الله في خلقه" [٢].
- "وقد علم الحكم والفهم والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس، وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم وفيه حسن الخلق وحسن الجواب وهو باب من أبواب الله عزوجل وفيه أخرى خير من هذا كله ..." [٣].

فضل الإمام الكاظم صلوات الله عليه عند شيعته ومحبيه واضح ولا أعتقد أنه بحاجة إلى بيان بعد اعتقادهم بأنه إمام معصوم وأحد أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا سأقتصر على نقل بعض شهادات علماء المسلمين (السنة) وهي تعرّف بشخصية الإمام وتشير إلى عظيم شأنه وبعض خصاله وألقابه ومزاياه:

١- حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ١ / ١٨٩؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٣١٨.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٥ – ٣٨٦.

٣- الكافي: ١ / ٣١٤. ويقصد الإمام بالميزة التي فاقت بقية المزايا بقوله: "وفيه أخرى خير من هذا كله" هي: إنجابه للإمام الرضا عليه السلام.

١- محمد بن طلحة الشافعي: (هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجدا وقائما، ويقطع النهار متصدقا وصائما، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظما، كان يجازى المسيء بإحسانه إليه ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول) [١].

٢- الخطيب البغدادي: (كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده. روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في أول الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظيم الذنب عندي فليحسن العفو عندك. يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يرددها حتى أصبح، وكان سخيا كريما، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصر الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة. وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى) [٢].

٣- ابن الجوزي: (موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ويلقّب بالكاظم والمأمون والطيّب والسيّد، وكنيته أبو الحسن، ويدعى بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل) [٣].

٤- ابن الصباغ المالكي: (وأمّا مناقبه وكراماته الظاهرة وفضائله وصفاته الباهرة تشهد له بأنه افترع منه الشرف وعلاها وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها، وذللت له كواهل السيادة فركبها وامتطاها، وحكم في غنائم المجد فأختار صفاياها فاصطفاها) [٤].

١- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٤٧.

٢- تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٩.

٣- تذكرة الخواص: ٣٤٨.

٤- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ٩٣٧.

٥- القرماني: (هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج لأنه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة قط ... وكان له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة افترع قمة الشرف وملاها، وسما إلى اوج المزايا فبلغ عُلاها) [١].

٦- الذهبي: (وقد كان موسى من أجواد الحكماء ومن العباد الأتقياء. وله مشهد معروف ببغداد) [٢].

٧- اليافعي: (السيد أبو الحسن موسى الكاظم ولد جعفر الصادق، كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر، وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين في اعتقاد الإمامية، وكان يدعى بالعبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخيا كريما، كان يبلغه عن الرجل أن يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيهما ألف دينار) [٣].

٨- الهيتمي: (موسى الكاظم وهو وارثه علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم) [٤].

٩- الزركلي: (موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد) [٥].

صُرر الإمام الكاظم التي كان يبعث بها إلى الفقراء والمساكين صارت مضرباً للأمثال، حتى قيل:

١- أخبار الدول و آثار الأُول: ١١٢.

٢- ميزان الاعتدال: ٤ / ٢٠٢.

٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٣٠٥.

٤- الصواعق المحرقة: ٢٠٣.

٥- الأعلام: ٧ / ٣٢١.

- "عجباً لمن جاءته صرّة موسى فشكا القلة" [١].
- "فكانت صرار موسى مثلاً" [٢].

وكيف لا يكون كذلك، وهو ابن من كان يجلس مع الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويدعوهم إلى بيته ليطعمهم:

(عن مسعدة بن صدقة قال: مر الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءا لهم فألقوا عليه كسراً فقالوا: هلم يا بن رسول الله، فثنى وركه فأكل معهم، ثم تلا "ان الله لا يحب المستكبرين" ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله وتعمى عين، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدخرين) [٣].

حزنه على مصيبة جده الحسين(ع):

يصف الإمام الرضا عليه السلام حزن أبيه الكاظم عليه السلام وبكاءه على جدّه الحسين صلوات الله عليه، يقول:

(كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه) [٤].

كان الإمام الكاظم عليه السلام يحث على زيارة الحسين ويبيّن فضلها ووقتها:

- (عن مثنى الحناط، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سمعته يقول: من أتى الحسين عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ١٩٦.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٣٢.

٣- تفسير العياشي: ٢ / ٢٥٧.

٤- الأمالي، الصدوق: ١٩١.

... عن الحسين بن محمد قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام: أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقّه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) [١].

- (عن الكاظم عليه السلام قال: ثلاث ليال من زار الحسين عليه السلام فيهن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان، وليلة ثلاث وعشرين من رمضان، وليلة العيد) [٢].

و أيضاً: وجود مقام للإمام الكاظم في كربلاء في منطقة "باب بغداد" بالقرب من ضريح الإمام الحسين وأخيه العباس صلوات الله عليهما يؤكد أنه مرَّ بكربلاء وزار جده الحسين، وربما كان ذلك بعد الإفراج عنه في أحد مرات سجنه؛ فالمعروف تاريخياً أنّ الامام سجن أكثر من مرة وكان يُفرج عنه، عدا المرة الأخيرة التي طالت مدة حبسه ولم يفرج عنه إلا وهو مسموم شهيد. أما مسألة إقامته في كربلاء لمدة سنتين (كما يزعم البعض) وقيامه بعقد مجلس علمي بين الحرمين يحضره بعض شيعته، فلا دليل عليها:

يقول السيد أحمد الحسن: (لا دليل يصح الاستناد إليه على إقامة الإمام الكاظم عليه السلام في كربلاء مدة طويلة، أما وجود مقام له في كربلاء فهذا أمر ممكن حصوله بزيارته و إقامته ليوم أو أيام، ولا علاقة له بطول المدة وقصرها) انتهى [٣].

ولأن الكاظم عليه السلام قطعة من جده الحسين صلوات الله عليه، وهو حسين زمانه، كان أجر زيارته أجر من زار الحسين [٤]!

١- الكافي، الكليني: ٤ / ٥٨٢.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٩٨ / ١٠١.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- ابن قولويه بسنده: (عن الحسن بن علي الوشاء، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما لمن زار قبر أبيك أبي الحسن عليه السلام، فقال: زره، قال: فقلت: فأي شئ فيه من الفضل، قال: له مثل من زار قبر الحسين عليه السلام) كامل الزيارات: ٤٩٧ – ٤٩٨.

رسالة الإمام الكاظم(ع):

شبه بين الإمامين؛ الكاظم وزين العابدين(ع):

بحسب ما مرَّ بنا من بحوث، يمكننا القول: إنّ طبيعة رسالة كل إمام معصوم من ولد الحسين تتناسب مع الظروف التي تحيط بها، ولما كان الإمام الكاظم عليه السلام استلم الإمامة في سنة ١٤٨ هـ عند شهادة أبيه الصادق عليه السلام، فهذا يعني أنه قد عاصر السنين العشر الأخيرة من ملك المنصور العباسي الذي هلك في سنة ١٥٨ هـ، ولا شك أنها سنين صعبة شداد بالنسبة لآل محمد عليهم السلام وشيعتهم؛ ذلك أنّ المعروف عن المنصور أنه طاغية متكبر ومتجبر، وقد مرَّ بنا شيء من سيرته و أفعاله المنكرة بحق العلويين وغيرهم وصولاً إلى قتله للإمام الصادق عليه السلام بالسم في نهاية المطاف.

ظرف هكذا، أكيد سيلقي بظلاله على الإمام الكاظم عليه السلام في سيره برسالته الإلهية الملقاة على عاتقه، ومن راجع سيرته يجد الشبه الكبير بينها وبين سيرة جدّه الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه:

يقول السيد أحمد الحسن: (بعد الصادق عليه السلام عاد الحال كما كان في زمن زين العابدين عليه السلام؛ تقييد وتضييق على الأئمة عليهم السلام ووضعهم في السجون أو قيد الإقامة الجبرية أو اغتيالهم. كانت الأوضاع صعبة وشديدة جداً قبل الإمام الباقر عليه السلام، وفي أواخر أيام الإمام الصادق عليه السلام استقرت دولة العباسيين وعاد الوضع كما كان سابقاً، فبدأوا يسجنون الإمام الصادق ويؤذونه.

لا شك أنّ الإمام الصادق كان أكثر ظهوراً من الإمام موسى بن جعفر، فقد سمحت له الظروف بأن يتكلم وينشر علومه؛ والسبب هو أنّ العباسيين كانوا ضعفاء حينذاك ولم تكن دولتهم مستقرة، أما في زمن الإمام موسى بن جعفر فقد استقرت دولتهم وأصبحت قوية بعد انتصارهم في أكثر من معركة فرفعوا سيوفهم يقتلون الناس ويرعبونهم، لذلك كان الإمام الكاظم مظلوماً ولا يستطيع أن يتكلم وقاموا بسجنه أكثر من مرة، فعاد الوضع كما كان قبل الإمام الباقر عليه السلام.

شبه كبير بين الإمام موسى بن جعفر والإمام علي بن الحسين يمكن ملاحظته بوضوح، فنرى الإمام موسى بن جعفر يطرح عبادات وهو تقريباً نفس ما كان يطرحه الإمام علي بن الحسين في قضية الدعاء والأمور العبادية الأخرى، وكذا في مسألة توجيه الشيعة، وغيرها من القضايا التي يتواجد فيها الشبه بين الإمامين صلوات الله عليهما) انتهى [١].

ولأنّ الإمام الكاظم ابتدأت إمامته في عهد الطاغية المنصور كما تقدم، رأينا حرص الإمام الصادق الشديد على عدم التصريح باسم وصيه للعلن حفاظاً عليه، وإنما اكتفى بإبلاغ خاصة شيعته كما عرفنا، وكمثال: إبلاغه فيض بن المختار ويونس بن ظبيان، وهما من خاصة شيعته:

(عن فيض بن المختار في حديث طويل في أمر أبي الحسن عليه السلام حتى قال له أبو عبد الله عليه السلام: هو صاحبك الذي سألت عنه، فقم إليه فأقرله بحقه، فقمت حتى قبلت رأسه ويده ودعوت الله عزوجل له، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه لم يؤذن لنا في أول منك، قال: قلت: جعلت فداك فأخبر به أحداً؟ فقال: نعم أهلك وولدك، وكان معي أهلي وولدي ورفقائي وكان يونس بن ظبيان من رفقائي، فلما أخبرتهم حمدوا الله عز وجل وقال يونس: لا والله حتى أسمع ذلك منه وكانت به عجلة، فخرج فأتبعته، فلما انتهيت إلى الباب، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول له: - وقد سبقني إليه - يا يونس الأمر كما قال لك فيض: قال: فقال: سمعت وأطعت، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: خذه إليك يا فيض) [٢].

"لم يؤذن لنا في أول منك": أي لم يؤذن لنا في شأن أحد قبلك أن نخبره بإمامة ولدي الكاظم، فأنت أول من أخبرناه بذلك.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٩ – ٣١٠.

طبيعة رسالة الكاظم(ع):

صعوبة الوضع الذي عاشه الإمام الكاظم صلوات الله عليه والتهديد بالتصفية الجسدية المتوقعة من طاغية بني العباس "المنصور" ومن تلاه، لا يعني أنّ الإمام لم يتح له المجال أحياناً بالقيام بمهمته الرسالية، فنهض و أنجز ما أُلقي بعاتقه من مهام ربّانية، ويمكننا إجمال بعض مساعيه بما يلي:

١- قام الإمام عليه السلام ببيان وتصحيح الاعتقاد، وكمثال: رسالته إلى فتح بن عبد الله "مولى بني هاشم" التي حدَّ له فيها حدود التوحيد الحقيقي [١].

٢- الحفاظ على كيان الأمة المؤمنة التي صنعها آباؤه "الأئمة عليهم السلام"، ولأجل تحصينها عقائدياً حثَّ الإمام الكاظم على التفقّه في الدين الحق [٢]، لا سيما أنّه حدّد العلم المطلوب وميّزه عن غيره [٣].

١- روى الكليني بسنده: (عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شئ من التوحيد، فكتب إلي بخطه: الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكره مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله -: وقمع وجوده جوائل الأوهام - ثم زاد فيه -: أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعا بالتثنية الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حده ومن حدّه فقد عدّه، ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه ومن قال على م؟ فقد جهله ومن قال: أين؟ فقد أخلا منه، ومن قال ما هو؟ فقد نعته ومن قال: إلى مَ؟ فقد غاياه، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ورب إذ لا مربوب وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون) الكافي: ١ / ١٤٠ – ١٤١.

٢- قال الإمام الكاظم عليه السلام: " تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً" بحار الأنوار، المجلسي: ١٠ / ٢٤٧.

٣- روى الكليني بسنده: (عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علامة فقال: وما العلامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، و أيام الجاهلية، والأشعار العربية، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل) الكافي: ١ / ٣٢.

و أيضاً: حثَّ على مجالسة العلماء من شيعته ووصفهم بأنهم "أمناء الرسل" [(١)].

وكسيرة الصادقين عليهما السلام في تربية وتخريج العلماء والفقهاء والرواة، فعل الإمام الكاظم عليه السلام نفس الشيء في الفترات التي سمحت له السلطات بذلك قبل أن يزداد الوضع سوءاً في زمن هارون العباسي! وكان يحضر مجلسه العلمي المئات وتخرج على يديه الكثير من الفقهاء والرواة؛ لمع وتميز ستة منهم، هم: يونس بن عبد الرحمن، صفوان بن يحيى بياع السابري، محمد بن أبي عمير، عبد الله بن المغيرة، الحسن بن محبوب، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي. وهؤلاء الستة هم ثلث عدد ما يُعرف بـ "أصحاب الإجماع" [(٢)].

٣- أكد - كذلك - على مكارم الأخلاق والآداب العامة التي ينبغي الاتصاف بها، والنهي عن مساوئها؛ لضمان سلامة أفراد الأمة المؤمنة من الناحية الأخلاقية، والأخلاق – بلا شك – عنصر أساسي في حياة وبقاء أي أمة من الأمم. والروايات الواردة عنه في هذا المجال كثيرة جداً، وهي مبثوثة ومنتشرة في كتب الحديث والسير، وكمثال: ما أوضحه لهشام بن الحكم في حديث طويل تضمّن بيان أصول الفضائل والأخلاق والآداب التي يضمن رعايتها وتطبيقها بناء الفرد والمجتمع بناء صالحاً وسليماً [(٣)].

وقال عليه السلام: "وجدت علم الناس في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثانية أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك" بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٣٢٨.

١- قال الإمام الكاظم عليه السلام: "الفقهاء أمناء الرسل" مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٧ / ٣٢٠.

وقال عليه السلام: "محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي" الكافي، الكليني: ١ / ٣٩. الزرابي: بساط وفراش فاخر.

٢ - كان لكل إمام من الأئمة الثلاثة (الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام) ستة بارزون من أصحابه، ومجموعهم ١٨ شخصاً، هم الذين يُعرفون في كلام العلماء بـ "أصحاب الإجماع"، أي أنّ الكل مجمع على صحة ما يروونه؛ لشدة وثاقتهم وجلالة قدرهم، وقد تقدم في سيرة الصادقين عليهما السلام ذكر ١٢ رجلاً منهم، فراجع.

٣- بداية الحديث: "يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه ...." وختامه: "يا هشام إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه". انظر تمام الحديث في: الكافي، الكليني: ١ / ١٣ – ٢٠.

٤- كانت للإمام الكاظم عليه السلام عدة مناظرات واحتجاجات وحوارات علمية مع شخصيات عديدة من المسلمين وغيرهم، بحسب ما سمح به ظرفه بالتأكيد، وكثير منها كان في زمن حياة أبيه الصادق صلوات الله عليه كالتي حصلت مع علماء اليهود [١]، أو مع "بريهة" كبير علماء المسيحيين في بغداد [٢]، ومع أبي حنيفة أكثر من مرة [٣].

١- انظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ١١١.

٢- كان لبريهة مناظرة وحوار عقلي طويل مع هشام بن الحكم بخصوص العقيدة في الاب والابن، اضطره فيه هشام إلى الاقتراب من الحق، كان هذا في زمن حياة الإمام الصادق عليه السلام، ثم سأله بريهة: "يا هشام ألك من تصدر عن رأيه وترجع إلى قوله وتدين بطاعته"؟ فأجابه هشام ووصف له الإمام الصادق عليه السلام نسباً وطهارة وعلماً ... إلخ، فقرر بريهة أن يذهب برفقة زوجته (التي تطلب الحق أيضاً) بصحبة هشام بن الحكم إلى المدينة: (فارتحلا حتى أتيا المدينة والمرأة معهما وهما يريدان أبا عبد الله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليهما السلام، فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال موسى بن جعفر عليهما السلام: يا بريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه قال: فابتدأ موسى بن جعفر عليهما السلام بقراءة الإنجيل، قال بريهة: والمسيح لقد كان يقرء هكذا وما قرأ هذه القراءة إلا المسيح، ثم قال بريهة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن وحسن إيمانه وآمنت المرأة وحسن إيمانها ...) انظر تمام الرواية في: التوحيد، الصدوق: ٢٧٠ – ٢٧٥.

٣- روى الكليني بسنده: (عن محمد بن مسلم قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: رأيت ابنك موسى عليه السلام يصلي والناس يمرون بين يديه فلا ينهاهم وفيه ما فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لي موسى فدعي فقال له: يا بني أن أبا حنيفة يذكر أنك كنت تصلي والناس يمرون بين يديك فلم تنههم فقال: نعم يا أبة إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إلي منهم يقول الله عزوجل: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" قال: فضمه أبو عبد الله عليه السلام إلى نفسه ثم قال: [يا بني] بأبي أنت وأمي يا مودع الاسرار) الكافي: ٣ / ٢٩٧.

عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: (خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام، فاستقبله موسى ابن جعفر عليهما السلام فقال له: يا غلام ممن المعصية؟ قال: لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله عزوجل، وليست منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه، وإما أن تكون من الله عزوجل ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد، وهي منه، فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفا عنه فبكرمه وجوده) التوحيد، الصدوق: ٩٦.

كان الصادق عليه السلام يرشد بعض أصحابه إليه في حياته كقوله لعيسى شلقان: "يا عيسى ما منعك أن تلقى ابني موسى فتسأله عن جميع ما تريد؟!" [١].

وفي زمن المهدي العباسي، اتفق هو و أبو يوسف القاضي (تلميذ أبي حنيفة) على إحراج الإمام الكاظم بسؤال، لكن حجّة الإمام دمغته بحسب اعترافه [٢]! ومثله في علو الكعب والحجّة، كان له موقف مع الفضل بن الربيع (وزيروحاجب هارون العباسي) [٣].

و أيضاً: وضوح الحجة وعلوّها يمكننا ملاحظته في احتجاجه على هارون العباسي في حوار طويل دار بينهما؛ حيث أجابه على جميع أسئلته بما في ذلك سؤاله عن تفضيل آل محمد على بني العباس: "لِمَ فُضّلتم علينا" [٤]!

١- الراوندي: (ومنها: أن عيسى شلقان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام و أنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب، فقال لي - مبتدئا من قبل أن أجلس -: يا عيسى ما منعك أن تلقى ابني موسى فتسأله عن جميع ما تريد؟! قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام وهو قاعد في الكتّاب، وعلى شفتيه أثر المداد، فقال لي - مبتدئا -: يا عيسى إن الله أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية، فلم يتحولوا عنها أبدا وإن قوما إيمانهم عارية، وإن أبا الخطاب ممن أعير الايمان ثم سلب. فضممته إلي وقبلت ما بين عينيه فقلت: "ذرية بعضها من بعض". ثم رجعت إلى الصادق عليه السلام فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أتيته فأخبرني مبتدئا من غير أن أسأله عن جميع ما أردت أن أسأله. فعلمت عند ذلك: أنه صاحب [هذا] الامر. فقال: يا عيسى إن ابني - هذا الذي رأيت - لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم. ثم أخرجه ذلك اليوم من الكتاب) الخرائج والجرائح: ٢ / ٦٥٣.

٢- روي: (انّ أبا يوسف أمره الرشيد بسؤال موسى بن جعفر قال: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال: لا يصلح، قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم، قال: فما الفرق بين الموضعين؟ قال أبو الحسن: ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال: لا، قال: فتقضي الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: هكذا جاء، قال أبو الحسن: وهكذا جاء هذا، فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئا، قال: رماني من حجردامغ) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٤٢٩.

٣- قال القيرواني: (ولقى موسى بن جعفررضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بغلة، فقال للفضل بن الربيع: عاتب هذا، فقال له الفضل: كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طلبت علها لم تسبق، وإن طُلبت علها تلحق، فقال: لست أحتاج أن أطلب، ولا إلى أن أُطلب؛ ولكنها دابّة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلة العير (الحمار)، وخير الأمور أوسطها) زهر الآداب وثمر الألباب: ١ / ١٣٣.

٤- انظر: تمام الاحتجاج في: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٧٨ – ٨٢.

ثم إنّ بعض أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام كهشام بن الحكم ومؤمن الطاق (وهما من خيار أصحاب أبيه كما عرفنا)، كانت لهم حوارات ومناظرات مع مخالفين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لكن الإمام كان يضطر أحياناً للطلب منهم أن يوقفوا نشاطهم العلمي لأسباب تتعلق بالجانب الأمني، كما حصل في زمن المهدي العباسي "والد هارون" [١].

وبعض مناظرات هشام كان تعقد في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ويحضرها هارون من وراء الستر ليستمع إلى عقيدة هشام؛ خصوصاً التي كانت تتعلق بموضوع الإمامة، وكان يحيى يحرّض هارون على قتل هشام بحجة أنّ لديه إماماً (يقصد موسى بن جعفر) لو طلب منه الخروج عليك لخرج [٢]!

٥- عاصر الإمام الكاظم عليه السلام كثير من الدعوى الباطلة والعقائد المنحرفة التي أدت إلى نشوء فرق ضالة؛ بعضها انقرض مباشرة، وبعضها استمر وانقرض بمرور الوقت، وبعضها استمر وله وجود في أيامنا هذه، ومن أبرزها: الناووسية والإسماعيلية والفطحية [٣]، إضافة إلى الخطّابية الغلاة؛ أتباع أبي الخطاب محمد بن مقلاص، وكان الإمام الصادق واجههم وتبرأ منهم.

١- الطوسي: (عن يونس، قال: قلت لهشام انهم يزعمون أنّ أبا الحسن عليه السلام بعث إليك عبد الرحمن بن الحجاج يأمرك أن تسكت ولا تتكلم، فأبيت أن تقبل رسالته، فأخبرني كيف كان سبب هذا؟ وهل أرسل إليك ينهاك عن الكلام أو لا؟ وهل تكلمت بعد نهيه أياك؟ فقال هشام: انه لما كان أيام المهدي شدد على أصحاب الأهواء، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفا صنفا، ثم قرأ الكتاب على الناس، ... قال يونس: ولم يذكر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه، فزعم هشام ليونس ان أبا الحسن عليه السلام بعث إليه فقال له: كف هذه الأيام عن الكلام فان الامر شديد، قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات المهدي وسكن الامر، فهذا الذي كان من أمره وانتهائي إلى قوله) اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٥٤٢.

٢- انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٣٠ – ٥٤٠.

٣- الإسماعيلية: هم الذين يعتقدون بإمامة إسماعيل ابن الإمام الصادق، والفطحية: هم الذين يعتقدون بإمامة عبد الله الافطح ابن الامام الصادق، وسيأتي ذكرهم.

وأما الناووسية فقد ذكرهم الشيخ الغفاري، محقق كتاب "من لا يحضره الفقيه" فقال: (الناووسية: فرقة من الشيعة وقفوا على جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وهم أتباع رجل يقال له ناووس، وقيل: نسبوا إلى قرية ناووسة من قرى هيت، وقيل: إنهم اعتقدوا أن الصادق عليه السلام لم يمت ولن يموت حتى يظهر ويظهر أمره،

كذلك: كان للإمام الكاظم عليه السلام حوارات وردود على الملاحدة الموجودين في عصره. علماً، أنّ ردوده تتميز دائماً بوضوح الحجة والحوار العلمي.

تصدّى الإمام صلوات الله عليه – بمعيّة بعض أصحابه – لهذه الدعاوى والفرق و أبطل حججها وصحح اعتقاد الكثيرين من أتباعها وأرجعهم إلى الحق الذي يرتضيه الله، وقد تضمّنت كتب الحديث والسير روايات واحتجاجات الإمام وبعض أصحابه في هذا الصدد.

٦- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة، وكمثال: ما فعله الإمام عليه السلام مع بشر الحافي الذي عُدّ بعد توبته من أعلام الزهد والتصوّف المشهورين عند جميع المسلمين [١].

وهو القائم المهدي، وقال ابن الأثير في اللباب في عنوان الناووسي: "هذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم: الناووسية، وهم شكوا في موت محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو الباقر وهم ينتظرونه وينتظرون أيضا جعفر بن محمد هذا) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤ / ٥٤٢ – ٥٤٣.

١- هو بشر بن الحارث المروزي، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ (انظر: البداية والنهاية، ابن كثير:

قال العلامة الحلي في قصة اهتدائه على يد الإمام الكاظم: (وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي. لأنه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل، فرمت بها في الدرب: فقال لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر فقال: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافيا حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده) منهاج الكرامة: ٥٩.

وذكر عبد الله بن قدامة قصة توبته في كتابه، لكنه جعلها على يد "رجل صالح" ولم يذكر اسم الإمام الكاظم، قال: (وحكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب. فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت: بل حر! فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب. فسمع بشر محاورتهما ..... فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبد! ثم هام على وجهه حافيا حاسرا حتى عرف بالحفاء. فقيل له: لم لا تلبس نعلاً؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا و أنا حاف. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات) كتاب التوابين: ٢١١.

الإمام الكاظم(ع) وأهل بيته:

مسألة ابتلاء ومحنة حجج الله ببعض أهاليهم وإخوانهم و أقربائهم يكاد يكون سنّة تتكرر دائماً، وآل محمد عليهم السلام لم يُستثنَوا من هذه السنّة الإلهية.

لاحظنا فيما مضى من بحوث ما لحق بالأئمة: زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام من أذى تسبّب به بعض أهل بيتهم، ولنتعرف الآن على نصيب الإمام الكاظم عليه السلام من ذلك!

الإمام الكاظم؛ أوسط أبناء أبيه سناً:

استشهد الإمام الصادق صلوات الله عليه عن سبع أولاد ذكور، هم: الإمام موسى، إسماعيل، عبد الله، إسحاق، محمد، العباس، علي.

ولد "إسماعيل" سنة ١٠٣ هـ، وكان أكبر أولاد الإمام الصادق سنّاً [١]، ثم ولد بعده "عبد الله"، بينما أصغرهم سنّاً هو "علي" المعروف بـ "علي العريضي"؛ نسبة إلى "العريض"؛ الموضع الذي ولد فيه [٢]. أما الإمام موسى بن جعفر، فقد تقدم أنّ ولادته كانت في سنة ١٢٨ هـ، وهذا يعني أنه ليس أول ولا آخر من وَلَد لأبيه، وهذا الذي أقصده بـ "أوسط أبناء أبيه"!

كان عمر الإمام الكاظم عليه السلام عند شهادة أبيه عشرون عاماً تقريباً أو أقل بقليل، بينما عمر أخيه عبد الله يناهز الأربعين عاماً! هذا أمر، والأمر الآخر: إنّ والدة عبد الله طالبية حسينية، وهي والدة إسماعيل أيضاً. بينما والدة الإمام موسى هي السيدة "حميدة" وكانت "أمة"، وهي والدة إسحاق "المؤتمن" أيضاً [٣].

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٠٩.

٢- العريض: وادي أو قرية تقع قريب المدينة المنورة.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٠٩.

ومعلوم أنّ البيئة العامة آنذاك تميز بين الأمة والحرة عموماً؛ فضلاً عن أن تكون الحرة طالبية ومن ذرية الحسين بن علي عليه السلام!

ثم إنّ استتباب الوضع السياسي لصالح حكومة المنصور العباسي ساهم بمضاعفة محنة الإمام الكاظم صلوات الله عليه، إذ قضى المنصور على ثورات الحسنيين وقام بقتلهم سنة ١٤٥ هـ، ولذا عانى الإمام الصادق عليه السلام في السنين الثلاث الأخيرة من حياته معاناة كبيرة جداً انتهت بشهادته مسموماً سنة ١٤٨ هـ، وفي وضع خطير وعصيب كهذا استلم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مهام الإمامة!

بالتأكيد، هذا الوضع يحتم الاحتياط الشديد على حياة الإمام الجديد، وبالتالي فمسألة وصاية الصادق لابنه موسى سوف لن تكون كما لو كانت الأوضاع عادية وطبيعية، وإنما سيؤخذ بالحسبان مسألة الحفاظ على حياة الإمام موسى وعدم شيوع أمره وبلوغ خبره إلى الطاغية وجلاوزته!

ويزداد الأمر صعوبة إذا ما أضفنا - إلى الوضع السياسي - الأمرين الآخرين أعني: مسألة عمر الإمام موسى عند شهادة أبيه؛ إذ لم يبلغ ٢٠ عاماً كما قلنا، وهو عمر صغير قياساً ببعض إخوته، وأيضاً: مسألة كون أمه "أمة"؛ في حين أنّ أم غيره - كعبد الله - "حسينية"!

بدون شك، هذه الأمور صعّبت مهمة الإمام الكاظم عليه السلام، وجعلت مسألة قبول بعض إخوته بوصايته لأبيه أكثر تعقيداً!

أما والدة إسماعيل وعبد الله فهي السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وأما السيدة حميدة البربرية أو الأندلسية: فهي أمة اشتراها الإمام الباقر عليه السلام وزوجّها لولده الصادق عليه السلام، انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٧؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤١٣.

قال الإمام الباقر عليه السلام في فضلها: "حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة" الكافي، الكليني: ١ / ٤٧٧.

وقبل هذا وذاك، مرض "الحسد"؛ الذي لازم كثير من أبناء و أقرباء الأنبياء والأوصياء، وهذا القرآن الكريم بين أيدينا ينطق بقصة إخوة يوسف وحسدهم له، حتى صارت مثلاً يُتلى ليل نهار!

(يزيد بن أسباط قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها فقال: يا يزيد أترى هذا الصبي؟ إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه، فاشهد عليّ بأني أخبرتك أنّ يوسف إنما كان ذنبه عند إخوته حتى طرحوه في الجب الحسد له، حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون وكذلك لابد لهذا الغلام من أن يُحسد، ثم دعا موسى، وعبد الله، وإسحاق، ومحمد والعباس وقال لهم: هذا وصي الأوصياء وعالم علم العلماء، وشهيد على الأموات والاحياء ثم قال: يا يزيد "ستكتب شهادتهم ويسألون") [1].

الإمام الصادق عليه السلام كان عمره ٦٥ عاماً لما وصف ولده موسى بـ "الصبي، الغلام"، وهو بذلك يشير إلى حداثة سنّه. و أيضاً: دعا كل أبنائه وكانوا خمسة بحسب الرواية، ولم يكن "إسماعيل" بينهم؛ باعتبار أنه مات في حياة أبيه، وأما عدم دعوة ولده "علي" فربما لصغر سنّه عند وفاة أبيه.

ما رواه ابن أسباط كان نصاً من الإمام الصادق على ولده "موسى" في مرض موته (أي في أواخر أيامه)، وكان قد نص عليه قبل ذلك في مرات عديدة، لكن – كما قلت – بطريقة تحفظ حياته ولا تعرّضه للخطر، لذا اقتصر على خواص شيعته كما بيّنا سابقاً.

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٣٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٢٠ – ٢١.

بعض إخوة موسى بن جعفر(ع):

إسماعيل بن جعفر:

مات إسماعيل في زمن أبيه الصادق عليه السلام. وبحسب البعض [1] فإنّ وفاته كانت في سنة ١٤٣ هـ، أي قبل أبيه بخمس سنين.

في بحث "البداء" المتقدم تعرّفنا على استقامته، ولشدة صلاحه اعتقد بعض شيعة أبيه أنه وصيه والإمام بعده. لذلك كان الإمام الصادق عليه السلام حريصاً على دفع هذه الشبهة وأشهد الكثير من أصحابه وثقاته على موت ولده إسماعيل:

(عن زرارة بن أعين، أنه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعن يمينه سيد ولده موسى عليه السلام وقدامه مرقد مغطى، فقال لي: يا زرارة، جئني بداود بن كثير الرقي وحمران وأبي بصير، ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت فأحضرته من أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحدا إثر واحد حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً، فلما حشد المجلس قال: يا داود، اكشف لي عن وجه إسماعيل، فكشفت عن وجهه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا داود، أحي هو أم ميت؟ قال داود: يا مولاي، هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى أتى على آخر من في المجلس وانتهى عليهم بأسرهم، كل يقول: هو ميت، يا مولاي. فقال: اللهم اشهد، ثم أمر بغسله وحنوطه وإدراجه في أثوابه، فلما فرغ منه قال للمفضل: يا مفضل، احسر عن وجهه، فحسر عن وجهه، فقال: أحي هو أم ميت؟ فقال: ميت. قال: اللهم اشهد عليهم، ثم حمل إلى قبره، فلما وضع في لحده، قال: يا مفضل، اكشف عن وجهه، وقال للجماعة: أحي هو أم ميت؟ قلنا له: ميت. فقال: اللهم اشهد واشهدوا فإنه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم - ثم أومأ إلى موسى عليه السلام - والله متم نوره ولو كره المشركون، ثم حثونا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول، فقال: الميت المحنط المكفن المدفون في هذا اللحد من هو؟ قلنا: إسماعيل. قال:

١- انظر: الأعلام، الزركلي: ١ / ٣١١.

اللهم اشهد، ثم أخذ بيد موسى عليه السلام، وقال: هو حق، والحق منه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) [١].

لا شك، أنّ ما فعله الإمام الصادق إنما هو لقطع الطريق أمام دعاة "الفتنة المستقبلية" التي كان يعلم بحصولها، إذ نشأت بعد وفاته فرقة الإسماعيلية التي اعتقد أفرادها بإمامة إسماعيل بن جعفر و أنه حي لم يمت، والغريب أنها استمرت بالرغم من موته، ولا زالت بعض فرقها موجودة بين أظهرنا اليوم!

ومهما يكن، فقد تألم الإمام الصادق لموت ولده إسماعيل؛ لشدة حبّه له:

(عنبسة بن بجاد العابد، قال: لما مات إسماعيل بن جعفر بن محمد وفرغنا من جنازته جلس الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وجلسنا حوله وهو مطرق، ثم رفع رأسه فقال: أيها الناس، إن هذه الدنيا دار فراق، ودار التواء لا دار استواء، على أن لفراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد، و إنما يتفاضل الناس بحسن العزاء وصحة الفكر، فمن لم يثكل أخاه ثكله أخوه، ومن لم يقدم ولدا كان هو المقدم دون الولد. ثم تمثل عليه السلام بقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه: فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميلُ) [٢].

وروي أنّ الإمام الصادق مشى وراء جنازته حافياً، وكلّف جماعة بالحج عنه [٣].

كان إسماعيل أكبر من أخيه "موسى" بـ ٢٥ عاماً، ومع هذا فإنه يقرّ له بالفضل والسبق في الخير:

١- الغيبة، النعماني: ٣٤٧ – ٣٤٨.

٢- الأمالي، الصدوق: ٣٠٩.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٢٥٤ – ٢٥٥.

(عن منصوربن حازم قال: كنت جالسا مع أبي عبد الله عليه السلام على الباب ومعه إسماعيل إذ مرعلينا موسى وهو غلام فقال إسماعيل: سبق بالخيرابن الأمة) [١].

علماً، أنّ صلاح "إسماعيل" لا يعني أنه معصوم لا يصدرمنه الخطأ إطلاقاً، وهذه رواية ينص فيها الإمام الصادق على ولده موسى ويصحح ما خطرببال بعض شيعته من الاعتقاد بإمامة ولده إسماعيل بعده:

(عن الفيض بن المختار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما تقول في الأرض أتقبلها من السلطان ثم أؤاجرها من أكرتي [٢] على أن ما أخرج الله منها من شئ كان لي من ذلك النصف أو الثلث و أقل من ذلك أو أكثر، هل يصلح ذلك؟ قال: لا بأس به.

فقال له إسماعيل ابنه: يا أبتاه، لم تحفظ. قال: أوليس كذلك أعامل أكرتي؟ يا بني، أليس من أجل ذلك كثيراً ما أقول لك: الزمني فلا تفعل. فقام إسماعيل وخرج.

فقلت: جعلت فداك، فما على إسماعيل ألا يلزمك إذ كنت متى مضيت أُفضيت الأشياء إليه من بعدك كما أفضيت الأشياء لك من بعد أبيك.

فقال: يا فيض، إنّ إسماعيل ليس مني كأنا من أبي.

قلت: جعلت فداك، فقد كان لا أشك في أن الرحال تحط إليه من بعدك، فإن كان ما نخاف و إنا نسأل الله من ذلك العافية فإلى من؟ فأمسك عني، فقبّلت ركبته، وقلت: ارحم شيبتي، فإنما هي النار، إني والله لو طمعت أن أموت قبلك ما باليت، ولكني أخاف أن أبقى بعدك.

فقال لي: مكانك، ثم قام إلى ستر في البيت فرفعه ودخل فمكث قليلا، ثم صاح بي: يا فيض، ادخل، فدخلت فإذا هو بمسجده قد صلى و انحرف عن القبلة، فجلست بين يديه، فدخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام وهو يومئذ غلام في يده درة، فأقعده على

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ١ / ٢٢٩.

٢- الأكرة: حفرة تشبه البئر.

فخذه، وقال له: بأبي أنت وأمي، ما هذه المخفقة التي بيدك؟ فقال: مررت بعلي أخي وهي في يده وهو يضرب بها بهيمة، فانتزعتها من يده، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا فيض، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضيت إليه صحف إبراهيم وموسى فائتمن عليها عليا، ثم ائتمن عليها علي الحسن، ثم ائتمن عليها الحسن الحسين أخاه، و ائتمن الحسين عليها علي بن الحسين، ثم ائتمن عليها علي بن الحسين محمد بن علي، و ائتمنني عليها أبي، فكانت عندي، وقد ائتمنت ابني هذا عليها على حداثته وهي عنده، فعرفت ما أراد.

فقلت: جعلت فداك، زدني. فقال: يا فيض، إن أبي كان إذا أراد أن لا ترد له دعوة أجلسني عن يمينه ودعا، فأمّنت، فلا ترد له دعوة، وكذلك أصنع - بابني - هذا وقد ذكرت أمس بالموقف فذكرتك بخير.

قال فيض: فبكيت سروراً، ثم قلت له: يا سيدي، زدني. فقال: إن أبي كان إذا أراد سفرا و أنا معه فنعس وكان هو على راحلته أدنيت راحلتي من راحلته فوسّدته ذراعي الميل والميلين حتى يقضي وطره من النوم، وكذلك يصنع بي ولدي هذا.

فقلت له: زدني، جعلت فداك. فقال: يا فيض، إني لأجد ابني هذا ما كان يعقوب يجده بيوسف. فقلت: سيدي، زدني. فقال: هو صاحبك الذي سألت عنه، قم فأقر له بحقه، فقمت حتى قبّلت يده ورأسه، ودعوت الله له، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه لم يؤذن لي في المرة الأولى منك.

فقلت: جعلت فداك، أخبر به عنك؟ قال: نعم، أهلك وولدك ورفقاءك، وكان معي أهلي وولدي، وكان معي يونس بن ظبيان من رفقائي، فلما أخبرتهم حمدوا الله على ذلك، وقال يونس: لا والله حتى أسمع ذلك منه، وكانت به عجلة، فخرج فاتبعته، فلما انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - وقد سبقنا - يونس، الأمر كما قال لك فيض اسكت و أقبل. فقال: سمعت وأطعت، ثم دخلت، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام حين دخلت: يا فيض، زرقه زرقه. قلت له: قد فعلت") [1]. زرقه: أي خذه وأحفظه بالنبطية.

١- الغيبة، النعماني: ٣٤٣ – ٣٤٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٢٥٩ – ٢٦١.

عبد اللّه بن جعفر "الأفطح":

المعروف بـ"عبد الله الأفطح"، لفطح في رأسه أورجليه، والأفطح: "العريض" [١].

ادعى الإمامة بعد موت أبيه الصادق عليه السلام، وكان مخالفاً لأبيه في حياته [٢]، بل – بحسب بعض الروايات – شهد عليه السلام بسوء حاله، منها:

- (عن طاهر عن أبي عبد الله قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه ويقول: ما منعك أن تكون مثل أخيك، فوالله إني لأعرف النور في وجهه؟ فقال عبد الله: لم، أليس أبي و أبوه واحداً وأمي وأمه واحدة؟ فقال له أبو عبد الله: إنه من نفسي و أنت ابني) [٣].

- (عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، جالساً بمنى، فسألته عن مسألة، وعبد الله جالس عنده، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا بصير، هيه الآن. فلما قام عبد الله، قال أبو عبد الله عليه السلام: تسألني، وعبد الله جالس؟! فقال أبو بصير: وما لعبد الله؟ قال: مرجئ صغير [٤].

١- مجمع البحرين، الطريحي: ٢ / ٤٠٠.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢١٠ – ٢١١.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٠.

٤- قال الشيخ الغفاري، محقق كتاب "من لا يحضره الفقيه": (المرجئة: هم فرقة من المسلمين اعتقدوا بأن لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا بذلك لاعتقادهم بأن الله أرجا تعذيبهم عن المعاصي - أي أخرهم- وقيل: هم الفرقة الجبرية الذين يقولون: إن العبد لا فعل له وإضافة الفعل إليه مجازية كجرى النهر ودارت الرحى، وإنما سميت المجبرة مرجئة لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤ / ٥٤٦..

عن سليمان بن خالد، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: كفّوا عما تسألون. فأمرنا بالسكوت، حتى قام عبد الله وخرج من عنده، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: إنه ليس على شئ مما أنتم عليه، و إني لبرئ منه، برأ الله منه) [١].

وفي بعض الروايات أنّ الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام لعناه [٢]!

لا شك، أنّ عبد الله كان يعلم بوصاية أخيه موسى لأبيه الصادق صلوات الله عليهما:

(عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأمي إن الأنفس يغدا عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب بيده على منكب أبي الحسن عليه السلام الأيمن - في ما أعلم - وهو يومئذ خماسي وعبد الله بن جعفر جالس معنا) [٣].

أما مسألة تضمّن الوصية الظاهرة والعلنية للإمام الصادق لاسمه فهي – كما ذكرنا سابقاً – للتمويه على الأعداء وحفظ حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وهذا الأمر كان بعض خواص الشيعة يدركونه جيداً:

(داود بن كثير الرقي قال: أتى أعرابي إلى أبي حمزة الثمالي فسأله خبراً فقال: توفي جعفر الصادق فشهق شهقة وأغمي عليه، فلما افاق قال: هل أوصى إلى أحد؟ قال: نعم أوصى إلى ابنه عبد الله وموسى و أبي جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى المهدي وبين لنا عن الكبير ودلنا على الصغير وأخفى عن أمر عظيم، فسئل

١- الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي: ٧٤.

٢- روى علي بن بابويه القمي بسنده: (عن سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوما، ونحن عنده، لعبد الله: اذهب في حاجة كذا وكذا، فقال له: وجه فلانا، فإنه لا يمكنني، ونحو ذلك، قال: فرأيت الغضب في وجه أبي عبد الله عليه السلام، وهو يقول: اللهم العنه، أبى الله أن لا يعبد، وإن رغم أنفك، يا فاجر. ثم دعا أبا الحسن موسى عليه السلام، فقال لنا: عليكم بهذا بعدي، فهو - والله - صاحبكم.

... عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام، يقول: لعن الله عبد الله، فلقد كذب على أبي عليه السلام، فادعى أمراً كان لله سخطاً في السماء) الإمامة والتبصرة: ٧٠.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٩.

عن قوله فقال: بين عيوب الكبير ودل على الصغير لإضافته إياه وكتم الوصية للمنصور لأنه لو سأل المنصور عن الوصي لقيل أنت) [١].

وعموماً، ادعى عبد الله الإمامة بعد أبيه الصادق عليه السلام:

• (عن هشام بن سالم، قال: لما مضى أبو عبد الله عليه السلام، ارتحلت إلى المدينة، والناس يدخلون على عبد الله بن جعفر، فدخلت إليه، فقلت: أنت الإمام بعد أبيك؟ فقال: نعم. فقلت: إن الناس قد كتبوا عن أبيك أحاديث كثيرة، ويسألونك؟ فقال لي: سل. فقلت: أخبرني كم في مائتي درهم من زكاة؟ قال: خمسة دراهم. فقلت: ففي مائة؟ فقال: درهمين ونصف. فخرجت من عنده، ودخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، و أبو الحسن موسى عليه السلام جالس، فجلست مقابله، و أنا أقول في نفسي: إلى أين؟ إلى أين؟ إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الحرورية؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إلي لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الحرورية. فقمت، وقبّلت رأسه.

.... عن محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، قال: قلت لعبد الله بن جعفر: أنت إمام؟ فقال: نعم. فقلت: إن الشيعة تروي: أن صاحب هذا الأمر يكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، فما عندك منه؟ فقال: عندي رمحه. ولم يعرف لرسول الله رمح) [٢].

• (داود بن كثير الرقي قال: وفد من خراسان و افد يكنى أبا جعفر واجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة [فنزل] وزار أمير المؤمنين عليه السلام ورأى في ناحية رجلاً وحوله جماعة، فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء ويسمعون من الشيخ فسألهم عنه، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي. قال: فبينا نحن جلوس إذ أقبل أعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد عليهما السلام. فشهق أبو حمزة وضرب بيده الأرض،

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٤٣٤.

٢- الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي: ٧٢ – ٧٣.

ثم سأل الاعرابي: هل سمعت له بوصية؟ قال: أوصى إلى ابنه عبد الله، وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور.

فقال أبو حمزة: الحمد لله الذي لم يضلنا، دل على الصغير، ومن على الكبير وستر الامر العظيم. ووثب إلى قبر أمير المؤمنين فصلى وصلينا. ثم أقبلت عليه وقلت له: فسر لي ما قلته؟ فقال: بين أن الكبير ذو عاهة، ودل على الصغير بأن أدخل يده مع الكبير، وستر الامر بالمنصور، حتى إذا سأل المنصور من وصيه؟ قيل أنت.

قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله، ووردت المدينة، ومعي المال والثياب والمسائل، وكان فيما معي درهم - دفعته إليّ امرأة تسمى شطيطة - ومنديل. فقلت لها: أنا أحمل عنك مائة درهم. فقالت: إن الله لا يستحيي من الحق، فعوجت الدرهم وطرحته في بعض الأكياس، فلما حصلت بالمدينة سألت عن الوصي فقيل [لي] عبد الله ابنه. فقصدته. فوجدت بابا مرشوشا مكنوساً عليه بواب فأنكرت ذلك في نفسي واستأذنت ودخلت بعد الاذن، فإذا هو جالس في منصبه، فأنكرت ذلك أيضا. فقلت: أنت وصي الصادق عليه السلام، الامام المفترض الطاعة؟ قال: نعم. قلت: كم في المائتين من الدراهم زكاة؟ قال: خمسة دراهم. قلت: فكم في المائة؟ قال: درهمان ونصف. قلت: ورجل قال لامرأته: أنت طالق بعدد نجوم السماء [هل] تطلق بغير شهود؟ قال: نعم، ويكفي من النجوم رأس الجوزاء [1] ثلاثاً. فعجبت من جوابه ومجلسه. وقال: احمل إليّ ما معك؟ قلت: ما معي شيء.

[و] جئت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فلما رجعت إلى بيتي إذا أنا بغلام أسود واقف، فقال: سلام عليك. فرددت عليه السلام. قال: أجب من تريده. فنهضت معه، فجاء بي إلى باب دار مهجورة، ودخل وأدخلني فرأيت موسى بن جعفر عليهما السلام على حصير الصلاة، فقال لي: يا أبا جعفر [اجلس]. وأجلسني قريباً، فرأيت دلائله، أدباً وعلماً ومنطقاً. وقال لي: احمل ما معك. فحملته إلى حضرته فأومى بيده إلى الكيس [الذي فيه درهم المرأة]، فقال لي افتحه. ففتحته. وقال لي: إقلبه. فقلبته فظهر درهم شطيطة المعوج فأخذه بيده وقال: افتح تلك الرزمة. ففتحتها، فأخذ المنديل منها بيده وقال - وهو مقبل

١- أي بعدد رأس الجوزاء وهو إما الأنجم الثلاثة، أو حرف الجيم وهو ثلاث بحساب الأعداد.

علي -: إن الله لا يستحيي من الحق. يا أبا جعفر اقرأ على شطيطة السلام مني وادفع إليها هذه الصرّة. وقال لي: أردد ما معك إلى من حمله وادفعه إلى أهله، وقل: قد قبله ووصلكم به. و أقمت عنده وحادثني وعلمني، وقال لي: ألم يقل لك أبو حمزة الثمالي بظهر الكوفة و أنتم زوار أمير المؤمنين عليه السلام كذا وكذا؟ قلت: نعم. قال: كذلك يكون المؤمن إذا نور الله قلبه كان علمه بالوجه. ثم قال لي: قم إلى ثقات أصحاب الماضي [1] فسلهم عن نصّه.

قال أبو جعفر الخراساني: فلقيت جماعة كثيرة منهم شهدوا بالنص على موسى عليه السلام، ثم مضى أبو جعفر إلى خراسان.

قال داود الرقي: فكاتبني من خراسان، إنه وجد جماعة ممن حملوا المال قد صاروا فطحية، و إنه وجد شطيطة على أمرها تتوقعه يعود. قال: فلما رأيتها عرفتها سلام مولانا عليها، وقبوله منها دون غيرها وسلمت إليها الصرّة، ففرحت وقالت لي: أمسك الدراهم معك. فإنها لكفني. فأقامت ثلاثة أيام وتوفيت) [2].

تعقيب:

- قول الثمالي: "بيّن أنّ الكبير ذو عاهة، ودلَّ على الصغير بأن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر بالمنصور حتى إذا سأل المنصور من وصيه؟ قيل أنت":

أما ستر أمر إمامة موسى عليه السلام بذكر المنصور – وحتى عبد الله – فهو واضح، لكن كيف فهم الثمالي أنّ الإمام دلّ على إمامة الصغير "موسى"؟

الجواب: إنّ الثمالي كان قد سمع بقول الصادق عليه السلام: "إنّ الإمامة في الكبير ما لم تكن به عاهة"، ولو كان عبد الله هو المقصود لاكتفى الإمام بذكره، وضمَّ له المنصور وربما غيره إن أراد التمويه عليه وحفظه، لكن لما ذكر الكبير "عبد الله" وضمَّ له أخاه "موسى" الأصغر منه سنّاً، فهذا يكشف عن أنّ "الكبير = عبد الله" به عاهة استوجبت

١- أي: الإمام الصادق عليه السلام.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٢٨ – ٣٣١.

صرفه عن منصب الإمامة الإلهية، ويبقى ذكره مجرد تمويه لحفظ الإمام والوصي المقصود، أي يكون ذكره كذكر المنصور العباسي، و أيضاً هو مجرد منّ وتفضّل من الإمام الصادق عليه! والخلاصة: إنّ الثمالي عرف أنّ الإمام الصادق أوصى بالكاظم لا غير؛ لأنه وضع صحيحاً (موسى) بين عاهتين (عبد الله، المنصور)!

- قول الإمام الكاظم عليه السلام: "... كان علمه على الوجه":

أي: أصاب علمه الوجه الصحيح والمراد المطلوب الذي قصده الإمام المعصوم، وهذا يحتاج إلى توفيق إلهي وتسديد يتناسب مع إخلاص الإنسان، وإلا فكثير من الناس ينزلقون الى مرادي الهوى بسبب تأويل وسوء فهم لمراد الأئمة صلوات الله عليهم من بعض الأقوال أو الأفعال.

- قول الإمام الكاظم عليه السلام: "احمل ما معك":

لم يستلم الإمام أموال بعض الخراسانيين وردَّ عليهم أموالهم، وقبل فقط درهم ومنديل شطيطة، وربما هذا التصرف فاجأ أبا جعفر الخراساني (حامل المال)، لكن عدة أيام كانت كفيلة بالكشف عن سبب تصرف الامام؛ إذ تبين أنّ باعثي المال ضلوا وأصبحوا "فطحية" أي: يعتقدون بإمامة عبد الله الافطح، وشطيطة هي الوحيدة التي تعتقد بإمامته فقبل صلتها دون غيرها! والحق، إنه فضل عظيم أن يقبل الإمام المعصوم من أحد مالاً سواء كان حقاً شرعياً أو صلة أو هدية ونحو ذلك، قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" التوبة:١٠٣.

وعموماً، إلى عبد الله بن جعفر "الأفطح" تُنسب "الفطحية"، وهي فرقة قالت بإمامته ثم انقرضت بعد موته؛ لأنه لم يمكث بعد أبيه غير سبعين أو تسعين يوماً ومات، فرجع كثير منهم إلى الاعتقاد بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام [1].

١- قال الشيخ الغفاري، محقق كتاب "من لا يحضره الفقيه": (الفطحية: فرقة من الشيعة قالوا بإمامة علي أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده إلى جعفر بن محمد عليهم السلام، ثم اعتقدوا إمامة عبد الله بن جعفر عليه السلام وتعللوا في ذلك بأنه كان أكبر ولد أبيه عليه السلام وأن أباه قال: "الإمامة لا يكون إلا في الأكبر من ولد

تنبيه:

تأويل رواية بشكل خاطئ كان أحد أسباب ضلال "الفطحيين"، وهذا يؤشر إلى خطورة القول في العقيدة بالرأي والظن! والرواية هي للإمام الصادق عليه السلام وورد معناها عن أئمة آخرين أيضاً:

- الإمام الصادق: "إنّ الأمر (الإمامة) في الكبير ما لم تكن فيه عاهة" [١].
- الإمام الرضا: "للإمام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه ..." [٢].

الفطحيون (وبعض آخر غيرهم؛ منهم في وقتنا الحاضر) اعتقدوا أنّ "الكبر" أو "أكبر ولد أبيه" في الروايات يعني الكبر من ناحية السن، مع أنّ هذا التفسير يبطله الواقع القطعي في رسالات الله، فالقرآن الكريم ينص على خلافة يوسف لأبيه مع أنه أصغر من إخوته، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه كان أصغر ولد أبيه الأربعة: (طالب، عقيل، جعفر، علي)، والإمام زين العابدين لم يكن أكبر ولد أبيه، فعلي الأكبر أكبر منه، والإمام العسكري لم يكن أكبر ولد أبيه، بل كان أخوه محمد "سبع الدجيل" أكبر منه!

وبالتالي، فمن يصرّ على تأويل الحديث بـ "كبر السن" يصطدم بهذه الحقائق الواضحة، وإذا بطل ذلك فلم يبقَ غير تفسير "الكبر" أو "أكبر ولد أبيه" بالكبر من جهة الشأن والمقام والمنزلة.

الامام" وسموا بالفطحية لان عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين - أي عريضهما - أو كان أفطح الرأس، وقيل لان رئيسهم كان أفطح، مع أن عبد الله بن جعفر عليه السلام مات بعد أبيه عليه السلام بسبعين أو تسعين يوما، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال لابنه موسى عليهما السلام: "يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدعي الإمامة بعدي فلا تنازعه بكلمة فإنه أول أهلي لحوقا بي" وفي رواتنا جماعة من هؤلاء لكن رجع أكثرهم إلى إمامة أبي الحسن موسى عليه السلام وكثير منهم ثقات في النقل كبني فضال وقد قيل للامام أبي محمد العسكري عليه السلام - لما ظهرت الفطحية من بني فضال -: ما نصنع بكتبهم وبيوتنا ملأى منها؟ فقال: خذوا ما رووا ودعوا ما رأوا" فلذا كان الطائفة عملت بما رواه بنو فضال) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤ / ٥٤٢.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٥.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٨٤.

محمّد بن جعفر:

(إسحاق بن موسى قال: لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ودعا إلى نفسه ودُعي بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة ودخل عليه الرضا عليه السلام و أنا معه فقال له: يا عم لا تكذب أباك ولا أخاك فإنّ هذا أمر لا يتم، ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة. فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتى الجلودي فلقيه فهزمه. ثم استأمن إليه فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال: إن هذا الامر للمأمون وليس لي فيه حق. ثم أخرج إلى خراسان، فمات بجرجان) [١].

"لا تكذب أباك ولا أخاك": أي لا تكذب ما أخبر به الصادق والكاظم صلوات الله عليهما بملك العباسيين والنهي عن القيام بالقوة، وأنّ أمر آل محمد لا يتم إلا على يد القائم عليه السلام في آخر الزمان.

وبحسب بعض الروايات: كان محمد بن جعفر أحد الأسماء التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام في وصيته الظاهرة مع عبد الله الأفطح والمنصور[٢]؛ تحوطاً لحفظ حياة الإمام الكاظم كما ذكرنا.

إسحاق بن جعفر ونفيسة بنت الحسن:

(وكان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد، وروى عنه الناس الحديث والآثار، وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول: حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر. وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، وروى عن أبيه النص بالإمامة على أخيه موسى عليه السلام) [٣].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٢٤.

٢- روى الكليني بسنده: (عن النضر بن سويد بنحو من هذا إلا أنه ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور وعبد الله وموسى ومحمد بن جعفر ومولى لأبي عبد الله عليه السلام قال: فقال أبو جعفر: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل) الكافي: ١ / ٣١٠ – ٣١١.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢١١.

و أيضاً: كان سفيان بن عيينة يقول عنه: "حدثني الثقة الرضي" [١]!

كان إسحاق عالماً، ورعاً، ثقة. من ألقابه: "المؤتمن"، "الحزين". أما الحزين: فلأنه لم يُرَ ضاحكاً [٢]. وأما المؤتمن: فلأجل أمانته عند المعصومين عليهم السلام و ائتمانه على نصوصهم ووصاياهم:

قال السيد أحمد الحسن: (لقب إسحاق بن جعفر "المؤتمن" لقّبه به الإمام الصادق، ثم عُرف به بين الناس. وعلة تسمية الإمام له بالمؤتمن؛ لأنه مؤتمن على وصية الإمام الصادق للإمام الكاظم، ثم إنه مؤتمن على وصية الامام الكاظم للإمام الرضا، وقد نصر أخاه و ابن أخيه وكان خير معين لهم) [٣].

اعتقد إسحاق بإمامة أخيه موسى عليه السلام، وروى نص أبيه الصادق عليه السلام عليه:

(إسحاق بن جعفر قال: كنت عند أبي يوماً، فسأله علي بن عمر بن علي فقال: جعلت فداك إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك؟ فقال: إلى صاحب الثوبين الأصفرين والغديرين - يعني الذؤابتين - وهو الطالع عليك من هذا الباب، يفتح البابين بيده جميعاً، فما لبثنا أن طلعت علينا كفان آخذة بالبابين ففتحهما ثم دخل علينا أبو إبراهيم) [٤].

كذلك: اعتقد بإمامة ابن أخيه علي بن موسى عليه السلام وكان من الشهود على وصية أخيه الكاظم عليه السلام بابنه علي الرضا عليه السلام [٥]، ومن المدافعين عنه بقوة؛ خصوصاً في محنته مع إخوته وتقديمهم شكوى عليه عند القاضي العباسي

١- الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٦٩.

٢- انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٥٥٧.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٨.

٥- انظر الكافي، الكليني: ١ / ٣١٦ – ٣١٩. والرواية مهمة سيأتي التعرض لها بالتفصيل عند بيان النص على إمامة علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه.

بالمدينة؛ إذ اختاره الإمام الكاظم شاهداً على وصيته العامة والخاصة، وكان موقفه مشرّفاً في الدفاع عن حق ابن أخيه الإمام الرضا.

تزوج إسحاق بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الإمام الحسن عليه السلام [١]. والدها "الحسن" هو والي المدينة من طرف المنصور العباسي كما عرفنا سابقاً. وكانت سيدة جليلة القدر، عالمة فقيهة فاضلة زاهدة ناسكة إلى درجة كبيرة، ومن المؤمنات اللواتي آمنت بإمامة الكاظم عليه السلام ثم ابنه الإمام الرضا عليه السلام ونصرته كزوجها إسحاق المؤتمن.

ملاحظة: أحياناً يحصل خلط بينها وبين عمّتها "نفيسة بنت زيد بن الحسن السبط عليه السلام، التي تزوجها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك؛ باعتبار أنّ زيداً تربطه بالأمويين علاقة جيدة كما تقدم. ولأن النفيستين (ابنته، حفيدته) تنحدران من زيد يحصل خلط لدى بعض المؤرخين، فينسب القبر الموجود بمصر لابنة زيد [٢]، لكن الصحيح أنّ السيدة الجليلة التي لها قبر بمصر يُزار ويُتبرك به هي حفيدة زيد، أي: نفيسة بنت الحسن بن زيد، زوجة إسحاق المؤتمن، وسيتضح أنّ الإمام الرضا صلوات الله عليه هو من بعثهما إلى مصر و أقاما هناك حتى وفاتهما رضوان الله عليهما.

أما قصة زواج نفيسة بإسحاق المؤتمن: روي أنّ أباها الحسن بن زيد رفض ابتداءً تزويج ابنته نفيسة من إسحاق لما قصده خاطباً، لكنه و افق أخيراً بعد رؤيا رآها برسول الله صلى الله عليه وآله يأمره فيها بتزويج نفيسة من إسحاق، فتم الزواج سنة ١٦١ هـ [٣]. وسيأتي مزيد من الإيضاح لسيرة إسحاق وزوجته نفيسة ونصرتهما للإمام الرضا عليه السلام و أثرهما الكبير الذي تركاه بمصر.

١- قال الزركلي: (نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر. تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق. و انتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وسمع عليها الإمام الشافعي، ولما مات أُدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها) الأعلام: ٨ / ٤٤.

٢- على سبيل المثال، انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٧٠.

٣- انظر: السيدة نفيسة كريمة الدارين، النبوي جبر سراج: ١٤.

علي بن جعفر:

هو أصغر أولاد الإمام الصادق سناً، مات أبوه وهو طفل [١]، وبقي حياً إلى زمن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي تولّى الإمامة سنة ٢٢٠ هـ، وهي السنة التي قيل إنّ علي بن جعفر توفي فيها [٢]. وعموماً، كان فقيهاً عالماً حسن الاعتقاد، وبحسب ما روي عنه فقد عاصر – إضافة إلى أبيه – ثلاث من الأئمة، هم: موسى بن جعفر، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد صلوات الله عليهم. وسيرته معهم تشهد بورعه واستقامته وقوة اعتقاده بإمامة الأئمة عليهم السلام.

(وكان علي بن جعفر شديد التمسك بأخيه موسى والانقطاع إليه والتوفر على أخذ معالم الدين منه، وله مسائل مشهورة عنه وجو ابات رواها سماعاً منه) [٣]، وقد جُمعت تلك المسائل بكتاب مشهور يُعرف بـ"مسائل علي بن جعفر".

روى نص أبيه الصادق عليه السلام على أخيه موسى عليه السلام:

(روى محمد بن الوليد قال: سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي - جعفر بن محمد - يقول لجماعة من خاصته وأصحابه: "استوصوا بابني موسى خيراً، فإنه أفضل ولدي ومن أخلف من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي") [٤].

و أيضاً: روى وشاية محمد بن إسماعيل بن جعفر بالإمام الكاظم عليه السلام لهارون العباسي، وقد تسبّبت بسجنه وقتله كما سيتضح.

١- انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢٤١.

٢- انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢٣١.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٢٠.

٤- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٢٠.

محمد بن إسماعيل هذا، كان له أخ اسمه "علي" على نفس طريقته، وهذا ما رواه علي بن جعفر عن حال ولدي إسماعيل "محمد وعلي":

(عن علي بن جعفر، قال: سمعت أخي موسى عليه السلام قال: قال أبي لعبد الله أخي: إليك ابني أخيك فقد ملآني بالسفه فإنهما شرك شيطان يعني: محمد بن إسماعيل بن جعفر، وعلي بن إسماعيل، وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه) [١].

و أيضاً: روى علي بن جعفر نص أخيه موسى عليه السلام على ابنه علي الرضا عليه السلام، وكان ذلك قبل أن يحمله هارون العباسي إلى العراق في المرة الأخيرة بثلاثة أيام:

(عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت علي بن جعفر يقول: كنت عند أخي موسى بن جعفر عليه السلام - كان والله حجة [الله في الأرض] بعد أبي صلوات الله عليه - إذ طلع ابنه علي فقال لي: يا علي هذا صاحبك وهو مني بمنزلتي من أبي فثبتك الله على دينه، فبكيت، وقلت في نفسي نعى والله إليّ نفسه فقال: يا علي لابد من أن تمضي مقادير الله فيّ ولي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة، وبأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكان هذا قبل أن يحمله هارون الرشيد في المرة الثانية بثلاثة أيام تمام الخبر) [٢].

و أيضاً: روى تحذير الإمام الكاظم عليه السلام من فتنة الواقفة بعده:

(عن علي بن جعفر عليهما السلام، قال: جاء رجل إلى أخي عليه السلام فقال له: جعلت فداك من صاحب هذا الأمر؟ فقال: أما أنهم يفتنون بعد موتي فيقولون هو القائم، وما القائم إلا بعدي بسنين) [٣].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٤٢.

٢- الغيبة، الطوسي: ٤٢.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٠.

آمن علي بن جعفر بابن أخيه؛ الإمام الرضا عليه السلام، وذكر محنته من إخوته وعمومته، كذلك آمن بابنه محمد بن علي الجواد عليه السلام وروى نص أبيه عليه:

(عن زكريا ابن يحيى بن النعمان قال: سمعت علي بن جعفر بن محمد يحدث الحسن ابن الحسين بن علي بن الحسين فقال في حديثه: لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لما بغى عليه إخوته وعمومته، وذكر حديثاً طويلاً حتى انتهى إلى قوله: فقمت وقبضت على يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: أشهد أنك إمام عند الله، فبكى الرضا عليه السلام ثم قال: "يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة، يكون من ولده الطريد الشريد، الموتور بأبيه وجده، صاحب الغيبة، فيقال: مات أو هلك أي واد سلك؟" فقلت: صدقت جعلت فداك) [١].

و أيضاً: وردت روايات تبيّن اعتقاده بالإمام الجواد عليه السلام، هذا مثال لها:

(عن علي بن جعفر ابن محمد قال: قال لي رجل أحسبه من الواقفة: ما فعل أخوك أبو الحسن؟ قلت: قد مات، قال: وما يدريك بذلك؟ قال: قلت: اقتسمت أمواله و أنكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: ابنه علي قال: فما فعل؟ قلت له: مات قال: وما يدريك أنه مات؟ قلت: قسمت أمواله ونكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: أبو جعفر ابنه، قال فقال له: أنت في سنك وقدرك و أبوك جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام؟ قال: قلت ما أراك إلا شيطاناً قال: ثم أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء، ثم قال: فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا، ولم يرَ هذه الشيبة لهذا أهلاً) [٢].

جلالة قدر علي بن جعفر أمر واضح، خصوصاً إذا ما عرفنا أنّ عمره فاق السبعين عاماً بينما كان الإمام الجواد عليه السلام صغيراً بالسن!

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٧٥ – ٢٧٦.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٢٨.

تتميم:

تحدثنا عن "الحسد"، أعاذنا الله منه، الذي ابتلي به بعض أقرباء الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، لكن الحقيقة التي ينبغي الانتباه لها أنّ "الحسد" مرض خطير قد يبتلي به أي مكلّف، ولا يقتصر الأمر على جماعة بعينهم. وبالتالي، فنحن لما نتحدث عن حسد أقرباء الأئمة للأئمة عليهم السلام، وقد رأينا له شواهد كثيرة فيما تقدم من بحوث، فهذا لا يعني أنهم صلوات الله عليهم عانوا منه وحدهم، وإن كان لهم النصيب الأشد بلا شك، ولكن كان للكثير من حواريهم نصيب وافر من المعاناة بسبب هذا الداء أيضاً، أعني أنهم كانوا محسودين من قبل أصحابهم و أقرانهم!

وهذا يكشف عن أنّ قضية "الحسد" ليس لها علاقة بالنسب، وإنما لها علاقة بـ "الأنا"؛ فهناك بعض النفوس (بما فيهم مؤمنين بالحق) لا تطيق أن ترى من هو أفضل منها، وربما لا يكتفي أصحاب تلك النفوس المريضة – لتسكين غليانهم – بإيذاء بعض إخوتهم "الحواريين" باليد واللسان فقط فيلجؤون إلى إيذائهم بالحسد! وكمثال لأصحاب الأئمة الذين عانوا من "الحسد": هشام بن الحكم، وهذا قول الإمام الرضا عليه السلام بحق معاناته:

(عن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن هشام بن الحكم؟ قال، فقال لي: رحمه الله كان عبداً ناصحاً أُوذي من قبل أصحابه حسداً منهم له) [1]. أصحابه: يعني المؤمنين بالحق.

طبعاً، كان هذا نتيجة اختصاص الإمام المعصوم بهشام وتقريبه له، باستحقاق طبعاً. فمعلوم شدة لحوق هشام بن الحكم بالإمامين الصادق والكاظم صلوات الله عليهما وثقتهما به إلى درجة أنّ الكاظم عليه السلام كان يكتفي بعلي بن يقطين لقضاء سائر حوائجه، لكن إذا أراد حاجة تخصّه هو بالذات أشرك هشاماً وطلب من ابن يقطين أن يتواصل معه:

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٤٧.

(الحسن بن علي بن يقطين، قال: كان أبو الحسن عليه السلام إذا أراد شيئاً من الحوائج لنفسه أو مما يعني به أموره، كتب إلى أبي يعني علياً: اشتر لي كذا وكذا و اتخذ لي كذا وكذا، وليتول ذلك لك هشام بن الحكم، فإذا كان غير ذلك من أموره كتب إليه: اشتر لي كذا وكذا، ولم يذكر هشاماً إلا فيما يعني به من أمره. وذكر أنه بلغ من عنايته به وحاله عنده، أنه سرّح إليه خمسة عشر ألف درهم وقال له: اعمل بها وكل أرباحها ورد إلينا رأس المال، ففعل ذلك هشام رحمه الله وصلى على أبي الحسن) [1].

لا شك، أنّ نظر آل محمد عليهم السلام الأساس يتجه نحو بناء الأمة المؤمنة وتدعيم أركانها، وجزء مهم في بنائها يعتمد على وجود أدوات بيد المعصوم يستعملها في إنجاز رسالته، تتمثل (الأدوات) بثلة من المؤمنين المؤهلين لأن يكونوا بمثابة "اليد" التي يوسّطها في إيصال ما يريد إيصاله لأفراد أمته المنتشرين في أرض الله، وهذا يستدعي بطبيعة الحال تأكيد قربهم له وأخذهم منه، بل وتأكيد وثاقتهم للأمة جمعاء؛ ليُؤخذ منهم ويتحقق الغرض المطلوب. لكن – للأسف – غالباً ما يصطدم مراد المعصوم هذا بعقبة "الحسد"، الذي يتجسّد أحياناً بالتمرّد عليهم أو التشكيك بهم، وبالنتيجة عدم الأخذ منهم! والخطورة تكمن في حالة تفشي هذا المرض لا سامح الله داخل الأمة المؤمنة!

وإذا لم نرد الذهاب بعيداً بالنتائج المترتبة على ذلك، فهي في أقل تبعاتها تعني إيذاء المعصوم وتأخير مشروعه الإلهي، هذا إذا لم تنجر الأمور إلى التسبّب بالمخاطرة بحياة الإمام نتيجة اضطراره لإنجاز بعض الأعمال والمهام بنفسه بعد ضرب أداوته أو تحجيمها أو التقليل من تأثيرها! كل ذلك؛ سببه "الأنا"، ولا شيء آخر غير "الأنا"!

علماً، أنّ "الأنا" لم تُقاتل في ساحة وميدان كما قوتلت يوم عاشوراء، فقد جسّد الحسين صلوات الله عليه وأهل بيته وصحبه أروع صور ومشاهد محاربتها وسحقها واختيار الله عليها؛ كلٌّ بحسبه، وبالتأكيد فقد كان نصيب الحسين من ذلك الفناء هو الأوفر، بل لا نظير له بين كل المقاتلين! لذلك، من أراد النجاة فلا غنى له عن إدراك ومعرفة "يوم الحسين"!

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / <٥٤٧ – ٥٤٦

الإمام الكاظم(ع) وبني العباس:

مع المنصور وابنه المهدي:

عاصر الإمام الكاظم عليه السلام ملك المنصور العباسي لمدة عشرة سنين عجاف لم يتح فيها للإمام السير بذات النهج الذي سار به أبوه "الصادق" وجده "الباقر" صلوات الله عليهما؛ نتيجة لما عُرف عن المنصور من تجبر وطغيان.

شاء الله أن يهلك المنصور في سنة ١٥٨ هـ، ويخلفه ابنه محمد المهدي الذي عيّنه والده ولياً للعهد سنة ١٤٧ هـ. وفور استلام المهدي الملك جعل ولديه "الهادي وهارون" وليي عهده على التوالي، أي الهادي ثم هارون.

اشتهر المهدي العباسي (المولود سنة ١٢٦ هـ) باللهو والمجون والولع بشرب الخمور، وقرّب المطربين كإبراهيم الموصلي وأعلى شأنهم، ولذلك أصبح ولده "إبراهيم" شيخ المغنيين و ابنته "علية" شيخة المغنيات والعازفات والعارضات "الفاشنستات" في بغداد!

في عهد المهدي العباسي بدأ نفوذ المرأة في قرارات الدولة، تماماً كما أخبر الباقر والصادق عليهما السلام من قبل، فتدخلت النساء في رسم السياسات و اتخاذ القرارات بما في ذلك النصب والعزل، فكانت زوجته "الخيزران" تتدخل في شؤون الدولة ولها اليد الطولى على العاملين في قصر الحكم في الزوراء، إذ صارت تقرّب وتبعد من تشاء!

في عهده أيضاً: انتشرت الرشوة والظلم والفساد المالي والإداري بشكل فاضح، فنهبت أموال الدولة، وكشأن كل الطغاة كان مصير المعترضين الإعدام أو السجن!

قرّب المهدي فقهاء السلاطين والوضاعين الذين يتلاعبون بدين الناس وفق مراد الحاكم، وبذل أموالاً طائلة لمن يضع الروايات في انتقاص آل محمد عليهم السلام!

أما بالنسبة لعدائه للعلويين، فقد ورث ذلك من أبيه، لكنه بالرغم من ذلك لم يتعرض للإمام الكاظم عليه السلام بأكثر من الرقابة المشددة في بادئ الأمر، ثم بمرور

الوقت بدأ صيت الإمام بالذيوع والانتشار فأمر باعتقاله والإتيان به من المدينة إلى بغداد، لكنه أطلق سراحه لما رأى رؤيا:

(الفضل بن الربيع، عن أبيه قال: لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في النوم عليا يقول: يا محمد: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" محمد: ٢٢. قال الربيع: فأرسل إليّ ليلا، فراعني، فجئته، فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا. وقال: علي بموسى بن جعفر فجئته به، فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال: يا أبا الحسن: إني رأيت أمير المؤمنين يقرأ عليّ كذا. فتؤمني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟ فقال: لا والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني. قال: صدقت. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله إلى المدينة. فأحكمت أمره ليلاً، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق) [1].

سجن الإمام الأول في زمن المهدي العباسي كان فترة محدودة وليست طويلة:

(عن أبي خالد الزُبالي قال: قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام زُبالة [2] ومعه جماعة من أصحاب المهدي، بعثهم [المهدي] في إشخاصه إليه إلى العراق من المدينة ذلك في مسكته الأُولى، فأتيته وسلّمت عليه فسرّ برؤيتي وأوصاني وأمرني بشراء حوائج له وتبييتها عندي، ونظر إليَّ فرآني غير منبسط وأنا مغموم منقبض، فقال: ما لي أراك مغموماً؟ فقلت: وكيف لا، ورأيتك سائراً وأنت تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك منه؟! فقال: يا أبا خالد ليس عليَّ منه بأس، فإذا كانت سنة كذا في شهر كذا في يوم الفلاني فانتظرني آخر النهار مع دخول أوّل الليل فإنّي أُوافيك إن شاء الله تعالى.

قال أبو خالد: فما كان لي هَمٌّ إلا إحصاء تلك الشهور والأيّام إلى ذلك اليوم الّذي وعدني المأتيّ فيه، فخرجت وانتظرته إلى أن غربت الشمس فلم أرَ أحداً فداخلني الشكّ في أمره، فلمّا كان دخول الليل فبينما أنا كذلك فإذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق [فقصدته] فإذا هو على بغلة أمام القطار فسلّمت عليه وسررت بمقدمه وتخلّصه، فقال

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٦ / ٢٧٢.

٢- إحدى محطات الطريق بين الحجاز والعراق.

لي: داخلك الشكّ يا أبا خالد؟ فقلت: الحمد لله الّذي خلّصك من هذا الطاغية، فقال: يا أبا خالد إنّ لي إليهم عودة لا أتخلّص منها) [١].

وفي أيامه، أمر المهدي العباسي بتوسعة المسجد الحرام، لكن صادفته مشكلة وجود دار في مربع التوسعة لم يرتضِ أهلها بيعها، فاستفتى فقهاء عصره، وكلهم أشاروا عليه بعدم جواز إدخال المغصوب في المسجد! فطلب منه علي بن يقطين أن يسأل الإمام الكاظم، وكان جوابه فيصلاً وحلاً لمعضلة المهدي:

(عن الحسن بن علي بن النعمان قال: لما بنى المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيع المسجد فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء، فكل قال له: إنه لا ينبغي أن تدخل شيئا في المسجد الحرام غصبا، فقال له علي بن يقطين: يا أمير المؤمنين لو كتبت إلى موسى بن جعفر عليه السلام لأخبرك بوجه الامر في ذلك. فكتب إلى والي المدينة، أن: سل موسى بن جعفر عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها، فكيف المخرج من ذلك؟ فقال ذلك لأبي الحسن عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: ولابد من الجواب؟ فقال له الأمير: لابد منه، فقال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها، وإن كان الناس هم النازلين بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها. فلما أتى الكتاب المهدي أخذ الكتاب فقبله، ثم أمر بهدم الدار. فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتابا في ثمن دارهم، فكتب إليه: أن ارضخ لهم شيئا. فأرضاهم) [٢].

مع الهادي العباسي:

ولد موسى الهادي العباسي سنة ١٤٥ هـ، وتولّى الخلافة بعد هلاك أبيه سنة ١٦٩ هـ بعمر الـ ٢٥ عاماً، وكان معروفاً بغروره وطيشه ولهوه ومجونه كأبيه بل وأكثر. كان خليعاً يبذخ أموال طائلة من خزانة الدولة على اللهو والطرب وشرب الخمر؛ الذي لم يقتصر شربه على الرجال فحسب ولكنه امتد ليشمل بلاط الخليفة – بستر وبغير ستر – بما في

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ٩٤٢ – ٩٤٣.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٣ / ٢١٧ – ٢١٨.

ذلك أهل بيته، فشربته بنات الخلفاء وأخواتهم وزوجاتهم وجواريهم، فمثلاً: كان معروفاً عن "عليّة" بنت المهدي شرب الخمر. ثم صار شرب الخمر عادة وسنة لدى كل خلفاء بني العباس الذين جاءوا بعده، وقد امتلأت الكتب كـ"الأغاني" ودواوين الشعراء كأبي نؤاس وبشار ومسلم بن الوليد وغيرهم بوصف مجالس العباسيين ولهوهم ودعارتهم!

(كان أكثر خلفاء بني العباس يفضّلون النوم بالنهار والسهر بالليل وذلك لتناول الشراب واللهو مع الندماء) [١].

وقبل اللهو والمجون وشرب الخمور، كان الهادي العباسي شرساً في عدائه وإيذائه للعلويين وعلى رأسهم بالطبع عميد آل أبي طالب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وقعة فخ:

فخ: وادي يقع بالقرب من مكة المكرمة.

قال الإمام الجواد عليه السلام: "لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ" [٢].

والثائر فيها هو الحسين بن علي بن الحسن "المثلث" ابن الحسن "المثنى" ابن الإمام الحسن بن علي عليه السلام؛ الملقب بـ"العابد".

أمه: زينب بنت عبد الله "المحض" بن الحسن المثنى. قتل المنصور العباسي أباها وأخوتها وعمومتها وبنيهم، وقتل أيضاً زوجها "علي" ابن الحسن المثلث (أخو عبد الله "المحض"، و أبو الحسين "صاحب فخ")، فكانت تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها شعاراً حتى لحقت بالله عزوجل!

١- انظر: الخمر والنبيذ في الإسلام، علي المقري: ١٠٧ – ١٠٨.

٢- عمدة الطالب، ابن عنبة: ١٨٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ١٦٥.

روي: أنّ الحسين كان ممّن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى في ثورته بالمدينة، لكنه أرجعه ربما لصغر سنّه أو لعلمه بثورته بعده [١].

أخبر الرسول وآله صلوات الله عليهم بمقتله:

(عن زيد بن علي، قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال: يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة.

... عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: مر النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل فصلى ركعة، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلى الله عليه وآله يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله قال: نزل علي جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين.

... النضر بن قرواش قال: أكريت جعفر بن محمد من المدينة إلى مكة، فلما ارتحلنا من بطن مر، قال لي: يا نضر إذا انتهيت إلى فخ فأعلمني، قلت: أولست تعرفه؟ قال: بلى! ولكن أخشى ان تغلبني عيني. فلما انتهينا إلى فخ دنوت من المحمل، فإذا هو نائم فتنحنحت فلم ينتبه، فحركت المحمل فجلس، فقلت: فقد بلغت، فقال. حل محملي فحللته ثم قال: صل القطار، فوصلته ثم تنحيت به عن الجادة، فأنخت بعيره فقال: ناولني الإداوة والركوة، فتوضأ وصلى ثم ركب فقلت له: جعلت فداك، رأيتك قد صنعت شيئا أفهو من مناسك الحج؟ قال: لا، ولكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة) [٢].

١- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٨٧.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٨٩ – ٢٩٠. الاداوة: وعاء صغير لحمل كمية من الماء يستعمل للاستنجاء. والركوة: وعاء صغير يستعمل للشرب.

أما سبب الثورة: فهو الظلم والاضطهاد الذي نزل بالعلويين، فقد استعمل موسى الهادي عمر بن عبد العزيز (حفيد عمر بن الخطاب) على المدينة، وكان فظاً معروفاً بنصبه وبغضه لآل محمد عليهم السلام والعلويين عموماً وبالغ في إذلالهم، فمثلاً: ألزمهم بالمثول والحضور للعرض يومياً [١]، وجعل بعضهم يكفل بعضاً!

العمري هذا، ولّى رجلاً يعرف بـ "أبي بكر بن عيسى الحائك" للإشراف على حضور الطالبيين، فصادف أن عرضهم يوم الجمعة ولم يأذن لهم بالانصراف حتى حضرت صلاة الظهر فألحّوا عليه لأداء الصلاة فأذن لهم بعد جهد وبعد الصلاة حبسهم في المقصورة إلى العصر. وذات مرة عرضهم فلم يرَ الحسن بن محمد فقال ليحيى والحسين بن علي بن الحسن المثلث: "لتأتياني به أو لأحبسنكما فإنّ له ثلاثة أيام لم يحضر العرض"! ثم حصلت مشادّة بين العمري وبين الحسين بن علي ويحيى وأسمعاه كلاماً قام الحائك بإيصاله إلى العمري فأرسل عليهما وهددهما وألحَّ عليهما بالإتيان بالحسن بن محمد، فقال له يحيى بن عبد الله:

(لا نقدر عليه، هو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر ابن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا، ثم أعرضهم رجلا رجلا فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لا يخلي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته، وأنه إن لم يجئ به ليركبن إلى سويقة فيخربها ويحرقها، وليضربن الحسين ألف سوط، وحلف بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته. فوثب يحيى مغضباً فقال له: أنا أعطي الله عهداً، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوما حتى آتيك بالحسن بن محمد أو لا أجده، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك. وخرجا من عنده وهما مغضبان، وهو مغضب، فقال الحسين ليحيى بن عبد الله: بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسنا؟ قال: لم أرد أن آتيه بالحسن والله، وإلا فأنا نفي من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام بل أردت إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف، إن

١- وهو أسلوب يعتمده الطغاة مع معارضيهم إلى يوم الناس هذا، فيفرضون عليهم أن يحضروا بشكل دوري ومستمر (كل يوم، أو كل أسبوع، أو كل شهر، مثلاً) إلى مراكز الأمن لتسجيل أسمائهم أو استجوابهم وما شابه.

قدرت عليه قتلته. فقال له الحسين: بئسما تصنع تكسر علينا أمرنا. قال له يحيى: وكيف أكسر عليك أمرك، و إنما بيني وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى مكة، فوجه الحسين إلى الحسن بن محمد فقال: يا بن عمي، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت. فقال الحسن: لا والله يا بن عمي، بل أجئ معك الساعة حتى أضع يدي في يده. فقال له الحسين: ما كان الله ليطلع علي و انا جاء إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو خصمي وحجيجي في دمك، ولكن أقيك بنفسي لعل الله أن يقيني من النار.

قال: ثم وجه، فجاءه يحيى، وسليمان، وإدريس، بنو عبد الله بن الحسن وعبد الله بن الحسن الأفطس، و إبراهيم بن إسماعيل طباطبا وعمر بن الحسن بن علي ابن الحسن بن الحسين بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ووجهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلا من ولد علي، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي. فلما اذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا: " أحد، أحد" وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي - صلى الله عليه وآله - عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذن بحي على خير العمل، فلما نظر إلى السيف في يده اذن بها وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش، وصاح: اغلقوا البغلة الباب وأطعموني حبتي ماء.

قالوا: ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر، ثم مضى هاربا على وجهه يسعى ويضرط حتى نجا، فصلى الحسين بالناس الصبح ودعا بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه أن يأت، بالحسن إليه ودعى بالحسن وقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلا والله خرجت من يميني ومما علي. ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلا الحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن، فإنه استعفاه فلم يكرهه. وموسى بن جعفر بن محمد) [1].

وروي: أنّ الحسين بن علي "صاحب فخ" استأذن الإمام موسى بن جعفر قبل خروجه:

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٩٥ – ٢٩٧.

(قال: وقال الحسين لموسى بن جعفر في الخروج فقال له: إنك مقتول فأحدَّ الضراب فان القوم فساق يظهرون إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً، فانا لله و إنا إليه راجعون. وعند الله عزوجل أحتسبكم من عصبة) [١].

وكانت واحدة من أهداف ثورة الحسين "صاحب فخ" هو الرضا من آل محمد:

(محمد بن مروان عن أرطاة، قال: لما كانت بيعة الحسين ابن علي صاحب فخ قال: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نفِ لكم فلا بيعة لنا عليكم) [٢].

ثم جاءت جيوش المسوّدة (العباسيين) يرأسها قادة عباسيون، هم: العباس بن محمد (ابن المنصور)، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان لقتال الحسين وجماعته في "فخ" يوم التروية سنة ١٦٩ هـ، فأبادوهم وقتلوا الحسين ومن كان معه من العلويين، ولم يكتفِ القادة العباسيون بمجزرة "فخ" و إنما أمروا بجمع كل أولاد الحسن والحسين صلوات الله عليهما بما فيهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عندهم، وجيء برأس الحسين وأصحابه، وكان للإمام موقف في الدفاع عن الحسين بالرغم من صعوبة الظروف وخطورة الوضع:

(قالوا: جاء الجند بالرؤوس إلى موسى، والعباس، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلم أحد منهم بشئ إلا موسى بن جعفر فقال له: هذا رأس الحسين. قال: نعم، قال: إنا لله و إنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صوّاماً قوّاماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله. فلم يجيبوه بشئ) [٣].

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٩٨.

٢- المصدر السابق: ٢٩٩.

٣- المصدر السابق: ٣٠٢.

وبعد القضاء على ثورة الحسين "صاحب فخ"، جلس موسى بن عيسى العباسي بالمدينة وأمر الناس بالوقيعة على آل أبي طالب، وأما الوالي العمري فعمد إلى دار الحسين ودور أهله فحرقها وقبض أموالهم ونخلهم فجعلها في الصوافي المقبوضة [١]! وليس هذا غريباً في سيرة ولاة العباسيين والأمويين، فقد سبقه ولاة بني أمية الذين قاموا بهدم دار الإمام الحسين ودور أهل بيته (آل عقيل) الذين خرجوا معه إلى كربلاء كما عرفنا سابقاً.

مصير إدريس ويحيى ولدا عبد الله المحض:

كان إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن الحسن المثنى ممن اشترك في ثورة الحسين بن علي صاحب فخ، ومعلوم أنهما عمّا أبيه "علي"، لكنهما لم يقتلا، وتمكّنا من الهروب.

أما إدريس، فهرب إلى مصر ومنها إلى المغرب؛ لبعدها عن أماكن نفوذ العباسيين، واستطاع بالتعاون مع بعض القبائل هناك من تأسيس دولة الأدارسة؛ حيث بويع بالخلافة سنة ١٧٢ هـ، ثم قتل مسموماً سنة ١٧٧ هـ [٢] بعمر ٥٠ عاماً.

وأما يحيى، فلحق ببلاد الديلم وكان يُعرف باسم "يحيى بن عبد الله الكامل"، دعا الناس إلى نفسه وكثر أتباعه ولحق به كثير من الشيعة من الأمصار، لكن لم تكن ثورته دموية، فجهّز هارون العباسي جيشاً كبيراً بقيادة الفضل بن يحيى البرمكي وأرسله إليه، ففاوضه وعرض عليه الأمان وجاء به إلى بغداد، وبايع الرشيد فبالغ بإكرامه، ثم لما علم باستمراره بدعوته أمر بحبسه إلى أن مات في سجن السندي سنة ١٧٥ أو ١٨٠ هـ [٣] بعمر ٦٥ – ٧٠ سنة؛ لأنه ولد سنة ١١٠ هـ.

واضح أنّ يحيى يعتقد أنه الأولى بأمر الإمامة؛ خصوصاً أنه أكبر من الإمام الكاظم بـ "١٨" سنة، لهذا كتب إلى الإمام يدعوه إلى بيعته ونصرته:

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٠٢ – ٣٠٣.

٢- انظر: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق، الشبستري: ١ / ١٢٦ – ١٢٧.

٣- انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ١١ / ١٢؛ الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق، الشبستري: ٣ / ٤٣٤ – ٤٣٥.

(عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري قال: كتب يحيى بن عبد الله ابن الحسن إلى موسى بن جعفر عليهما السلام: "أما بعد فإني أوصي نفسي بتقوى الله وبها أوصيك فإنها وصية الله في الأولين ووصيته في الآخرين، خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك، وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك وقديماً ادعيتم ما ليس لكم وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله، فاستهويتم وأظللتم و أنا محذرك ما حذرك الله من نفسه".

فكتب إليه أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: "من موسى أبي عبد الله جعفر وعلي مشتركين في التذلل لله وطاعته إلى يحيى بن عبد الله بن حسن، أما بعد فإني أحذرك الله ونفسي وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه، وتكامل نقماته، وأوصيك ونفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم، أتاني كتابك تذكر فيه أني مدع و أبي من قبل، وما سمعت ذلك مني وستكتب شهادتهم ويسألون ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها مطلبا لآخرتهم، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم وذكرت أني ثبطت الناس عنك لرغبتي فيما في يديك وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغباً ضعف عن سنة ولا قلة بصيرة بحجة ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجاً وغرائب وغرائز، فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما ما العترف في بدنك وما الصهلج في الانسان، ثم اكتب إلي بخبر ذلك و أنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى، إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى".

قال الجعفري: فبلغني أنّ كتاب موسى بن جعفر عليه السلام وقع في يدي هارون فلما قرأه قال: الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به) [1].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٦٦ – ٣٦٧. "العترف، الصهلج": يبدو أنهما عضوين في جسم الإنسان لم يتعرف عليهما الطب آنذاك.

"... ورقّة الخليفة أبقاه الله": قال الإمام الكاظم ذلك؛ لأنه كان يعلم بوقوع كتابه بيد هارون العباسي وقد حصل ذلك بالفعل كما رأينا، فكان "ما كتب" وسيلة منه لتحصيل الأمان لابن عمّه يحيى ودفع القتل عنه بالرغم من الأذى والاتهام الباطل الذي صدر منه بحق الإمام الكاظم وحق أبيه الإمام الصادق صلوات الله عليهما!

آل محمد – كما قلت – لا يوردون ولا يصدرون إلا بأمر الله، ولا يأخذهم في إنفاذ مراده سبحانه لومة لائم؛ أيّاً كان، وتكليفهم الديني (وقد تبين) بعد يوم الحسين بعيد عن القيام المسلح، لكن كثيراً من الناس يريدون الدين على مزاجهم وحسب رؤيتهم! يريدون أن يوردوا ويصدروا برأيهم وهواهم! وشتّان ما بين المعصوم وغير المعصوم بكل شيء!

الهادي العباسي يتوعد الإمام الكاظم(ع) بالقتل فأهلكه اللّه!

بعد مقتل الحسين "صاحب فخ"، أخذ الهادي العباسي يتهدد ويتوعد الإمام الكاظم عليه السلام وصمّم على قتله؛ لأنه كان يعتقد أنّ صاحب فخ ثار بأمر الإمام، لكن الله سبحانه أخذ الطاغية من حيث لا يشعر وأهلكه:

(قال أبو الوضاح وأخبرني أبي قال لما قتل الحسين بن علي صاحب فخ وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بفخ وتفرق الناس عنه حمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدي فلما بصر بهم أنشأ يقول متمثلاً:

بني عمّنا لا تنطقوا الشعر بعدما	دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون نيله	فنقبل ضيماً أو نحكّم قاضيا
ولكنَّ حكم السيف فينا مسلّطٌ	فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
وقد ساءني ما جرّت الحرب بيننا	بني عمّنا لو كان أمراً مدانيا
فإن قلتمُ إنا ظُلمنا فلم نكن	ظَلمنا ولكن قد أسأنا التقاضيا

ثم أمر برجل من الأسرى فوبخه ثم قتله ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وأخذ من الطالبين وجعل ليسأل منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه فسأل منه ثم قال: والله ما خرج حسين إلا عن أمره

ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه، فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريّاً عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر ولو لا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعمله وفضله وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفصيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحر اقا! فقال أبو يوسف: نساؤه طوالق وعتق جميع ما يملك من الرقيق وتصدق بجميع ما يملك من المال وحبس دو ابه وعليه المشي إلى بيت الله الحرام إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج ولا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده ولا ينبغي أن يكون هذا منهم! ثم ذكر الزيدية وما ينتحلون فقال: وما كان بقي من الزيدية إلا هذه العصابة الذين كانوا قد خرجوا مع حسين وقد ظفر أمير المؤمنين بهم ولم يزل يرفق به حتى سكن غضبه.

وقال: وكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بصورة الأمر فورد الكتاب فلما أصبح أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم أبو الحسن عليه السلام على ما ورد من الخبر وقال لهم: ما تشيرون في هذا؟ فقالوا: نشير عليك أصلحك الله وعلينا معك أن نباعد شخصك عن هذا الجبار وتغيب شخصك دونه فإنه لا يؤمن شره وعاديته وغشمه سيما وقد توعدك و إيانا معك فتبسم موسى عليه السلام ثم تمثل ببيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

ثم أقبل على من حضره من مواليه وأهل بيته فقال: ليفرِح روعكم أنه لا يرد أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن مهدي وهلاكه فقالوا: وما ذاك أصلحك الله فقال: قد وحرمة هذا القبر مات في يومه هذا والله إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون سأخبركم بذلك بين ما أنا جالس في مصلاي بعد فراغي من وردي وقد تنوّمت عيناي إذ سنح لي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه موسى بن المهدي وذكرت ما جرى منه في أهل بيته و أنا مشفق من غو ائله فقال لي: لتطب نفسك يا موسى فما جعل الله لموسى عليك سبيلاً فبينما هو يحدثني إذ أخذ بيدي وقال لي: قد أهلك الله آنفاً عدوك فلتحسن

لله شكرك قال: ثم استقبل أبو الحسن القبلة ورفع يديه إلى السماء يدعو ...) [١]، وذكر الدعاء المعروف بـ"الجوشن الصغير".

قيل في مقتله: إنّ أمه الخيزران "زوجة المهدي" خافت منه على ولدها "هارون"؛ لأنه عزم على خلعه عن ولاية العهد وتعيين ابنه "جعفر" بدلاً منه، و أيضاً: كانت تتدخل في إدارة شؤون الحكم وتستبد برأيها حتى إنّ مواكب الوزراء كانت تغدو وتروح على بابها فطلبت منه أمراً يخص "عبد الله بن مالك" وضمنت قضاءها له فرفض ابنها الهادي تنفيذه واتهم أمه به، فغضبت عليه وأوعزت إلى بعض جواريها بخنقه، فمات وهو نائم [٢]. كان ذلك في سنة ١٧٠ هـ، ولم تدم خلافته غير سنة واحدة وبضعة أشهر.

الإمام الكاظم(ع) مع هارون العباسي:

من هو هارون؟

ثاني أولاد محمد المهدي العباسي، ولد سنة ١٤٩ هـ، وتولّى الخلافة سنة ١٧٠ هـ بعد هلاك أخيه موسى الهادي بمؤامرة نسجت أمه "الخيزران" خيوطها بتدبير من الوزير "يحيى البرمكي"، ولذا كان يعتبره أباه الذي أجلسه في كرسي الخلافة فكافأه هارون بإسناد صلاحيات الحكم إليه:

(قلّد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة وقال له قد قلّدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وأمض الأمور على ما ترى ودفع إليه خاتمه ... وكانت الخيزران هي الناظرة في الأمور وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها) [٣].

١- مهج الدعوات ومنهج العبادات، ابن طاووس: ٢١٩.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ٩٩ – ١٠٠؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٠ / ٤٠.

٣- تاريخ الطبري: ٦ / ٤٤٤.

فانشغل يحيى بإدارة الدولة، وانكب هارون على تلبية رغباته وملذاته وعيش حياة الترف والبذخ وشرب الخمور واللهو مع الجواري والمطربين والعازفين من كلا الجنسين، فأنفق أموالاً طائلة على حفلات الغناء ومهرجانات العزف والرقص في قصور وقاعات الزوراء، ومنح الهبات الجزيلة على المغنين من كلا الجنسين، ولا غرو بعد أن كان "الخليفة الشاب" نشأ في أحضان المغنيات والعازفات!

وقد نقل المؤرخون بعض عطاياه للمطربين الشهيرين في ذلك الوقت، أمثال: إسحاق الموصلي وإبراهيم الموصلي ويحيى المكي؛ لأنهم كانوا يطربونه طرباً شديداً [١]، بل عيّن بعضهم في بلاطه بوظيفة "مغني" براتب شهري ومخصّصات ضخمة [٢]!

وعلى طريقة ما تفعله بعض الحكومات الفاسدة في أيامنا هذه، نثر هارون في حفلة واحدة كل ما هو موجود في بيت المال "خزينة الدولة"، وهو مبلغ ربما يكفي لسد رمق مئات العوائل الفقيرة، والسبب أنّ زوجته "أم جعفر = زبيدة" غارت من عبثه مع إحدى الجواري الجميلات فدبّرت خطة لإرجاعه لها بمعيّة أخته العازفة والمطربة الشهيرة "علية" [٣]!

١- فمثلاً: غنّاه إسحاق الموصلي فاشترى له بستان بقيمة أربعة عشر ألف دينار، (انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٥ / ١٧٤). وغنّاه يحيى المكي فأهداه بيتاً وأكياس فيها خمسين ألف درهم، (انظر: الأغاني: ٦ / ١٨٧). ووهب لإبراهيم الموصلي مائتي ألف درهم؛ لأنه غنّاه فأطربه طرباً شديداً (انظر: التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ: ٩٠) وغير ذلك الكثير.

٢- القاضي التنوخي: (كانت وظيفة إبراهيم الموصلي المغني، لطعامه، وطيبه، وما يتخذ له، في كل شهر ثلاثين ألف درهم) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: ٦ / ٣٢٦.

٣- قال أبو الفرج الأصفهاني: (أُهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوما وأخرج كلّ قينة (أمة) في داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ من كلّ نوع من أنواع الثياب والجوهر. واتّصل الخبر بأمّ جعفر (زوجة هارون) فغلظ عليها ذلك، فأرسلت إلى عليّة (أخت هارون) تشكو إليها. فأرسلت إليها عليّة: لا يهولنّك هذا، فو اللَّه لأردنّه إليك، قد عزمت أن أصنع شعرا وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جواريّ، فلا تبقى عندك جارية إلّا بعثت بها إليّ وألبسهنّ ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواريّ، ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به عليّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعليّة قد خرجت عليه من حجرتها، وأم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من جواريها وسائر جواري القصر، عليهنّ غرائب اللباس، وكلهنّ في لحن واحد هزج صنعته عليّة:

وبمثل بذخه على المطربين كان بذخه على الشعراء و"المهاويل" الذين يخصونه بمدح "زائف"، وكثير منهم – كما نعرف – يصنعون من التافه والجبان رمزاً للشرف والبطولة! حتى إنه أعطى لشاعر مدحه بكل بيت ألف دينار، ثم قال له: "لو زدتنا لزدناك" [١]!

بالتأكيد، لدى هارون المترف والمتحلل أخلاقياً مئات الجواري في قصره، لكنه مع هذا كان يشتري جواري بقيم مرتفعة جداً، وليس هارون الوحيد في ذلك بل هو أمر يتصف به خلفاء بني العباس جميعاً! و أيضاً: عُرف عنه هيامه بثلاث جواري مطربات: "سحر، ضياء، خنث" [٢]، إضافة إلى "غادر" جارية أخيه الهادي بالرغم من أنه حلف له أيمان مغلظة بأنه لا يقترب منها [٣]!

ومن مظاهر البذخ وتبديد أموال المسلمين، كان هارون يسرف على موائد طعامه بشكل مبالغ فيه، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان يصرف عشرة آلاف درهم يومياً على مائدة طعامه التي تضم ألواناً كثيرة [٤].

أما بذخ هارون على زوجته "زبيدة" فهو مما يحتاج إلى كتاب برأسه، فمثلاً: لولعها بالغناء والطرب اشترت عبداً يجيد العزف على العود بثلاثمائة ألف درهم [٥]! و أيضاً: غنّى المطرب "ابن جامع" لها ولزوجها فأعطته عن كل بيت مائة ألف درهم، ولما عرف هارون بذلك أعطاه بعدد دراهم زبيدة دنانير، أي أعطاه مائة ألف دينار [٦]!

صوت: [منفصل عنّي وما * قلبي عنه منفصل]. [يا قاطعي اليوم لمن * نويت بعدي أن تصل]

فطرب الرّشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة هو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قطّ. يا مسرور لا تبقينّ في بيت المال درهما إلا نثرته. فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سمع بمثل ذلك اليوم قطّ) الأغاني: ١٠ / ٣٦٠.

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٣٨٢.

٢- انظر الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٣ / ٢٦٥.

٣- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ١٧٥.

٤- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ١٠٣؛ المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي: ١ / ٢٩٧.

٥- انظر: مطالع البدور في منازل السرور، الغزولي: ٢ / ١٣٨.

٦- انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٦ / ٥٠.

وبسيرة هارون الفاسدة، سار أغلب وزرائه وكذلك بقية القادة والمستشارين والعاملين في البلاط، وأغلبهم كانوا من ندماء المجالس وحفلات المجون!

من الطبيعي، أنّ متحللاً هذه سيرته، أن لا يكون عنده دين ومخافة الله، خصوصاً و أنّه عيّن فقهاء في بلاطه يحللون له ما أراد وإن كان عند الله حراماً كما فعل أبو يوسف القاضي في مسألة جارية عيسى بن جعفر[١]، وكذلك ما فعله مع جارية أبيه؛ القضية التي أبدى فيها الفقيه السني "ابن المبارك" عجبه الشديد من فعل هارون وفعل الفقيه العباسي في نفس الوقت [٢]!

عداء هارون العباسي للعلويين وآل محمد بالخصوص:

تاريخياً، معروف عن هارون بغضه لآل أبي طالب "العلويين" وتنكيله بهم، فقد قتل منهم جماعة وهم أحياء، وأودع كثيراً منهم في السجون، ونفى آخرين عن بغداد.

١- عن أبي يوسف القاضي: (قال: بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش، إذا رسول الخليفة يطرق الباب، فخرجت منزعجا فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى بن جعفر فقال لي الرشيد: إن هذا قد طلبت منه جارية يهبنيها فلم يفعل، أو يبعنيها، وإني أشهدك إن لم يجبني إلى ذلك قتلته. فقلت لعيسى: لِمَ لم تفعل؟ فقال: إني حالف بالطلاق والعتاق وصدقة مالي كله أن لا أبيعها ولا أهبها. فقال لي الرشيد: فهل له من مخلص؟ فقلت: نعم يبيعك نصفها ويهبك نصفها. فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية، فلما رآها الرشيد قال: هل لي من سبيل عليها الليلة؟ قلت: إنها مملوكة ولا بد من استبرائها، إلا أن تعتقها وتتزوجها فإن الحرة لا تستبرأ. قال فأعتقها وتزوجها منه بعشرين ألف دينار، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين تختا من ثياب، وأرسلت إليّ الجارية بعشرة آلاف دينار) البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ١٩٥.

٢- نقل السيوطي: (عن ابن المبارك قال: لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك إن أباك قد طاف بي فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف فسأله أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أمة شيئا ينبغي أن تصدق لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة. قال ابن المبارك: لم أدر ممن أعجب من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال اهتك حرمة أبيك و اقض شهوتك وصيره في رقبتي) تاريخ الخلفاء: ٣١٦.

قال عن الطالبيين يوماً، وقد استشاط غضباً واحمرّت عيناه وانتفخت أوداجه: "حتّام أصبر على آل بني أبي طالب! والله لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ..." [١]! ويكفي أمره لحميد بن قحطبة بقتل ستين علوياً في مجلس واحد للتأكد من خبثه وحقده عليهم [٢]!

١- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٥ / ١٥٠.

٢- روى الصدوق بسنده عن عبيد الله البزاز النيسابوري، قال: (كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معامله فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلى ثياب السفر لم أغيرها وذلك في شهر رمضان وقت صلاه الظهر فلما دخلت عليه رايته في بيت يجرى فيه الماء فسلمت عليه وجلست فأتى بطشت و إبريق فغسل يديه ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم و أني في شهر رمضان ثم ذكرت فأمسكت يدي فقال لي حميد: ما لك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي عله توجب الافطار ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الافطار فقال: ما بي علة توجب الإفطار و أني لصحيح البدن ثم دمعت عيناه وبكى فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: انفذ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل ان أجب فلما دخلت عليه رايته بين يديه شمعه تتقد وسيفا اخضر مسلولا وبين يديه خادم و اقف فلما قمت يديه رفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال فأطرق ثم اذن لي في الانصراف فلم البث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال: أجب أمير المؤمنين فقلت في نفسي: انا لله أخاف يكون قد عزم على قتلى و انه لما رآني استحيى منى قعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد فتبسم ضاحكا ثم اذن لي في الانصراف فلما دخلت منزلي لم البث ان عاد إلى الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله فرفع رأسه إلي وقال لي كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون فقال لي: ان أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد على وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فاضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون فقال لي: ان أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فاضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر حتى أتيت إلى آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد على وفاطمة عليهما السلام مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي : ان أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فاضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر حتى أتيت على تسعه عشر نفسا منهم وبقى شيخا منهم عليه شعر فقال لي: تباً لك يا ميشوم! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت عليه جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم على وفاطمة عليهما السلام؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرايصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر فإذا كان فعلى هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله فما ينفعني صومي وصلاتي؟! و أنا لا أشك أني مخلد في النار) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٠٠ – ١٠٢.

وأيضاً: سجن هارون جمعاً كبيراً من العلويين، ومنهم من فرَّ من الحبس كأحمد بن عيسى بن زيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث ذهب إلى البصرة وصار يدعو الناس إلى نفسه ويكتب إلى الشيعة بذلك:

(وأخذ الرشيد أحمد بن عيسى بن يزيد العلوي، فحبسه بالرافقة سنة ١٨٨، فهرب أحمد بن عيسى من الحبس، وصار إلى البصرة، وكان يكاتب الشيعة يدعوهم إلى نفسه، فأذكى الرشيد عليه العيون، وجعل لمن جاء به الأموال، فلم يقدر عليه، فأخذ حاضر صاحبه، والمدبر لأمره، فحمل إلى الرشيد، فلما صار ببغداد، وهو بباب الكرخ، قال: أيها الناس أنا حاضر صاحب أحمد بن عيسى بن يزيد العلوي، وقد أخذني السلطان، فمنعه الموكلون به من الكلام، فلما دخل على الرشيد سأله عنه وتهدده، فقال: والله لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها عنه، وأغلظ في الجواب، وقال: أنا شيخ قد جاوزت التسعين، أفأختم عملي بأن أدل على ابن رسول الله حتى يقتل؟ فأمر الرشيد، فضرب حتى مات، وصلب ببغداد، وطفي أحمد بن عيسى، ولم يعرف خبره بعد ذلك) [١].

وبخصوص عدائه لآل محمد عليهم السلام: سار هارون العباسي بسيرة الأمويين القذرة في مسعاهم إلى رفع من وضعهم الله (بنو أمية، بنو العباس)، والانتقاص ممّن رفعهم الله (آل محمد)، فقد كان يمنح الأموال لمن يؤكد هذا المبدأ الشيطاني، حتى أنشد بعض شعرائهم في أنّ العباس وبنيه أقرب إلى الرسول من أمير المؤمنين علي وأبنائه [٢]، وبالمقابل لم يتمكن شيعة ومحبو آل محمد عليهم السلام من رواية فضائلهم؛ خوفاً من بطشه!

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢٣.

٢- فمثلاً: أنشد أبان بن عبد الحميد:

أعمّ رسول الله أقرب زلفة ... لديه أم ابن العمّ في رتبة النسب
وأيّهما أولى به وبعهده ... ومن ذا له حقّ التّراث بما وجب
فإن كان عبّاس أحقّ بتلكم ... وكان عليّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس همُ يرثونه ... كما العمّ لابن العمّ في الإرث قد حجب

انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٣ / ١٢٠.

من جهته، أبطل الإمام الكاظم مبدأ العباسيين هذا وأظهر الحق بأبهى صورة، وكانت له حوارات واحتجاجات حتى مع هارون نفسه متى ما سنحت له الفرصة [١].

١- الطبرسي: (... موسى بن جعفر عليه السلام قال: لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتان يجئ إليهما الخراج؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي و إثمك، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، ...) إلى أن قال هارون: (أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحدا، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنك لم تكذب قط فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي. فقلت: ما كان علمه عندي فإني مخبرك به إن أنت أمنتني. قال: لك الأمان إن صدقتني وتركت التقية التي تعرفون بها معاشر بني فاطمة، قلت ليسأل أمير المؤمنين عما يشاء.

قال: أخبرني لم فضلتم علينا ونحن و أنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن و أنتم واحد، أنا بنو عباس و أنتم ولد أبي طالب، وهما عما رسول الله صلى الله عليه وآله وقر ابتهما منه سواء؟ فقلت: نحن أقرب. قال: وكيف ذاك؟ قلت: لأن عبد الله و أبا طالب لأب وأم، و أبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ولا من أم أبي طالب.

قال: فلم ادعيتم أنكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله، والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمه حي؟ فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفني عن هذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواه يريده. فقال: لا. أو تجيب. فقلت: فآمني. قال: آمنتك قبل الكلام. فقلت: إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه ليس مع ولد الصلب ذكرا كان أو أنثى لأحد سهم، إلا الأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنة إلا أن تيما وعديا وبني أمية قالوا: "العم والد" رأيا منهم بلا حقيقة، ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قال بقول علي من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي وقد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين المصرين الكوفة والبصرة، وقضى به، .....

قال: زدني يا موسى! قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك. فقال: لا بأس به. فقلت: إن النبي لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر. فقال: ما حجتك فيه. قلت: قول الله تبارك وتعالى: "والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا" وأن عمي العباس لم يهاجر. فقال لي: إني أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدا من أعدائنا، أو أخبرت أحدا من الفقهاء في هذه المسألة بشئ؟ فقلت: اللهم لا. وما سألني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال لي: جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولوا لكم: يا بني رسول الله، و أنتم بنو علي، و إنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي جدكم من قبل أمكم. فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟ قال: سبحان الله! ولم لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك؟ فقلت له: لكنه لا يخطب إليّ ولا أزوجه. فقال: ولِمَ؟ فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك. فقال: أحسنت يا موسى!

ثم قال: كيف قلتم أنا ذرية النبي والنبي لم يعقب، و إنما العقب الذكر لا الأنثى، و أنتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقبا له. فقلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلا أعفيتني عن هذه المسألة. فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي! و أنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا أنهي إلي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه، حتى

وفي موقف، أحرج الإمام الكاظم عليه السلام هارون إيما إحراج لما وقف أمام قبر الرسول رافعاً صوته مفتخراً فقال: "السلام عليك يا بن العم"، وكان الإمام حاضراً فتقدم إلى القبر فقال: "السلام عليك يا أبة"! هذا والناس تنظر، والابن – بلا شك – أقرب وأخص من العم و أبناء العم! فتغيّروجه هارون وبان الغيظ فيه [1]!

و أيضاً: من جرائم هارون الدالة على بغضه لآل محمد عليهم السلام: ما فعله بضريح الإمام الحسين صلوات الله عليه:

١- عزمه على معاقبة خدم قبر الحسين عليه السلام:

(القاسم بن يحيى قال: بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير قال فأتى بهم فنظر إليه الحسن بن راشد وقال ما لك؟ قال: بعث إلي هذا

تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، و أنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزوجل: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم. فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات. فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: "ومن ذريته داود وسليمان و أيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين" من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب. فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل آمنا فاطمة، أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات. قلت: قول الله عزوجل: "فمن حاجك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبنائكم ونسائنا ونسائكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" ولم يدع أحد أنه أدخله النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة، والحسن والحسين أبنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة، و أنفسنا علي بن أبي طالب عليه السلام. على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: "يا محمد إن هذه لهي المواساة من علي" قال: "أنه مني و أنا منه". فقال جبرئيل: "و أنا منكما يا رسول الله" ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فكان كما مدح الله عزوجل به خليله عليه السلام إذ يقول: "قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم" إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا.

فقال: أحسنت يا موسى! إرفع إلينا حوائجك. فقلت له: إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله. فقال: ننظر إن شاء الله) الاحتجاج: ٢ / ١٦١ – ١٦٥.

١- الطبرسي: (ولما دخل هارون الرشيد المدينة، توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وآله ومعه الناس، فقدم إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا بن العم، مفتخراً بذلك على غيره. فتقدم أبو الحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبة. فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه) الاحتجاج: ٢ / ١٦٧.

الرجل يعني الرشيد فأحضرني ولست آمنه على نفسي قال له: فإذا دخلت عليه فسألك فقل له: الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع، فلما دخل عليه قال هذا القول قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن احضروه قال: فلما حضر قال ما حملك على أن صيرت هذا الرجل في الحير؟ قال: رحم الله من صيّره في الحير أمرتني أم موسى أن أصيره فيه وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً فقال: ردوه إلى الحير وأجروا عليه ما أجرته أم موسى) [١].

توضيح: "أم موسى": هي الخيزران وهي أم هارون أيضاً، والحسن بن راشد يعمل في وزارة هارون وكان معاوناً لعلي بن يقطين ومعروف عنه التشيع [٢]، وكانت الخيزران قد اتخذت هذا الإجراء ورتبته مع الحسن بن راشد بعد أن رأت استمرار الشيعة على زيارة الحسين صلوات الله عليه بالرغم من التشديد والمنع من زيارته الذي كان يتبنّاه المنصور العباسي؛ خصوصاً بعد قيام الحسنيين بثوراتهم، وقد أمر واليه بالكوفة "عيسى بن موسى" بتخريب القبر وحرثه، فـ(كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها) [٣].

وعموماً، ما فعلته الخيزران ربما يكشف عن أنها لم تكن تنصب العداء للحسين صلوات الله عليه وآل محمد عليهم السلام كابنها هارون!

١- تاريخ الطبري: ٦ / ٥٣٦ – ٥٣٧. "الحير": أي الحائر الحسيني في كربلاء. "الحسن بن راشد": مولى بني العباس؛ قاضي وفقيه مشهور في زمن هارون العباسي. "أم موسى هي أم المهدي": أي جدة هارون لأبيه. "يزيد بن منصور": من ملوك اليمن.

٢- انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٠١.

٣- روى الصدوق حديثاً طويلاً بسنده إلى أبي بكر بن عياش في ذهابه إلى عيسى بن موسى الهاشمي "والي المنصور على الكوفة" لمعاتبته فيما فعل بقبر الحسين عليه السلام، إلى أن قال له أبو بكر: (... قال: إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر. قال: أي قبر؟ قال: قبر الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان موسى قد وجّه إليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها، فانتفخ موسى حتى كاد أن ينقد، ثم قال: وما أنت وذا؟ قال: اسمع حتى أخبرك، اعلم أني رأيت في منامي .....) الأمالي، الصدوق: ٣٢١ – ٣٢٥.

٢- هدمه قبّة قبر الإمام الحسين عليه السلام:

بعد فترة من شهادة الإمام الحسين صلوات الله عليه، بُني على ضريحه مسجد، وكان عبارة عن سقيفة عليها قبّة، وقد ورد ذكرها في بعض نصوص الأئمة عليهم السلام:

(قال المفيد في مزاره عند ذكره لرواية صفوان بن مهران فإذا أتيت باب الحائر فقف ثم تأتي باب القبة فقف من حيث يلي الرأس ثم أخرج من الباب الذي عند رجلي علي بن الحسين ثم توجه إلى الشهداء ثم امش حتى تأتي مشهد العباس بن علي فقف على باب السقيفة وقل. وروى ابن قولويه بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام: فإذا أردت زيارة العباس فقف على باب السقيفة وقل ثم ادخل.

هدم الرشيد قبر الحسين عليه السلام:

وبقيت هذه القبة إلى زمن الرشيد فهدمها وكرب موضع القبر وكان عنده سدرة فقطعها. وقال السيد محمد بن أبي طالب الحسيني الحائري فيما حكي عن كتابه تسلية المجالس وزينة المجالس: وكان قد بنى عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس إلا على زمن هارون الرشيد فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت ثابتة عنده وكرب موضع القبر انتهى. ويوجد إلى الآن باب من أبواب الصحن الشريف يسمى باب السدرة ولعل السدرة كانت عنده أو بجنبه) [1].

موقف الإمام الكاظم(ع) من حكومة هارون العباسي:

موقف الإمام الكاظم عليه السلام العام من حكومة هارون العباسي يتلخص بعدم إذنه لأصحابه وشيعته في الاشتراك في الحكم، بل وعدم إعانة الظالم بأي شكل من الأشكال ولو على مستوى تأجير وسائل نقل وما شابه:

١- أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١ / ٦٢٧ – ٦٢٨.

- (عن صفوان الجمال ان أبا الحسن موسى عليه السلام قال له: كل شئ منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا قلت لا أي شئ؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون - إلى أن قال: - يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم، قال: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار، قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها . . .) [١].

- (عن زياد بن أبي سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت: أجل، قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروءة وعليّ عيال وليس وراء ظهري شئ، فقال لي: يا زياد لئن أسقط من حالق فأتقطع قطعة أحب إليّ من أن أتولى لاحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلا لماذا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، قال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه.

يا زياد، إن أهون ما يصنع الله جل وعز بمن تولّى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ من حساب الخلائق.

يا زياد، فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك.

يا زياد، أيما رجل منكم تولّى لأحد منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل كذاب.

يا زياد، إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غدا، ونفاد ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك) [٢].

"واحدة بواحدة": أي يكون "أجر" الإحسان للمؤمنين مقابل "وزر" الاشتراك في عمل الظالمين. وطبعاً، هذا الاشتراك لا يكون إلا عند الضرورة كما هو مؤدى الرواية: " أنا رجل

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦ / ٢٥٩.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٧ / ١٩٤.

لي مروءة وعليّ عيال وليس وراء ظهري شيء"، وليس الاشتراك هو الحالة الطبيعية بحجة أنه يشترك ويكفّر عن ذنبه بالإحسان إلى مؤمن!

نعم، الاشتراك يكون ممكناً بإذن من الإمام المعصوم، بل ويصبح واجباً بحق من يأمره الامام المعصوم بذلك، كما في حالة علي بن يقطين [١]، حيث عرض حاله على الإمام وكان يتمنّى أن يأذن له في ترك عمله مع العباسيين لكنه طلب منه البقاء:

(لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام العراق، قال علي بن يقطين: أما ترى حالي وما أنا فيه، فقال: يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، و أنت منهم يا علي) [٢].

١- قال البغدادي: (علي بن يقطين بن موسى، أبو الحسن مولى بني أسد: ولد بالكوفة في سنة أربع وعشرين ومائة، وكان أبوه من وجوه دعاة الامامية، فطلبه مروان بن محمد فهرب واستتر وهربت به أمه وبأخيه عبيد بن يقطين – وكان ولد بعد علي بسنتين - إلى المدينة، وكانت له وصلة بعيال جعفر بن محمد الصادق فأتت منزله بابنيها فاستدنى جعفر عليا و أقعده على حجره ومسح على رأسه فلما ظهر بنو العباس ظهر يقطين، وعادت أم علي بعلي وعبيد، فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس و أبي الجعفر، ومع ذلك يرى رأى ابن أبي طالب ويقول بإمامتهم وكذلك ولده وكان يحمل الأموال إلى جعفر الصادق والالطاف، ثم [وصل] خبره إلى المنصور والمهدي فلم يكيداه، ولما نقل المهدي إلى الرصافة صبر في حجر يقطين فنشأ المهدي وعلي بن يقطين كأنهما أخوان، فلما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي ابن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم، فلم يزل في يده حتى توفى المهدي و أفضى الامر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحدا من أمره إلى أن توفى الهادي، وصار الامر إلى الرشيد فأقره شهرا ثم صرفه بيحيى بن خالد البرمكي) ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار البغدادي: ٤ / ٢٠٢.

قال الكشي: (علي بن يقطين مولى بني أسد، وكان قبل يبيع الأبزار وهي التوابل، ومات في زمن أبي الحسن موسى عليه السلام، و أبو الحسن محبوس سنة ثمانين ومائة) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٢٩.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٣١.

كان الإمام الكاظم عليه السلام يحبّه ويذكر فضله وشهد له أنه من أهل الجنة كما شهد الإمام الرضا عليه السلام برضا أبيه عنه [١].

بالتأكيد، لم يسلم علي بن يقطين من الوشاية به إلى هارون، حتى إنه راقبه ليعرف دينه ومذهبه عن طريق الوضوء، و أيضاً: من خلال "درّاعة = جبّة" ثمينة أهداها إليه وقام علي بإيصالها إلى الإمام الكاظم عليه السلام، لكن الإمام أعادها له وأخبره بأنه

١- (٨٠٦- ... عن زياد القندي، عن علي بن يقطين، أن أبا الحسن عليه السلام قد ضمن له الجنة.

٨٠٨- ... عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: خرجت عاما من الأعوام ومعي مال كثير لأبي إبراهيم عليه السلام، وأودعني علي بن يقطين رسالة سأله الدعاء، فلما فرغت من حوائجي وأوصلت المال إليه، قلت: جعلت فداك سألني علي بن يقطين أن تدعو الله له، فقال: للآخرة؟ قلت: نعم، قال: فوضع يده على صدره ثم قال: ضمنت لعلي بن يقطين ألا تمسه النار.

٨٠٩ - ... يعقوب بن يقطين، قال سمعت أبا الحسن الخراساني عليه السلام يقول: أما أن علي بن يقطين مضى وصاحبه عنه راض، يعني أبا الحسن عليه السلام.

٨١٠ - ... عن عبد الله بن يحيى الكاهلي، قال: كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام إذا أقبل علي بن يقطين، فالتفت أبو الحسن عليه السلام إلى أصحابه، فقال: من سرّه أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلينظر إلى هذا المقبل فقال له رجل من القوم: هو اذن من أهل الجنة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة.

٨١٣- ... عن داود الرقي قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم النحر، فقال مبتدئاً: ما عرض في قلبي أحد و أنا على الموقف الا علي بن يقطين، فإنه ما زال معي وما فارقني حتى أفضت.

٨١٨- ... عن الحسين بن عبد الرحيم، قال، قال أبو الحسن عليه السلام لعلي بن يقطين: اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثا فقال علي: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي. قال، فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتي أضمنهن لك: أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، ولا فاقة، ولا سجن حبس، قال، فقال علي: وما الخصلة التي أضمنها لك؟ قال، فقال: تضمن أن لا يأتيك ولي أبدا الا أكرمته، قال فضمن علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث.

٨١٩- ... روى بكر بن محمد الأشعري، ان أبا الحسن الأول عليه السلام قال: إني استوهبت علي بن يقطين من ربي عز وجل البارحة، فوهبه لي، ان علي ابن يقطين بذل ماله ومودته، فكان لذلك منا مستوجباً) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٢٩ – ٧٣٢.

سيحتاج إليها. وفعلاً، كانت سبباً في إنقاذه. علماً، أنّ الساعي به إلى الطاغية هارون هو ابن عم له [١]!

وبشكل عام، معروف عن آل محمد (الأئمة من ولد الحسين) أنهم لا يرتادون أو يترددون على مجالس خلفاء بني أمية وبني العباس، اللهم إلا بقدر الضرورة التي تحفظ لهم حياتهم التي كانوا مأمورين بحفظها لإتمام رسالتهم الإلهية. وبخصوص الإمام الكاظم عليه السلام، فقد كان له بعض الحوارات الساخنة مع الطاغية هارون، هذا مثال لها:

(عن محمد بن سابق ابن طلحة الأنصاري قال: كان مما قال هارون لأبي الحسن عليه السلام حين دخل عليه: ما هذه الدار؟ فقال: هذه دار الفاسقين، قال: "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً - الآية -"، فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ فقال: أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة. قال: فأين شيعتك فقرأ أبو الحسن صلى الله عليه وآله "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة" قال: فقال له: فنحن كفار؟ قال لا ولكن كما قال الله: "الذين بدلوا نعمة الله كفراً" وأحلوا قومهم دار البوار" فغضب عند ذلك وغلظ عليه) [٢].

١- الراوندي: (قال علي بن يقطين: إن هارون الرشيد خلع عليه دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب فأنفذها علي [بن يقطين] إلى [الامام] موسى بن جعفر عليهما السلام مع مال كثير، فرد الدراعة إلى علي بن يقطين، وقال: احتفظ بها فإنك تحتاج إليها. فبعد أيام صرف علي بن يقطين خاصاً له عن خدمته [وكان الخادم] يعرف ميله إلى موسى عليه السلام، فسعى به إلى الرشيد، فقال: إنه يقول: بإمامة موسى بن جعفر، وقد بعث بتلك الدراعة إليه. فغضب الرشيد [من ذلك]. فقال: لأكشفن عن ذلك، فأحضر علي بن يقطين، وقال: ما فعلت بالدراعة التي كسوتك [بها]؟ قال: هي عندي في سفط. قال: أحضرها. فقال لغلامه: امض إلى داري وخذ السفط الذي في [الصندوق في] البيت الفلاني بختمي فجئني به. [فمضى الغلام وأحضر السفط ففتحه] فنظر الرشيد إلى الدراعة، فسكن من غضبه، وأعطاه جائزة أخرى، وضرب الساعي حتى مات) الخرائج والجرائح: ١ / ٣٣٤.

٢- الاختصاص، المفيد: ٢٦٢.

المواجهة بين الإمام الكاظم(ع) وهارون العباسي:

ابتداءً، ينبغي معرفة أنّ هارون ليس خافياً عليه فضلُ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلو منزلته ومقامه، وها هو يشهد لابنه "المأمون" بأنّ موسى بن جعفر: "إمام الناس وحجة الله على خلقه" لما سأله عن سبب تعظيمه للإمام وإجلاله له:

(يا أمير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، و أقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني أنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعا، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، لأن الملك عقيم) [١].

كان هارون (كآبائه) يصدّق الإمام الكاظم عليه السلام بكل ما قال حتى إنه ذكر للأصمعي (معلّم ولديه) ما يجري من عداء وقتال مستقبلي بين ولديه محمد الأمين وعبد الله المأمون بسبب سماعه ذلك من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام [٢]!

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٦٦.

٢- الدميري: (ذكر عن الأصمعي أنه قال: دخلت على الرشيد وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولاً، فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلى بالجلوس قريبا منه فجلست قليلا ثم نهضت، فأومأ إلي أن اجلس فجلست، حتى خف الناس ثم قال لي: يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمدا وعبد اللّه بني؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين إني لأحب ذلك، وما أردت القصد إلا إليهما لأسلم عليهما، فقال: يكفي ذلك ثم قال: عليَّ بمحمد وعبد اللّه، فانطلق الرسول إليهما وقال أجيبا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قمرا أفق، قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض، حتى وقفا على أبيهما، فسلما عليه بالخلافة، فأومأ إليهما بالجلوس، فجلس محمد عن يمينه وعبد اللّه عن يساره، ثم أمرني بمطارحتهما الأدب فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه، وأصابا فقال: كيف ترى أدبهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما، فأطال اللّه تعالى بقاءهما، ورزق الأمة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما إلى صدره وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته، ثم أذن لهما في القيام فنهضا حتى إذا خرجا قال لي: يا أصمعي كيف بهما إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما، حتى تسفك الدماء. ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟ قلت: يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به المنجمون عند مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في

لكن "الملك عقيم" على حدِّ قوله!

ومعروف عن هارون وسائر العباسيين أنهم لا يسمحون لمنافس بالبقاء حيّاً وإن كان مخلصاً لملكهم وسلطانهم، وقد صفّى البرامكة وقتلهم فيما يعرف تاريخياً بـ "نكبة البرامكة" [١]، فما بالك بموقفه من الإمام الكاظم صلوات الله عليه مع علمه بفضله ومكانته ونظرة الناس إليه!

وأمر آخر ألهب حقد هارون وخبثه: هو الوشاية بالإمام في مسألة طلب الخلافة وقبض الحقوق المالية، وكان يحيى البرمكي في طليعة الوشاة:

(قال علي بن محمد النوفلي: فحدثني أبي انه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليهما السلام وضع الرشيد ابنه محمد بن زبيدة في حجر جعفر بن محمد ابن الأشعث [٢]، فساء ذلك يحيى وقال: إذا مات الرشيد و أفضى الأمر إلى محمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحول الأمر إلى جعفر بن محمد بن الأشعث وولده. وكان قد عرف مذهب جعفر في التشيع فأظهر له أنه على مذهبه، فسُرَّ جعفر و أفضى إليه بجميع أموره وذكر له ما عليه (أي: عقيدته) في موسى بن جعفر عليه السلام، فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد. وكان الرشيد يرعى له موضعه وموضع [أبيه] من نصرة الخلافة فكان يقدم في أمره ويؤخر ويحيى لا يألو أن يخطب عليه (أي: يضره) إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له إكراماً وجرى بينهما كلام مزية جعفر لحرمته وحرمه أبيه فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار، فأمسك يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه وههنا أمر فيه الفيصل،

أمرهما؟ قال: لا بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. وكان المأمون يقول في خلافته: كان الرشيد سمع جميع ما يجري بيننا من موسى بن جعفر، ولذلك قال ما قال) حياة الحيوان الكبرى: ١ / ١١٥.

١- ثابت تاريخياً ما يعرف بـ "نكبة البرامكة"، فقد أنزل هارون العباسي بأسه بالبرامكة فقتلهم وصادر أموالهم؛ فبدأ بقتل جعفر بن يحيى البرمكي ثم ألقى القبض على أبيه وإخوته وبنيهم وسائر من يخصهم بما في ذلك مواليهم وقتل منهم جماعة كثيرة!

٢- والد جعفر هو محمد بن الأشعث الخزاعي أحد قادة الدعوة العباسية، وليس محمد بن الاشعث الكندي الخبيث الذي اشترك في قتل الحسين صلوات الله عليه وساهم بقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وسلب درعه.

قال: وما هو؟ قال: إنه لا يصل إليه مال من جهة الجهات إلا أخرج خمسه فوجّه به إلى موسى بن جعفر، ولست أشك أنه قد فعل ذلك في العشرين الألف دينار التي أمرت بها له!

فقال هارون: إنّ في هذا لفيصلاً، فأرسل إلى جعفر ليلاً وقد كان عرف سعاية يحيى به، فتباينا (أي: اختلفا) وأظهر كل واحد منهما لصاحبه العداوة، فلما طرق جعفر رسول الرشيد بالليل خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى و أنه إنما دعاه ليقتله، فأفاض عليه ماء ودعا بمسك وكافور فتحنط بهما ولبس بردة فوق ثيابه و أقبل إلى الرشيد، فلما وقعت عليه عينه وشم رائحة الكافور ورأى البردة عليه قال: يا جعفر ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد علمت أنه سعى بي عندك فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قرح في قلبك ما يقول عليّ فأرسلت إليّ لتقتلني! قال: كلا، ولكن قد خُبّرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه و أنك فعلت بذلك في العشرين الألف دينار فأحببت أن اعلم ذلك؟ فقال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخواتيمها، فقال الرشيد لخادم له: خذ خاتم جعفر و انطلق به تأتيني بهذا المال وسمّى له جعفر جاريته التي عندها المال، فدفعت إليه البدر (أكياس يوضع فيها المال) بخواتيمها فأتى بها الرشيد، فقال له جعفر: هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بي إليك، قال: صدقت يا جعفر انصرف آمناً فإني لا أقبل فيك قول أحد. قال: وجعل يحيى يحتال في اسقاط جعفر) [1].

لكن ما "زاد الطين بلّة" كما يقال، هو وشاية بعض أقرباء الإمام (وتحديداً ابن أخيه: محمد بن إسماعيل) به لهارون؛ إذ كانت السبب في سجن الإمام الأخير الذي لم يخرج منه إلا وهو شهيد مقتول:

(عن علي بن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى عليه السلام أن يأذن له في الخروج إلى العراق، وأن يرضى عنه ويوصيه بوصية، قال: فتجنبت حتى دخل المتوضأ وخرج، وهو وقت كان يتهيأ لي أن أخلوا به وأكلمه.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٧٠ – ٧١.

قال: فلما خرج قلت له: ان ابن أخيك محمد بن إسماعيل يسألك أن تأذن له في الخروج إلى العراق وأن توصيه، فأذن له عليه السلام فلما رجع إلى مجلسه: قام محمد بن إسماعيل وقال: يا عم أحب أن توصيني فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، فقال: لعن الله من يسعى في دمك. ثم قال: يا عم أوصني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، قال، ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون دينارا، فقبضها محمد ثم ناوله أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها، ثم أعطاه صرة أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده، فقلت له في ذلك واستكثرته فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي إذا قطعني ووصلته.

قال: فخرج إلى العراق، فلما ورد حضرة هارون أتى باب هارون بثياب طريقه قبل أن ينزل، واستأذن على هارون، وقال للحاجب، قل لأمير المؤمنين أن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالباب، فقال الحاجب: انزل أولاً وغير ثياب طريقك وعد لأدخلك إليه بغير أذن، فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت، فقال: أعلم أمير المؤمنين أني حضرت ولم تأذن لي. فدخل الحاجب واعلم هارون قول محمد بن إسماعيل فأمر بدخوله، فدخل، وقال: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج و أنت بالعراق يجبى لك الخراج، فقال: والله، فقال: والله، قال: فأمر له بمائة ألف درهم، فلما قبضها وحمل إلى منزلة، أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات، وحول من الغد المال الذي حمل إليه) [1].

وروي: أنّ الذي سعى بالإمام الكاظم عليه السلام هو علي بن إسماعيل "أخو محمد":

(قال النوفلي: فحدثني علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك حجه الرشيد قبل هذه الحجة قال: لقيني علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لي: ما لك قد أخملت نفسك؟! ما لك لا تدبر أمور الوزير؟ فقد أرسل إلي فعادلته وطلبت الحو ائج إليه، وكان سبب ذلك أنّ يحيى بن خالد قال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبه في الدنيا فأوسع له منها قال: بلى أدلك على رجل بهذه الصفة وهو علي بن إسماعيل بن جعفر فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمك وعن

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٤٠ – ٥٤١.

شيعته والمال الذي يحمل إليه فقال له: عندي الخبر وسعى بعمّه فكان من سعايته أن قال: من كثره المال عنده أنه اشترى ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار فلما أحضر المال قال البايع: لا أريد هذا النقد أريد نقدا كذا وكذا فامر بها فصبت في بيت ماله واخرج منه ثلاثين ألف دينار من ذلك النقد ووزنه في ثمن الضيعة.

قال النوفلي: قال أبي: وكان موسى بن جعفر عليهما السلام يأمر لعلي بن إسماعيل ويثق به حتى ربما خرج الكتاب منه لبعض شيعته بخط علي بن إسماعيل ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر أن علياً ابن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق فأرسل إليه ما لك والخروج مع السلطان؟! قال: لأن عليّ ديناً، فقال: دينك عليّ، قال: فتدبير عيالي؟! قال: انا أكفيهم فأبى إلا الخروج فأرسل إليه مع أخيه محمد بن إسماعيل بن جعفر بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم فقال له: اجعل هذا في جهازك ولا تؤتم ولدي) [1].

ومهما يكن الأمر، فقد كان الوشاة والسعاة بالإمام لهارون العباسي سبباً في إقدامه على اعتقاله وحبسه سنين عديدة على مرتين، أُفرج عنه في حبسه الأول لكن الثاني انتهى بشهادته صلوات الله عليه.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٧١ – ٧٢.

الحبس الأول للإمام الكاظم(ع):

سجن هارون العباسي الإمام الكاظم بعد أن تسلّم الخلافة في سنة ١٧٠ هـ:

(بويع لهارون الرشيد في شهر ربيع الأول في تلك السنة سنة سبعين ومائة في اثنتين وعشرين سنة من إمامة أبي الحسن، فوجه في حمل أبي الحسن عليه السلام، فلما و افاه الرسل دعا أبا الحسن الرضا عليه السلام وهو أكبر ولده فأوصى إليه بحضرة جماعة من خواصه، وأمره بما احتاج إليه، ونحله كنيته وتكنى بأبي إبراهيم .....) [١].

وهذا يعني: أنّ الامام الكاظم قبل شهادته بثلاث عشرة سنة – بل قبل ذلك – بدأ يلفت نظر خواصّه وشيعته إلى إمامة ووصاية ولده الرضا عليه السلام بعده، وفي ذلك رو ايات كثيرة كما سيتضح.

مكث الإمام الكاظم عليه السلام في سجون بغداد فترة طويلة لاقى فيها من الأذى الشيء الكثير:

(الثوباني قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام بضع عشرة سنة كل يوم سجدة انقضاض الشمس إلى وقت الزوال فكان هارون ربما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس أبو الحسن عليه السلام فكان يرى أبا الحسن عليه السلام ساجداً فقال للربيع: يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب و إنما هو موسى بن جعفر عليهما السلام له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال قال الربيع: فقال لي هارون: أما ان هذا من رهبان بني هاشم قلت: فمالك قد ضيقت عليه الحبس قال: هيهات لابد من ذلك) [٢].

طالت مدة حبس الإمام الكاظم عليه السلام "الأول"، فدعا الله أن ينجيه من حبس هارون، واستجاب الله دعاءه وأطلق هارون سراحه بسبب رؤيا رآها:

١- إثبات الوصية، المسعودي: ١٩٣.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٨٨ – ٨٩.

(لما حبس هارون الرشيد موسى بن جعفر عليه السلام، جن عليه الليل، فخاف ناحية هارون أن يقتله، فجدد موسى عليه السلام طهوره، واستقبل بوجهه القبلة، وصلى لله عزوجل أربع ركعات، ثم دعا بهذه الدعوات، فقال: يا سيدي نجني من حبس هارون، وخلصني من يديه، يا مخلص الشجر من بين رمل وطين وماء، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلصني من يدي هارون.

قال: فلما دعا موسى عليه السلام بهذه الدعوات، رأى هارون رجلاً أسود في منامه، وبيده سيف قد سله، و اقفاً على رأس هارون، وهو يقول: يا هارون، أطلق عن موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا. فخاف هارون من هيبته، ثم دعا لحاجبه، فجاء الحاجب، فقال له: اذهب إلى السجن، وأطلق عن موسى بن جعفر. ..... وكان يدخل عليه في كل خميس) [1].

"وكان يدخل عليه في كل خميس": أي طلب منه البقاء في بغداد والحضور عنده أسبوعياً، بينما ذكر بعض المؤرخين أنه أطلق سراحه وأذن له بالانصراف إلى عياله بالمدينة مباشرة:

(وذكر عبد الله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته - قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك منه فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم، فعرّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت، فوجدته قاعداً على فراشه، فسلمت فسكت ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ ثم قال لي: يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن جيشاً قد أتاني ومعه حربة فقال لي: إن لم تخَلِّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخلِّ عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثا، قال: نعم، أمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له. إن أحببت المقام قبَلَنَا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك، قال: فمضيت إلى الحبس

١- الأمالي، الصدوق: ٤٦٠ – ٤٦١.

لأخرجه، فلما رآني موسى وثب إليّ قائماً وظن أني قد أمرت فيه بمكروه، فقلت: لا تخف، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك. وأعطيته الثلاثين ألف درهم، وخليت سبيله، وقلت: لقد رأيت من أمرك عجباً، قال: فإني أخبرك: بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا موسى، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ فقال: قل يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً، فرج عني، فكان ما ترى) [1].

لم يتعظ هارون الخبيث بكل ما رآه، بل ازداد تمرداً وأوغل أكثر في أذى الإمام الكاظم طيلة الفترة التي سبقت شهادته صلوات الله عليه:

(عن أبي عبد الله ابن الفضل عن أبيه الفضل قال: كنت أحجب الرشيد فاقبل على يوماً غضباناً وبيده سيف يقلبه فقال لي: يا فضل بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله لئن لم تأتني بابن عمى الان لأخذن الذي فيه عيناك فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازي فقلت: وأي الحجازي؟ قال: موسى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: الفضل فخفت من الله عزوجل ان أجئ به إليه ثم فكرت في النقمة فقلت له: افعل فقال: آتيني بسوطين وهسارين وجلادين قال: فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرايد النخل فإذا انا بغلام اسود فقلت له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله فقال لي: لج فليس له حاجب ولا بواب فولجت إليه فإذا انا بغلام اسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده فقلت: له السلام عليك يا بن رسول الله أجب الرشيد فقال: ما للرشيد وما لي؟ أما تشغله نقمته عني؟ ثم وثب مسرعاً وهو يقول: لولا أني سمعت في خبر عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن طاعة السلطان للتقية واجبة إذا ما

١- مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٣٤٦ – ٣٤٧.

جئت فقلت له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمك الله فقال عليه السلام: أليس معي من يملك الدنيا والآخرة؟! ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله تعالى قال: فضل بن الربيع فرأيته وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه عليه السلام ثلاث مرات فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنه امرأة ثكلى قائم حيران فلما رآني قال لي: يا فضل فقلت: لبيك فقال جئتني بابن عمي؟ قلت: نعم قال: لا تكون أزعجته فقلت: لا قال: لا تكون أعلمته أني عليه غضبان فأني قد هيجت على نفسي ما لم أرده ائذن له بالدخول فأذنت له فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمي وأخي ووارث نعمتي ثم أجلسه فقال له: ما الذي قطعك عن زيارتنا؟ فقال: سعة مملكتك وحبك للدنيا فقال: ايتوني بحقه الغالية فأتي بها فغلفه بيده ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير، فقال موسى بن جعفر عليهما السلام: والله لولا أني أرى أزوج بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله ابدا ما قبلتها ثم تولى عليه وهو يقول: الحمد لله رب العالمين فقال: الفضل يا أمير المؤمنين أردت ان تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته فقال لي: يا فضل انك لما مضيت لتجيئني رأيت أقواما قد احدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الداريقولون: ان اذى ابن رسول الله خسفنا به وان أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه، فتبعته عليه السلام فقلت له: ما الذي قلت حتى كفيت أمر الرشيد؟ فقال: دعاء جدي علي بن أبي طالب كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلا هزمه ولا إلى فارس إلا قهره وهو دعاء كفاية البلاء قلت: وما هو؟ قال: قلت: "بك أساور وبك أحاول وبك أجاور وبك أصول وبك انتصر وبك أموت وبك أحيا أسلمت نفسي إليك وفوضت امري إليك ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم اللهم إنك خلقتني ورزقتني وسترتني عن العباد بلطف ما خولتني وأغنيتني إذا هويت رددتني وإذا عثرت قومتني وإذا مرضت شفيتني وإذا دعوت أجبتني يا سيدي ارض عني فقد أرضيتني") [1].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٧٥ – ٧٦.

الحبس الثاني للإمام الكاظم(ع):

كحال كل الطغاة، فقد جدَّ هارون العباسي بالتخلّص من الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن ثقل وجوده عليه وضاق به ذرعاً، فأمر بحبسه (ثانياً) بعد إتمام حجّه سنة ١٧٩ ﻫ وذهابه إلى المدينة، وعذره في ذلك أنّ في إبقائه طليقاً فتنة!

وعموماً، اعتقل جلاوزة هارون الإمام الكاظم وهو قائم يصلي عند قبر جده:

(إبراهيم بن أبي البلاد قال: كان يعقوب بن داود يخبرني قد قال بالإمامة فدخلت عليه بالمدينة في الليلة التي أخذ فيها موسى بن جعفر عليهما السلام في صبيحتها فقال لي: كنت عند الوزير الساعة يعني يحيى بن خالد فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني اعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه فأني أريد أن آخذ موسى بن جعفر فاحبسه لأني قد خشيت ان يلقى بين أمتك حرباً تسفك فيها دماؤهم و أنا أحسب انه سيأخذه غداً فلما كان من الغد أرسل إليه الفضل الربيع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بالقبض عليه وحبسه) [1].

عمد جلاوزة الطاغية إلى الإمام المظلوم موسى بن جعفر فاعتقلوه وقيّدوه، وكان هارون أمر بتهيئة موكبين؛ تحسباً لردود الأفعال، فسيّر أحدهما إلى الكوفة والآخر إلى البصرة، وجعل الإمام في موكب البصرة وأوكل مهمة حراسته إلى حسان السروي وأمره بتسليمه إلى عيسى بن جعفر ابن المنصور ليقوم بحبسه في سجنه. وبعد مرور سنة من حبسه كتب عيسى إلى طاغيته أن يتسلّم الإمام منه أو يخلي سبيله، فأمر الطاغية بنقل الإمام من البصرة إلى بغداد:

(عن محمّد بن عليّ النوفلي قال: كان السبب في أخذ الرشيد موسى بن جعفر وحبسه أنه سعى به إليه جماعة وقالوا: إنّ الأموال تُحمل إليه من جميع الجهات والزكوات والأخماس، و إنّه اشترى ضيعة سمّاها اليسيرية بثلاثين ألف دينار، فخرج الرشيد في تلك

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٧٣.

السنة يريد الحجّ وبدأ بدخوله إلى المدينة، فلمّا أتاها استقبله موسى بن جعفر في جماعة من الأشراف، فلمّا دخلها واستقرّ ومضى كلٌّ إلى سبيله ذهب موسى على جاري عادته إلى المسجد و أقام الرشيد إلى الليل وصار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي أعتذر إليك من أمر أُريد أن أفعله وهو أن احبس موسى بن جعفر عليه السلام فإنه يريد التشتيت بين أُمّتك وسفك دمائهم، و إنّي أُريد حقنها. ثمّ خرج فأمر به فأُخذ من المسجد ودخل به إليه فقيّده في تلك الساعة واستدعى بقبّتين فجعل كلّ واحدة منهما على بغل فجعله في إحدى القبّتين وسترها بالسقلاط (ثياب رومية) وجعل مع كلّ واحدة منهما خيلاً وأرسل بواحدة منهما من على طريق البصرة وبواحدة [من] على طريق الكوفة، و إنّما فعل الرشيد ذلك ليُعمّي أمره على الناس. وكان موسى الكاظم في القبّة الّتي أرسل بها على طريق البصرة، وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلّموه إلى عيسى بن جعفر بن منصور وكان على البصرة يومئذ والياً، فسلّموه إليه، فتسلّمه منهم وحبسه عنده سنة.

فبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصّه وثقاته اللائذين به والناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتب به إليه الرشيد، فقالوا: نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وأن لا تقع فيه، فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول: يا أمير المؤمنين كتبت إليَّ في هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه في حبسي بمن حبسته معه عيناً عليه لتنظروا حيلته وأمره وطويته بمن له المعرفة والدراية ويجري من الإنسان مجرى الدم، فلم يكن منه سوء قطّ، ولم يذكر أمير المؤمنين إلاّ بخير، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية ولا خروج ولا شئ من أمر الدنيا، ولاقطّ دعا على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلاّ بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين، مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره وينفذ مَن يتسلّمه منّي و إلاّ خلّيت سبيله فإني منه في غاية الحرج) [1].

عيسى بن جعفر: هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور، ابن عم هارون، وأخو زوجته "زبيدة"، ولهذا لم يفكر بمعاقبته على رفضه امتثال أمره بقتل الإمام. والملفت أنّ

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ٩٥١ – ٩٥٤.

عيسى الذي نراه يتحرّج من قتل الإمام الكاظم عليه السلام لا يتحرج من حث هارون على قتل الإمام الرضا عليه السلام!

(عن موسى بن مهران قال: سمعت جعفر بن يحيى يقول: سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون حيث توجه من الرقة إلى مكة أذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب فإنك حلفت أن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً وهذا علي ابنه يدعي هذا الأمر ويقال فيه ما يقال في أبيه! فنظر إليه مغضباً فقال: وما ترى؟ تريد أن أقتلهم كلهم؟! قال موسى بن مهران: فلما سمعت ذلك صرت إليه (أي: الرضا): فأخبرته فقال عليه السلام: ما لي ولهم لا يقدرون إلي على شئ) [١].

وهذه بعض الأحداث قبل نقل الإمام إلى بغداد:

١- في مسيره إلى البصرة، التقى الإمام الكاظم بعبد الله بن مرحوم، ويبدو أنه تمكن من الحديث معه على انفراد وكان ثقة مأموناً عنده وعند أبيه [٢]، فدفع إليه كتباً وأمره بإيصالها إلى ولده الرضا عليه السلام وعرّفه بأنه الإمام من بعده:

(عن عبد الله بن مرحوم قال: خرجت من البصرة أريد المدينة فلما صرت في بعض الطريق لقيت أبا إبراهيم عليه السلام وهو يذهب به إلى البصرة فأرسل إلى فدخلت عليه فدفع إليّ كتباً وأمرني أن أوصلها بالمدينة فقلت: إلى من ادفعها جعلت فداك؟ قال: إلى ابني علي فإنه وصيي والقيم بأمري وخير بني) [٣].

٢- فور الوصول إلى البصرة، سلّم حسان السروي الإمام الكاظم عليه السلام إلى عيسى بن جعفر فسجنه وأغلق عليه أبواب السجن وكانت لا تفتح إلا في حالتين: عند خروجه للطهور، وعند إدخال الطعام. ثم إنّ خبر سجن الإمام انتشر بالبصرة فأوعز

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٦.

٢- عبد الله بن مرحوم الأزدي: أحد أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ١٠٦.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٦.

هارون إلى عيسى بقتل الإمام فطلب منه أن يعفيه وأرسل إليه من يتسلّمه منه وينقله إلى بغداد [١].

قضى الإمام عليه السلام وقته في سجن البصرة بالعبادة والدعاء، وسُمع عنه أحد أدعيته التي كان يقول فيها: "اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد" [٢].

٣- بالرغم من أنّ الإمام الكاظم عليه السلام قبل اعتقاله كان قد نصَّ على ولده علي الرضا عليه السلام من بعده وأعلم أهل بيته وخاصة أصحابه وشيعته بذلك [٣]، حتى روي أنه أعلم ستين شخصاً منهم بمجلس واحد [٤]، لكنه – توثيقاً للحجة وقطعاً للعذر– أكد وصاية ولده "علي" وإمامته بعده وهو في سجن البصرة أيضاً:

(عن الحسين بن المختار قال: خرجت إلينا ألواح من أبي إبراهيم موسى عليه السلام وهو في الحبس فإذا فيها مكتوب عهدي إلى أكبر ولدي.

١- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٨٢ – ٨٣.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٠.

٣- النصوص بذلك متواترة، وسيأتي ذكر بعضها في البحوث القادمة إن شاء الله، وهذا مثال لها:

(عن سليمان بن حفص المروزي قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام و انا أريد ان أسأله عن الحجة على الناس بعده فلما نظر إلي فابتدأني وقال: يا سليمان ان عليا ابني ووصيي والحجة على الناس بعدي وهو أفضل ولدي فان بقيت بعدي فاشهد له بذاك عند شيعتي وأهل ولايتي المستخبرين عن خليفتي من بعدي.

... عن عبد الله بن الحرث وأمه من ولد جعفر بن أبي طالب قال: بعث إلينا أبو إبراهيم عليه السلام فجمعنا ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قلنا لا قال: اشهدوا ان عليا ابني هذا وصيي والقيم بأمري وخليفتي من بعدي من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا ومن كانت له عندي عدة فليستنجزها منه ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٥، ٣٦.

٤- روى الصدوق بسنده: (عن علي بن عبد الله الهاشمي قال: كنا عند القبر نحو ستين رجلا منا ومن موالينا إذ أقبل أبو إبراهيم موسى جعفر عليه السلام ويد علي ابنه عليه السلام في يده فقال: تدرون من انا؟ قلنا: أنت سيدنا وكبيرنا فقال: سمّوني و انسبوني فقلنا: أنت موسى بن جعفر بن محمد فقال: من هذا معي؟ قلنا: هو علي بن موسى بن جعفر قال: فاشهدوا انه وكيلي في حياتي ووصيي بعد موتي) عيون أخبار الرضا: ١ / ٣٩.

... عن الحسين بن المختار قال لما مر بنا أبو الحسن عليه السلام بالبصرة خرجت إلينا منه ألواح مكتوب فيها بالعرض عهدي إلى أكبر ولدي) [١].

ثم إنّ هارون العباسي أمر بنقل الإمام الكاظم عليه السلام من البصرة إلى بغداد وتسليمه إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة فأمره هارون بقتل الإمام فأبى [٢]، فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فوضعه في داره و أكرمه، ثم أمره بقتله فلم يفعل فعاقبه وأمر بتسليم الإمام إلى السندي بن شاهك لعنه الله [٣]، في حادثة غامضة وغريبة سيأتي عرضها وتحليلها.

وعموماً، في أيام سجنه في دار الفضل بن الربيع، قضى الإمام الكاظم عليه السلام أيامه بالعبادة حتى انبهر ابن الربيع من شدة عبادته:

(عن أحمد بن عبد الله عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على السطح فقال لي: ادن فدنوت حتى حاذيته، فقال لي أشرف إلى بيت في الدار فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت ثوباً مطروحاً فقال لي: انظر حسنا فتأملت ونظرت فتيقنت فقلت: رجل ساجد، فقال لي: تعرفه قلت: لا، قال: هذا مولاك قلت ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل علي؟ فقلت: ما أتجاهل ولكني لا اعرف لي مولى فقال: أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال لي أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرتك بها أنه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٩.

٢- قد يبدو هذا غريباً في سيرة الطاغية هارون العباسي؛ إذ كيف يمكن لوزير أن يرفض طلبه! لكن يزول الاستغراب إذا ما عرفنا أنّ الربيع كان حاجباً ثم وزيراً لجدّه المنصور ثم أبيه "محمد المهدي"، وكان له دور في تثبت خلافة "المهدي = والد هارون" و إبعاد ابن عمه عيسى بن موسى العباسي، وبالتالي فالربيع له فضل على هارون و أبيه وجده، ولذلك عيّن "الفضل بن الربيع" وزيراً له ويعتبره واحداً من العباسيين ولا يخشى من تعاطفه أحياناً مع الإمام الكاظم. وهذا نص تاريخي يوضح مدى نفوذ الفضل عند هارون:

(كان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وجعفر والفضل ابناه صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي! فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة، ثم كان الفضل يغلب عليه) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢٩.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٠ – ٢٤٣.

سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، ..... فهذا دأبه مند حول إلي فقلت: اتق الله ولا تحدثن في أمره حدثاً تكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنه لم يفعل بأحد منهم إلا كانت نعمته زائلة، فقال قد أرسلوا إلي غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني .....) [١]. ثم ذكر أنّ الإمام سُمَّ وقُتل في دار الفضل بن يحيى البرمكي!

مسألة سُمِّ الإمام في دار الفضل بن يحيى البرمكي أمر خاطئ أيضاً؛ إذ كيف يُسمّ الإمام والحال أنّ الفضل بن يحيى أكرم الإمام ووسّع عليه في داره وامتنع عن تنفيذ أمر هارون العباسي بقتل الإمام، وتعرّض بسبب ذلك إلى الضرب والإهانة ولعن الخليفة [٢]!

الصحيح أنّ الإمام سُمَّ في سجن السندي بن شاهك لعنه الله وعلى يده، وهو السجن المعروف بـ"سجن المسيب"؛ باعتبار أنّ المسيب بن زهير كان ولي شرطة هارون قبل السندي فعُرف السجن باسمه. علماً، أنّ المسيب اهتدى للحق على يد الإمام الكاظم في سجنه الأول، ولذا كان يزوره ويتواصل معه في سجنه الثاني، وكان ممّن نعى الإمام إليهم نفسه قبل شهادته بأيام كما سنرى.

رغم السنين التي قضاها الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه في سجون هارون العباسي (فقد قضى في سجنه الثاني أربع سنين تقريباً قبل شهادته، وحتى في سني سجنه الأول) إلا أنّ أنه ترفّع عن مطالبة الطاغية بالإفراج عنه، وهو بهذا اختار أن يكون مرآة صافية تعكس صبر جده الحسين صلوات الله عليه:

(قيل لموسى بن جعفر، وهو في الحبس: لو كتبت إلى فلان يكلّم فيك الرشيد؟ فقال: حدثني أبي عن آبائه أن الله عزوجل أوحى إلى داود: يا داود! إنه ما اعتصم عبد من عبادي

١- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢١٦ – ٢١٧.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٠ – ٢٤٣.

بأحد من خلقي دوني عرفت ذلك منه إلا وقطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحته) [١].

وهو في طامورة سجنه، بعث إلى هارون رسالة قال فيها: "إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون" [٢].

أيضاً: كانت واحدة من أساليب هارون القذرة، وهو أسلوب يتبعه الطغاة إلى يوم الناس هذا، أنه أمر بإرسال جارية جميلة إلى الإمام وهو في حبس السندي بن شاهك لعنه الله، لكنها تأثرت به وعزفت روحها عن الدنيا وماتت قبل شهادته بأيام [٣].

طالت أيام سجن الإمام الكاظم عليه السلام عند السندي بن شاهك، وفي ذات مرة تمكّن معلم ولد السندي (موسى بن إبراهيم المروزي) من التواصل مع الإمام وسؤاله مجموعة من الأسئلة، ثم ألّف كتاباً جمع فيه ما سمعه منه [٤].

كما تمكّن وهو في سجنه من أن يعيّن جماعة من تلاميذه وأصحابه فجعلهم وكلاء له في بعض المناطق وأرجع إليهم شيعته في أحكام الدين وقبض الحقوق، فمثلاً: نصّب المفضل بن عمر على قبض الحقوق وأذن له في صرفها على المستحقين، و أيضاً: عيّن حيان السراج وزياد بن مروان القندي وعلي بن أبي حمزة وكلاء له، لكن هؤلاء خانوا الله ووليه

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤١٤.

٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٣ / ٣٣.

٣- روى ابن شهرآشوب: (انّ هارون الرشيد انفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن فقال: قل له: بل أنتم بهديتكم تفرحون لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها. قال: فاستطار هارون غضبا وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك خدمناك و اترك الجارية عنده و انصرف. قال: فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه و انفذ الخادم إليه ليتفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانك سبحانك، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، ... فما زالت كذلك حتى ماتت وذلك قبل موت موسى بأيام يسيرة) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٤١٥ – ٤١٦.

٤- انظر: إيضاح الاشتباه، العلامة الحلي: ٢٩٦.

وضعفت نفوسهم أمام الأموال التي تكدست عندهم فاشتروا بها الضياع والقصوردانوا بالوقف و أنكروا إمامة الرضا عليه السلام، كما سيتضح.

شهادة الإمام الكاظم(ع):

كانت للطاغية هارون العباسي أكثر من محاولة لقتل الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجن السندي بن شاهك ببغداد، إحداها محاولة اغتياله برطب مسموم [١].

ثم إنّ الإمام بدأ ينعى نفسه لبعض أصحابه ومواليه، مثل: علي بن سويد:

(عن علي بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتابا أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فاحتبس الجواب عليّ أشهر ثم أجابني بجواب هذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة، فمصيب ومخطئ، وضال ومهتدي، وسميع وأصم وبصيروأعمى حيران، فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله أما بعد: فإنك أمرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة وحفظ مودة ما استرعاك من دينه وما ألهمك من رشدك وبصرك من أمر دينك بتفضيلك إياهم وبردك الأمور إليهم، كتبت تسألني عن أموركنت منها في تقية ومن كتمانها في سعة فلما انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم، فاتق الله عزذكره وخص بذلك الامر أهله واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشا عليهم (أي: مغرياً بهم) بإفشاء ما استودعتك وإظهار ما استكتمتك ولن تفعل إن شاء الله، إن أول ما أنهى إليك أني أنعي إليك نفسي في ليالي هذه غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن مما قد قضى الله عزوجل وحتم فاستمسك بعروة الدين آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي والمسالمة لهم والرضا بما قالوا ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ولا تحبن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله

١- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٩٤ – ٩٥.

ورسوله وخانوا أماناتهم وتدري ما خانوا أماناتهم ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه ودلوا على ولاة الامر منهم فانصرفوا عنهم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على الفقراء والمساكين و أبناء السبيل وفي سبيل الله فلما اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهما فلما أحرزاه توليا إنفاقه أيبلغان بذلك كفراً؟ فلعمري لقد نافقا قبل ذلك وردا على الله عزوجل كلامه وهزئا برسوله صلى الله عليه وآله وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين والله ما دخل قلب أحد منهما شئ من الايمان منذ خروجهما من حالتيها وما ازدادا إلا شكّاً، كانا خداعين، مرتابين، منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخزي في دار المقام. وسألت عمّن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر فأولئك أهل الردة الأولى من هذه الأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا وهو على ثلاثة وجوه ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

وسألت عن أمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم فأما أمهات أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة نكاح بغير ولي وطلاق في غير عدة وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكه.

وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحق به لأنا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم و أين كان، وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم يرفع إليه حجة ولم يعرف الاختلاف فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف، وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عزوجل ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا.

وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته ولا تحصن بحصن رياء ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف منا خلافه فإنك لا تدري لما قلناه وعلى أي وجه وصفناه، آمن بما أخبرك ولا تفش ما استكتمناك من خبرك. إن واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك، وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمنين الغش ولا الأذى ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به، فإذا رأيت المشوه الاعرابي في جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عز وجل بالمجرمين فقد فسّرت لك جملاً مجملاً وصلى الله على محمد وآله الأخيار) [١].

إجابة الإمام (وهو في سجنه) لأسئلة علي بن سويد يؤكد حقيقة أنّ سجانين كثر تأثروا بأخلاق الإمام وورعه وعبادته وصاروا يتعاطفون معه بدون علم سلطات هارون الظالمة، ولهذا كانت السلطات تعمد إلى تغيير السجانين بين فترة وأخرى، وعرفنا أنه عليه السلام قام بنصب بعض الوكلاء عنه لأداء بعض المهام من خلال "الرقاع" التي كانت تخرج منه وتدخل إليه وهو في السجن.

أخت السندي بن شاهك كانت من ضمن من تأثر بالإمام الكاظم عليه السلام، وكانت تقول: "خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل" [٢]!

١- الكافي، الكليني: ٨ / ١٢٤ – ١٢٦.

٢- روى الخطيب البغدادي بسنده عن: (عمار بن أبان قال: حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك ، فسألته أخته أن تتولى حبسه - وكانت تتدين - ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر قليلا حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه. فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل، وكان عبدا صالحا) تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٢. وانظر أيضاً: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٦٤.

ومما يثير الانتباه أنّ الإمام الكاظم عليه السلام أخبر يحيى بن خالد البرمكي بوفاته قبل أسبوع وطلب منه أن يصلي عليه ويبلغ هارون بالخبر:

(قال محمد بن عباد: فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد: أن أبا إبراهيم عليه السلام قال ليحيى: يا أبا علي أنا ميت، و إنما بقي من أجلي أسبوع، أكتم موتي و ائتني يوم الجمعة عند الزوال، وصلِّ عليَّ أنت وأوليائي فرادى، و انظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة، وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفسك، فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه أنه يأتي عليكم فاحذروه. ثم قال: يا أبا علي أبلغه عني: يقول لك موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى، وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه، والسلام.

فخرج يحيى من عنده، واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته وما رد عليه، فقال [له] هارون: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا) [١].

قول هارون: "إن لم يدع النبوة ..." يقصد به أنه من أين له أن يعرف الغيب إلا إذا كان يريد أن يدعي النبوة!

قلت: يثير الانتباه؛ باعتبار أنّ المعروف تاريخياً (بحسب المؤرخين والمحدثين وحتى الباحثين) عن البرامكة عداؤهم للإمام الكاظم، ومن ثمَّ:

- كيف طلب الإمام من يحيى البرمكي أن يصلي عليه مع بعض مواليه "شيعته"؟
- لماذا كشف ليحيى (وهو رئيس وزراء هارون) بعض شيعته مع خطورة الوضع؟!
- ولماذا طلب الإمام أن تكون الصلاة عليه "فرادى" بالخصوص؟!
- ولماذا حذّر يحيى وولديه من هارون: " فإني رأيت ... أنه يأتي عليكم فاحذروه"؟!
- و أيضاً: لماذا احمرت عيناه من شدة بكائه على الإمام؟!

١- الغيبة، الطوسي: ٢٥.

ستتضح إجابة هذه التساؤلات لاحقاً.

و أيضاً: نعى الإمام الكاظم عليه السلام نفسه للمسيب بن زهير[١]:

عن عمربن و اقد: (..... ثم إنّ سيدنا موسى عليه السلام دعا بالمسيب (بن زهير) وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به فقال له: .... ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل إلى الله عزوجل في ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال لي: لا تبكِ يا مسيب فان علياً ابني هو إمامك ومولاك بعدي فاستمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته فقلت: الحمد لله قال: ثم إن سيدي عليه السلام دعاني في ليله اليوم الثالث فقال لي: إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله عزوجل فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني واصفر لوني واحمر وأخضر وتلون ألواناً فخبر الطاغية بوفاتي فإذا رأيت بي هذا الحدث فإياك ان تظهر عليه أحداً ولا على من عندي إلا بعد وفاتي. قال المسيب بن زهير: فلم أزل أرقب وعده حتى دعا عليه السلام بالشربة فشربها ثم دعاني فقال لي: يا مسيب ان هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني هيهات هيهات أن يكون ذلك ابدا! فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات ولا تأخذوا من تربتي شيئا لتتبركوا به. فإن كل تربه لنا محرمة إلا تربه جدي الحسين بن علي عليهما السلام فإن الله تعالى جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا قال: ثم رأيت شخصاً أشبه الاشخاص به جالساً إلى جانبه وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى عليه السلام فقال: أليس قد نهيتك يا مسيب؟! فلم أزل صابراً مضى وغاب الشخص ثم أنهيت الخبر إلى الرشيد فوافى السندي بن شاهك فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكن في فأني امامك ومولاك وحجة

١- أحد رجالات الدولة العباسية وصديق يحيى بن خالد البرمكي، ولي شرطة بغداد في أيام المنصوروالمهدي والرشيد (انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٣٠٢؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٣ / ١٣٨). كان مسؤولاً عن سجن الإمام الكاظم الأول، وهداه الله على يديه، وفي سجنه الثاني صار يتواصل معه، ولعمله في أجهزة الدولة كان يتمكن من زيارة الإمام في سجنه.

الله عليك بعد أبي عليه السلام يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون ثم حمل عليه السلام حتى دفن مقابر قريش ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به ثم رفعوا قبره بعد ذلك وبنوا عليه) [١].

وعن الحسن بن محمد بن بشار عن شيخ من العامة، قال: (جمعنا أيام السندي بن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير، فأدخلنا على موسى بن جعفر عليهما السلام فقال لنا السندي: يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به ويكثرون في ذلك وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق ولم يرد به أمير المؤمنين سوءا و إنما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين وهذا هو صحيح موسع عليه في جميع أموره، فسلوه، قال: ونحن ليس لنا هم إلا النظر إلى الرجل والى فضله وسمته فقال موسى بن جعفر عليهما السلام: أما ما ذكر من التوسعة وما أشبهها فهو على ما ذكر غير أني أخبركم أيها النفر أني قد سقيت السم في سبع تمرات و أنا غداً أخضر وبعد غد أموت قال: فنظرت إلى السندي بن شاهك يضطرب ويرتعد مثل السعفة) [٢].

وفي تحديد من سمّه وردت عدة روايات [٣]، الصحيح منها – بحسب ما عرفته من السيد أحمد الحسن – أنّ السندي بن شاهك لعنه الله هو من سمَّ الإمام الكاظم بأمر من هارون العباسي:

(عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: سمعت أبي يقول: ...... فما مضت ذلك إلا أيام يسيره حتى حمل موسى بن جعفر عليهم السلام سرا إلى بغداد وحبس ثم أطلق ثم حبس ثم سلم إلى السندي بن شاهك فحبسه وضيق عليه ثم بعث الرشيد بسم في رطب وأمره ان يقدمه إليه ويحتم عليه في تناوله منه ففعل فمات صلوات الله عليه) [٤].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٩٤ – ٩٦.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٥٨ – ٢٥٩.

٣- منها: انه يحيى البرمكي (انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٦٣ – ٨٦٤)، ومنها: انه الفضل بن يحيى (انظر: الأمالي، الصدوق: ٢١١ – ٢١٢)، لكن الصحيح ما أثبتناه.

٤- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٨٢ – ٨٤.

(وروي: أنه عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل السندي بن شاهك أن يحضره مولى له مدنياً ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب، ليتولى غسله وتكفينه، ففعل ذلك. قال السندي بن شاهك: وكنت أسأله في الإذن لي في أن أكفنه فأبى، وقال: "إنا أهل بيت، مهورنسائنا وحج صرورتنا و أكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفن، وأريد أن يتولى غسلي وجهازي مولاي فلان" فتولى ذلك منه) [١].

ولأجل تبرئة ساحة طاغيته اللعين، جمع السندي بن شاهك جماعة ممّن يعرفون الإمام موسى بن جعفر وأشهدهم على موته وأنّ جسده صحيح ليس به أثر من جراحة ونحوها، فشهدوا وكتبت شهاداتهم وأسماؤهم [٢].

وبعد شهادة الإمام الكاظم صلوات الله عليه، أخرجه السندي وألقاه على جسر الرصافة ببغداد تنظر إليه المارّة ومناديه ينادي: "هذا إمام الر افضة"! فتعالت الأصوات

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٣؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٣٦.

٢- روى الصدوق بسنده عن: (عمر بن و اقد قال: أرسل السندي بن شاهك في بعض الليل و انا ببغداد يستحضرني فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي قال: فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت: انا لله و انا إليه راجعون ثم ركبت إليه فلما رآني مقبلاً قال: يا أبا حفص لعلنا أرعبناك و أفزعناك؟ قلت: نعم قال: فليس هناك الا خير قلت: فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم بخبري قال: نعم ثم قال: يا أبا حفص أتدري لم أرسلت إليك؟ فقلت: لا قال: أتعرف موسى بن جعفر عليهما السلام؟ قلت: أي والله انى لأعرفه وبيني وبينه صداقة منذ دهر فقال: من ههنا ببغداد يعرفه ممن يقبل قوله؟ فسميت له أقواما ووقع في نفسي انه عليه السلام قد مات قال: فبعث فجاء بهم كما جاء بي فقال: هل تعرفون قوما يعرفون موسى بن جعفر؟ فسموا له قوما فجاء بهم فأصبحنا ونحن في الدار نيف وخمسون رجلا ممن يعرف موسى بن جعفر عليهما السلام وقد صحبه قال ثم قام ودخل وصلينا فخرج كاتبه ومعه طومار وكتب أسماؤنا ومنازلنا وأعمالنا وحلانا ثم دخل إلى السندي قال: فخرج السندي فضرب يده فقال لي: قم يا أبا حفص فنهضت ونهض أصحابنا ودخلنا فقال لي: يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر فكشفته فر أيته ميتا فبكيت واسترجعت ثم قال للقوم: انظروا إليه فدنا واحد واحد فنظروا إليه ثم قال: تشهدون كلكم ان هذا موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام قال: قلنا: نعم نشهد أنه موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام ثم قال: أترون أثراً تنكرونه؟ فقلنا: لا ما نرى به شيئا ولا نراه ميتا قال: فلا تبرحوا حتى تغسلوه وتكفنوه قال: فلم نبرح حتى غسل وكفن وحمل إلى المصلى فصلى عليه السندي بن شاهك ودفناه ورجعنا. وكان عمر بن و اقد يقول: ما أحد هو اعلم بموسى بن جعفر عليهما السلام منى كيف يقولون إنه حي و انا دفنته؟!) عيون أخبار الرضا: ١ / ٩١ – ٩٢.

وسمع سليمان بن أبي جعفر المنصور "عم هارون" [١] وهو في قصره المطل على نهر دجلة، فأبلغوه بالخبر فأمر أولاده وغلمانه بأخذ جنازة الإمام من أيدي شرطة السندي وقام بتجهيزه ودفنه في مقابر قريش ببغداد حيث قبره الشريف الآن [٢].

وبحسب بعضهم: بقي جثمان الإمام ثلاثة أيام مطروحاً لم يوارى الثرى [٣]. ولا غرابة من قساوة الدنيا وأهلها مع سادة أولياء الله، فقبله جده الحسين صلوات الله عليه بقي ثلاثة أيام مطروحاً على رمضاء كربلاء تسفو عليه رياح الصحراء بلا غسل ولا كفن، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

رحل الإمام موسى بن جعفر إلى الله بعد أن قضى (ما مجموعه) خمسة عشر عاماً في سجون هارون بحسب بعض الروايات [٤]، وكانت شهادته في يوم الجمعة المصادف: ٢٥ من شهر رجب سنة ١٨٣ هـ بعمر ٥٤ – ٥٥ عاماً.

١- سليمان ابن المنصور، كان أحد القادة الذي بعثهم الخليفة العباسي موسى الهادي إلى مكة للقضاء على ثورة الحسين بن علي "صاحب فخ" كما تقدم.

٢- روى الصدوق بسنده: (عن الحسن بن عبد الله الصيرفي عن أبيه قال: توفي موسى بن جعفر عليهما السلام في يد السندي بن شاهك فحمل على نعش ونودي عليه: هذا امام الرافضة فاعرفوه فلما اتى به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا: إلا من أراد ان يرى الخبيث بن الخبيث فليخرج وخرج سليمان بن أبي جعفر الجعفري عن قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لغلمانه ولولده: ما هذا؟ قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر عليهما السلام على نعشه فقال لولده وغلمانه: يوشك ان يفعل هذا به في الجانب الغربي فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فان مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد فلما عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا عليهم من سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق و أقام المنادي ينادي: إلا ومن أراد ان يرى الطيب بن الطيب موسى بن جعفر عليهما السلام فليخرج وحضر الخلق وغسل وحنط بحنوط فاخر وكفنه بكفن فيه حبره استعملت بألفين وخمس مائه دينار عليها القرآن كله واحتفى ومشى في جنازته متسلبا (أي: كما يلبس صاحب المصيبة) مشقوق الجيب إلى مقابر قريش فدفنه عليه السلام هناك وكتب بخبره إلى الرشيد فكتب الرشيد إلى سليمان بن أبي جعفر وصلتك رحم يا عم وأحسن الله جزاك والله ما فعل السندي شاهك لعنه الله تعالى ما فعله عن أمرنا) عيون أخبار الرضا: ١ / ٩٣.

٣- انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ١٨٥.

٤- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٩٢.

ولكثرة طول مدة حبسه وغربته وبعده عن عياله وأصحابه، ولشدة ما لاقاه من أذى وعذاب هارون العباسي، وصف موته بـ"الفرج" [١]!

أما لماذا نعت موته بالفرج؟ يقول السيد أحمد الحسن:

(بالتأكيد، الإمام الكاظم صلوات الله عليه يرى خروجه من الدنيا فرج وراحة.

لولا أمر الله وحكمة الله ولولا نصرة الله سبحانه وتعالى، إن حسبنا – بفضله – معه ووفقنا لنصرة دينه، لولا ذلك فالدنيا وأهلها لا تستأهل العيش والبقاء فيها.

الحكماء لا ينشغلون بها.

وماذا بوسع الإنسان أن يجني منها وهي مزبلة وقذارة منبوذة!

أهل الدنيا جوارهم ألم! فهم بلا فهم ولا علم ولا ورع ومع هذا تراهم يتقافزون كالقرود فوق رؤوس أولياء الله والصالحين!

هذا قدر الحياة الدنيا!

أنبياء الله الذي رووا لأقوامهم السومريين مصيبة الإمام الحسين ونُقلت في ألواحهم على شكل قصائد – لأن القصة لم تكن موجودة بعدُ – أوضحت حال الناس "أهل الدنيا" وكيف كانوا يتقافزون فوق رأس الحسين صلوات الله عليه وينبتون قصبهم وأعوادهم في صدره الشريف!

هذا هو حال الناس والجيش الذي قاتل الإمام الحسين!

١- وهذا واضح في أدعيته وكلامه لمن نعى إليهم نفسه.

والمؤلم، أنّ القريبين منه لم ينصروه، مع أنهم يعرفون جيداً من هو الحسين، أمثال: عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وعمر بن علي، هذا حال القريبين فما بالك بالبعيدين عنه!

والمصيبة أنّ هؤلاء أنفسهم ذهبوا بعد قتله بفترة وجيزة ليبايعوا عبد الله بن الزبير أو يبايعوا الأمويين!

فلا نصروا الحسين، ولا اجتنبوا الظالمين.

من قاتلوا الحسين كانوا مجموعة من الشياطين، وكانوا فرحين ويضربون الطبول ويتراقصون على المذبحة التي عملوها!

ومن لم يشترك بقتله جلس ينظر إلى المذبحة!

الحسين هو خير خلق الله، وهذا حاله في هذه الدنيا!

الحسين هو العمود الأساسي لخيمة الخلق، هو عمود عرش الله "الخلق"، هو فداء العرش الذي تواصى به الأنبياء واحد فواحد، ومع هذا جرى معه ما جرى فكيف لا يرى موسى بن جعفر الخلاص من هذه الدنيا راحة؟!) انتهى [1].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

ما حلّ بالبرامكة نكبة أم نعمة؟

من هم البرامكة؟

البرامكة: أسرة فارسية، أصلها من "بلخ" في شمال أفغانستان قرب مدينة "مزار شريف" حالياً، اشتهر اسمها وذاع صيتها أيام الدولة العباسية.

من أشهر شخصيات الأسرة هو خالد بن برمك المولود سنة ٩٠ هـ. أول من أسلم من العائلة و انضم إلى حركة الموالي الذين ساندوا الثورة العباسية ضد الحكم الأموي. وبمرور الوقت أصبح خالد من رجال الثورة والدعاة البارزين فيها ومن المقرّبين لأبي مسلم الخراساني و أبي سلمة الخلال. ثم لمع نجمه أكثر لما سلّمه الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح ديوان الخراج والجند (بمثابة: وزراتي المالية والدفاع) لقوة إدارته وشدة شجاعته وحنكته في الحروب، ثم اتخذه وزيراً بعد أبي سلمة الخلال مباشرة [١]. وفي أيام خلافة المنصور أقرّه على الوزارة فترة، وكان هو المخطط لبناء بغداد كعاصمة لدولة الخلافة [٢]، ثم استعان به في تهدئة بلاد المشرق واستتباب وضعها لصالح العباسيين وولّاه فارس والمشرق عموماً، ثم استعان به أيضاً في تهدئة الأوضاع في الموصل والجزيرة بعد نقضهما بيعة العباسيين، وأوكل ولايتهما إليه. و أيضاً: كان له دور في تنحية عيسى بن موسى (ابن عم المنصور) عن ولاية العهد و إقناعه ببيعة محمد المهدي (ابن المنصور ووالد هارون) كولي عهد للمنصور في سنة ١٤٧ هـ بعد أن عجز المنصور عن إقناع ابن عمه واستعان بخالد لإقناعه فتمكن من ذلك، وشكر له المنصور فعله، وكان "المهدي" العباسي يذكر ذلك له ويعترف بجزالة رأيه [٣]. كان معروفاً عن خالد النباهة وحدّة الذكاء والخبرة في أمور السياسة والإدارة. توفي سنة ١٦٥ هـ [٤].

١- انظر: البدء والتاريخ، المقدسي: ٤٧٩؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٦ / ٢١٩.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٣ / ٣٨٩.

٣- تاريخ الطبري: ٦ / ٢٧٩ – ٢٨٠.

٤- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٦ / ٧ – ٨؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٧ / ٢٢٩.

خلف خالد ابنه يحيى في الوجاهة والقرب من العباسيين، ولد يحيى سنة ١٢٠ هـ، وعاش أحداث ثورة العباسيين كما شارك أباه أيام وزارته للسفاح والمنصور فورث منه حدة الذكاء واستفاد من خبرته وتدبيره، لذلك ولّاه المنصور آذربيجان سنة ١٥٨ هـ وهي ولاية مهمة؛ لأنها تعد ثغر بلاد المسلمين. ثم انتدبه المهدي العباسي أيام خلافته ليكون كاتبه ووزيره ومؤدباً لولديه "موسى الهادي وهارون الرشيد". ولشدة قربه من الخليفة "المهدي" قامت زوجته "الخيزران" بإرضاع الفضل بن يحيى مع ولدها هارون، فأصبحا أخوين بالرضاعة، وكان ولده الآخر جعفر أقرب أصدقاء هارون إليه. وكان هارون ينادي يحيى: "ابتي" [1]!

ولما قرّر موسى الهادي أيام خلافته عزل أخيه هارون عن ولاية العهد وتنصيب ولده جعفر بدلاً منه، كان ليحيى موقف رافض وحرّض هارون على رفض قرار أخيه، فسجنه موسى الهادي وجرّده من كل مسؤولياته وكاد أن يقتله لولا موته! وفور بيعة هارون بالخلافة قلّد يحيى منصب الوزارة، وسلّمه مقاليد الحكم يتصرف بها كيف يشاء بما في ذلك مهام النصب والعزل وحركة الجيش ونحو ذلك [2]، لا يشاركه في إدارتها أحد غير أم هارون "الخيزران" كما عرفنا.

كان ليحيى أربعة أولاد، هم: الفضل وجعفر ومحمد وموسى، يستعين بهم في عمله ووزارته للرشيد؛ خصوصاً الفضل وجعفر اللذين حظيا بالنصيب الأكبر في الحكم أيام خلافة هارون، فقد ولّى الفضل على المشرق كله (من النهروان إلى أقصى بلاد الترك)، وولّى جعفراً على المغرب كله (من الأنبار إلى أفريقيا)، إضافة إلى تمتعهما بصلاحيات والدهما "الوزير"، و أيضاً: عهد إلى الفضل تربية ولده الأمين، وإلى جعفر تربية ولده المأمون [3].

١- انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢ / ٣٣٢؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٣٣٧.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٠٦، ١٤٥.

٣- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٩ / ٩٢.

(كان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وجعفر والفضل ابناه صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي! فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة، ثم كان الفضل يغلب عليه) [١].

لماذا فتك هارون بالبرامكة؟

بعد شهادة الإمام الكاظم بأربع سنين، وفي حدث عدّه المؤرخون مبهماً [٢] انقلب هارون على البرامكة انقلاباً يثير الدهشة! إذ أقدم في مطلع عام ١٨٧ هـ على الانتقام منهم فيما بات يُعرف تاريخياً بـ"نكبة البرامكة" التي أصبحت مثاراً للجدل والتساؤل عن السبب الذي دعا هارون إلى أن ينتقم منهم ويفتك بهم بطريقة بشعة جداً!

بعض المؤرخين والباحثين [٣] اعتبروا دوافع الانتقام سياسية وشخصية؛ إذ (بحسب هؤلاء) خشي هارون منهم على ملكه بعد تعاظم نفوذهم واستبدادهم بالتصرف وسعة صلاحياتهم التي ابتلعت الدولة وصيّرته على الهامش!

لكنه تعليل غير واقعي ولا يصمد أمام النقاش العلمي الموضوعي، فالبرامكة لم ينتزعوا النفوذ والسلطة من يد هارون بالقوة أو باستخدام دهاء وتخطيط اكتشفه هارون في فترة متأخرة من حكمه، ولا أنّ الصلاحيات التي كانوا يتمتعون بها حصلوا عليها نتيجة سوء استغلال للمنصب مثلاً! فمسألة نفوذ يحيى البرمكي وقربه من خلفاء بني العباس أمر يعلم به الجميع على مدى عقود من الزمن، وليس الأمر بدأ في زمن هارون إنما كان له وجود في عهد جده "المنصور" ثم أبيه "المهدي العباسي" الذي قرّب يحيى إليه إلى درجة أنه سمح لزوجته "الخيزران" بإرضاع الفضل بن يحيى مع ولده هارون، وكان يحيى شريكاً مع الخيزران في عملية تثبيت خلافة هارون وكان يعتبره صاحب فضل عليه ومن ثمَّ سلّمه إدارة الدولة وأعطاه كافة الصلاحيات، ثم ضم له ولديه جعفر والفضل لاحقاً!

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢٩.

٢- قال اليعقوبي: (وأكثر الناس في أسباب السخط عليهم مختلفون) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢٢.

٣- انظر على سبيل المثال: تاريخ ابن خلدون: ١ / ١٥؛ هارون الرشيد، د. عبد الجبار الجومرد: ٢ / ٤٦٠.

بالتالي، فلو افترضنا أنّ هارون فعلاً خشي على ملكه من يحيى وولديه كان بوسعه أن يوقف تلك الصلاحيات والنفوذ بمرسوم، أو أن يعمد إلى تحجيمهم بطرق كثيرة من قبيل سجنهم مثلاً، أو حتى تصفيتهم جسدياً بشكل تدريجي كحد أقصى للعقوبة، بدل الفتك الذي أنزله بهم دفعة واحدة، علماً أنه تنكيل وفتك طال عوائلهم وذراريهم وموالهم ومن يأويهم بل ومصادرة أموالهم أيضاً!

بعض آخر من الباحثين أرجعوا السبب إلى التحريض الذي مارسه الفضل بن الربيع بدافع نفعي؛ إذ كان يطمح إلى الانفراد بالوزارة والقرب من هارون بعد انفراد البرامكة بهذه المنزلة، وربما ساندته في ذلك "زبيدة" التي كانت ترجو زوال سلطة البرامكة [١]!

وهو تعليل غير كافٍ في تفسير ما حلَّ بالبرامكة أيضاً، فليست منزلتهم عند هارون أمراً عابراً أو طارئاً يمكن أن يؤثر عليه تحريض أحد وإن كان بحجم حاجب "ابن الربيع" أو حتى "زبيدة"، ولا أنّ العلاقة بين الأسرتين العباسية والبرمكية أمر جديد لفت انتباه ابن الربيع أو "زبيدة" والحال أنها موجودة قبل أن يولدا أصلاً؛ إذ جذورها تمتد إلى خالد بن برمك كما عرفنا. ثم من يكون ابن الربيع في قبال يحيى البرمكي الذي كان هارون يناديه: "أبي" وسلّمه "الجمل بما حمل" كما يقال! ومن يكون في قبال الفضل وجعفر ابني يحيى اللذين نشآ مع هارون وكبرا معه، حتى إنه كان يُلبس جعفراً رداء الخلافة الخاص به مع أنه لا يلبسه أحد غيره إطلاقاً [٢]!

أما تحريض "زبيدة"، فحتى لو افترضنا أنه أثّر بدرجة ما لكنه أبداً لا يفسّر مسألة شدة فتك هارون بهم بنحو لم يسلم منه حتى أطفالهم ونسائهم وموالهم!

١- انظر: مأساة البرامكة، مؤسسة هنداوي. متاح على:

https://www.hindawi.org/books//٩/٥١٧١٩٦٠٨

٢- الدميري: (وكان الرشيد يسميه (جعفر) أخاً، ويدخله معه في ثوبه) حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ١٧٧. "يدخله معه في ثوبه": كان هارون الرشيد أمر بخياطة ثوب خاص بالخلافة يرتديه هو وجعفر بن يحيى معاً لتأكيد قربه له.

و أيضاً: لا يمكن قبول أن يكون جرم البرامكة وجود علاقة بين جعفر البرمكي وبين العباسة أخته [١]! فهو تسفيه وتبسيط للأمور إلى مستوى تافه جداً ربما لا يستحق الرد أصلاً، وقد جزم كثيرون بأنها مجرد حكاية موضوعة لا أصل لها [٢].

نعم، في حالة واحدة يمكن أن تهتز العلاقة بين الأسرتين وتستوجب الفتك والتصفية الجماعية بالشكل الذي قام به هارون وطال كل ما يمت للبرامكة بصلة، والحالة هي: أنّ هارون علم بأنّ البرامكة ارتكبوا جرماً خطيراً جداً يعد (بنظره) بمستوى الخيانة والانقلاب عليه!

وعموماً، فقد تعمّد هارون أن يخفي سبب إقدامه على التنكيل بالبرامكة:

(و انصرف الرشيد، فنزل الحيرة فأقام أياماً، ثم مضى على طريق البرية، فنزل بموضع من الأنبار يقال له الحرف، بدير يقال له العمر، و أقام يومه، وقتل جعفر بن يحيى بن خالد وزيره في تلك الليلة بغير أمر متقدم قبل ذلك، وأصبح، فحمله إلى بغداد، فقطع ثلاث قطع، وصلب على جسر بغداد، ولبغداد يومئذ ثلاثة جسور، وحبس يحيى بن خالد بن برمك وولده وأهل بيته، واستصفى أموالهم، وقبض ضياعهم، وقال: لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعتها) [٣].

نصوص تاريخية تلقي بظلالها على الحدث:

النص الأول: رواه بعض المؤرخين، يخص مسألة السجن الأخير للإمام الكاظم وشهادته صلوات الله عليه:

روى المفيد: (فوجّه الرشيد من تسلّمه من عيسى بن جعفر، وصيّر به إلى بغداد، فسُلّم إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة فأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى،

١- انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٤٨٩.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٢٠٤؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٩ / ٦٦.

٣- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢١ – ٤٢٢.

فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلّمه منه، وجعله في بعض حجر داره ووضع عليه الرصد، وكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة يحيي الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاءً واجتهاداً، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه من المحراب، فوسّع عليه الفضل بن يحيى و أكرمه. فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقة فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسروراً الخادم فقال له: اخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد، وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومره بامتثال ما فيه. وسلّم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد. فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس بن محمد، فدعا العباس بسياط وعقابين [1] وأمر بالفضل فجُرّد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل، وجعل يسلّم على الناس يميناً وشمالاً.

وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه لعنه الله. فلعنه الناس من كل ناحية، حتى ارتج البيت والدار بلعنه. وبلغ يحيى بن خالد [2] الخبر، فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي تدخل الناس منه، حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال له: التفت - يا أمير المؤمنين - إلي، فأصغى إليه فزعاً، فقال له: إن الفضل حدث، و أنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسُرَّ، و أقبل على الناس فقال: إن الفضل كان قد عصاني في شئ فلعنته، وقد تاب و أناب إلى طاعتي فتولوه. فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت وقد توليناه.

١- آلتان تستعملان في إنزال العقوبة.

٢- يحيى بن خالد: هو والد "الفضل بن يحيى البرمكي"؛ وزير هارون.

ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلك أياماً، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامتثله. وكان الذي تولّى به السندي قتله عليه السلام سمّاً جعله في طعام قدّمه إليه، ويقال: إنه جعله في رطب أكل منه فأحس بالسم، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه، ثم مات في اليوم الثالث) [١].

ابتداءً، ينبغي معرفة أنّ ما ورد في خاتمة الرواية: "ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامتثله" قد يفهم منه أنّ يحيى البرمكي هو من أصدر الأمر بسم الإمام، وربما ذهب لهذا الرأي بعض المؤرخين أيضاً، لكنه أمر خاطئ وغير صحيح، وصدر الرواية نفسها يثبت أنّ السندي بلغه كتاب خاص من هارون وصار يأتمر بأمر العباس بن محمد وليس بأمر آل برمك: "... فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومره بامتثال ما فيه. وسلّم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد"!

العباس بن محمد: محمد هو "المنصور العباسي"، فالعباس هو عم هارون، والملفت أنّ هارون لم يعتمد على أحد من أعمامه قبل هذه الحادثة؛ لأنه أوكل الحكم والصلاحيات بتمامها إلى يحيى البرمكي وولديه الفضل وجعفر. نعم، كان أخوه موسى الهادي يعتمد على بعض أعمامه كالعباس وسليمان في بعض المهام إذ أرسلهما إلى مكة لقتال الحسين بن علي "صاحب فخ" كما عرفنا سابقاً.

لكن: ما هو الجرم الذي استحق به الفضل بن يحيى العقوبة؟

ظاهر النص يوحي بأنّ السبب هو توسعته على الإمام الكاظم وإكرامه له وعدم امتثاله تنفيذ أمر القتل الصادر بحقه: "... فوسّع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه. فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقّة فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه، فاغتاظ الرشيد ..."! إلا أنّ الرواية نفسها ذكرت أنّ الفضل بن الربيع أيضاً رفض تنفيذ أمر هارون بقتل الإمام: "... فسُلّم (الإمام) إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة فأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى"! ولم يكن جزاءه جزاء

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٠ – ٢٤٣.

الفضل بن يحيى البرمكي! و أيضاً: عيسى بن جعفر (والي هارون على البصرة) رفض تنفيذ أمر هارون بقتل الإمام وطلب منه أن يبعث من يستلمه منه كما لاحظنا! ومع ذلك لم يأمر هارون بإنزال عقوبة بهما (أي: عيسى، و ابن الربيع) ولا أنه كتب إلى أحد من أعمامه أو غيرهم بسجنهما ومعاقبتهما كما فعل بالفضل بن يحيى البرمكي؟! وإذا كان يشفع لعيسى بن جعفر أنه ابن عمّه وأخو زوجته "زبيدة"، فما الذي كان يشفع للفضل بن الربيع عنده؟ علماً أنّ الفضل بن يحيى كان أقرب إلى هارون من هؤلاء الإثنين؟!

النص الثاني: نصوص بدء عملية التنكيل بالبرامكة

أغلب المؤرخين ذكروا عملية التنكيل بالبرامكة، وكمثال: ما ذكره الطبري في تاريخه ضمن أحداث عام ١٨٧ هـ:

(عن علي بن أبي سعيد أن مسروراً الخادم حدثه قال أرسلني الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله فأتيته ... قال فقلت له: يا أبا الفضل الذي جئت له من ذلك قد والله طرقك أجب أمير المؤمنين قال: فرفع يديه ووقع على رجلي يقبلهما وقال حتى أدخل فأوصي قلت: أما الدخول فلا سبيل إليه ولكن أوص بما شئت فتقدم في وصيته بما أراد وأعتق مماليكه ثم أتتني رسل أمير المؤمنين تستحثني به قال: فمضيت به إليه فأعلمته فقال لي وهو في فراشه ائتني برأسه فأتيت جعفراً فأخبرته فقال: يا أبا هاشم الله الله والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران فدافع بأمري حتى أصبح أؤامره في ثانية فعدت لأوامره فلما سمع حسي قال: يا "..." ائتني برأس جعفر فعدت إلى جعفر فأخبرته فقال: عاوده في ثالثة فأتيته فحذفني بعمود ثم قال: نفيت من المهدي إن أنت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولاً ثم برأسه آخراً قال: فخرجت فأتيته برأسه قال: وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً وحول الفضل ابن يحيى ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد وحبس يحيى بن خالد في منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم وولاة أمورهم وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتاني

وهرثمة بن أعين و إبراهيم بن حميد المرورذي و أتبعهم عدة من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى و إبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى وجعل معه هرثمة بن أعين وأمر بقبض جميع مالهم وكتب إلى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الاعلى والجسر الأسفل ففعل السندي ذلك وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم وأمر بالنداء في جميع البرامكة أن لا أمان لمن آواهم الا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة ...) [١].

وبالنسبة ليحيى و ابنه الفضل، فقد بقيا في الحبس إلى أن ماتا في سجن الكوفة:

(وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة ولم يزل بها كذلك إلى أن مات سنة تسعين ومائة ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين) [٢].

بلغ الحال بأم جعفر "زوجة يحيى البرمكي" أن تلبس الرث بعد إفلاتها من سجون هارون بعد موته [٣]!

وفي نص آخر: روى الطبري أنّ هارون استدعى السندي بن شاهك إلى "العمر" بالأنبار على وجه السرعة ليرتب معه خطة القضاء على البرامكة في بغداد، وحذّره في أن يبقى الأمر

١- تاريخ الطبري: ٦ / ٤٩٠ – ٤٩٢.

٢- تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢٤؛ و انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢ / ٣٣٢.

٣- الخطيب البغدادي: (عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي - صاحب صلاة الكوفة – قال: دخلت على أمي في يوم عيد أضحى، وعندها امرأة برزة في أثواب دنسة رثة، فقالت لي: أتعرف هذه؟ قلت لا، قالت: هذه عبادة أم جعفر بن يحيى بن خالد، فسلمت عليها ورحبت بها، وقلت لها: يا فلانة حدثيني ببعض أمركم. قالت: أذكر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر، وموعظة لمن فكر، لقد هجم علي مثل هذا العيد وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، و أنا أزعم أن جعفراً ابني عاق بي، وقد أتيتكم في هذا اليوم، والذي يقنعني جلدا شاتين، أجعل أحدهما شعارا والآخر دثاراً) تاريخ بغداد: ٧ / ١٦٨.

بمنتهى السرّية التامة ولا يطلع عليه أحد بما فيهم أوثق القادة والخدم كهرثمة ومسرور فضلاً عن غيرهما، إلى أن تحين ساعة التنفيذ في بغداد [١]!

السبب الحقيقي في التنكيل بالبرامكة:

سألت السيد أحمد الحسن عن السبب الحقيقي في تنكيل هارون العباسي بالبرامكة بعد شدة قربهم إليه وثقته بهم:

قلت: ما يُعرف بـ"نكبة البرامكة" وتخلّص هارون منهم بالطريقة البشعة التي حدثت؛ هل يرجع إلى خشيته وخوفه من نفوذهم فقط؟ أي الأمر سياسي وحسب، أو له علاقة باكتشافه أمر آخر مثل ميلهم لآل محمد، وبالتالي يكون حاله كحال عمّه السفاح وما فعله بأبي سلمة الخلال [٢]؟

فقال: (نفوذهم ليس بجديد، هم يحكمون الدولة فعلياً.

غير منطقي أن يجعل "هارون" نفوذهم هو سبب تنكيله بهم؛ لأنهم فعلياً لديهم سلطات كبيرة وتحكّم كبير في الدولة الإسلامية وبأمر من خلفاء بني العباس.

هم من أعطاهم السلطة والنفوذ، فلماذا يعاقبونهم عليها؟!

الأمر بسيط ينزعونها عنهم أو يقلصونها.

١- قال هارون للسندي: (ادنُ مني فدنوت منه فقال لي: تدري فيم أرسلت إليك؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: بعثت إليك في أمر لو علم به زرقميصي رميت به في الفرات يا سندي من أوثق قوادي عندي قلت هرثمة قال صدقت فمن أوثق خدمي عندي قلت مسرور الكبير قال: صدقت امض من ساعتك هذه وجدَّ في سيرك حتى توافي مدينة السلام فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك ومرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة فإذا انقطعت الرجل فصِر إلى دور البرامكة فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب ربع ومره أن يمنع من يدخل ويخرج خلا باب محمد بن خالد حتى يأتيك أمري .....) تاريخ الطبري: ٦ / ٤٩٣.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – بحث: "السفاح يقتل أهم رجاله".

السبب المعقول لما فعلوه بهم هو أنهم علموا بتغيّر ولائهم أو ولاء بعضهم، وخصوصاً إذا كان اتجاه التغيّر هو آل محمد؛ الجهة التي كانوا يعتبرونها الأخطر على الحكم العباسي) انتهى [١].

وما يؤكد ولاء يحيى البرمكي وتشيّعه للإمام الكاظم عليه السلام:

- (عن محمد بن عباد المهلبي قال: لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحير الرشيد، فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه؟ فقال له يحيى بن خالد البرمكي: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنن عليه وتصل رحمه، فقد - والله - أفسد علينا قلوب شيعتنا.

وكان يحيى يتولّاه، وهارون لا يعلم ذلك.

فقال هارون: انطلق إليه وأطلق عنه الحديد، و أبلغه عني السلام، وقل له: يقول لك ابن عمك: إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقر لي بالإساءة، وتسألني العفو عما سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار، ولا في مسألتك إياي منقصة. وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيري، وصاحب أمري، فسله بقدر ما أخرج من يميني و انصرف راشداً) [٢].

"وكان يحيى يتولّاه ...": صريح في ولاء يحيى البرمكي للإمام الكاظم صلوات الله عليه بدون معرفة هارون بالأمر.

"أفسد علينا قلوب شيعتنا": أي التابعين للعباسيين، وبالتأكيد ذكر يحيى ذلك تقية ولدفع أي توهم لدى هارون بمسألة ولائه للإمام، و أيضاً من أجل حثه على إطلاق سراحه.

- (قال محمد بن عباد: فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد: أن أبا إبراهيم عليه السلام قال ليحيى: يا أبا علي أنا ميت، و إنما بقي من أجلي أسبوع، أكتم موتي و ائتني

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الغيبة، الطوسي: ٢٤ – ٢٥.

يوم الجمعة عند الزوال، وصلِّ عليَّ أنت وأوليائي فرادى، و انظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة، وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفسك، فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه أنه يأتي عليكم فاحذروه. ثم قال: يا أبا علي أبلغه عني: يقول لك موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى، وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه، والسلام.

فخرج يحيى من عنده، واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته وما رد عليه، فقال [له] هارون: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا) [١].

قول هارون: "إن لم يدع النبوة ..." يقصد به أنه من أين له أن يعرف الغيب إلا إذا كان يريد أن يدعي النبوة!

ومهما يكن، فالراويتان واضحتا الدلالة على اهتداء يحيى البرمكي وولديه لولاية الإمام الكاظم عليه السلام وتشيعهم له، ولذا طلب من يحيى الصلاة عليه مع بعض مواليه، على أن تكون صلاتهم عليه فرادى؛ لئلا يكتشف الطاغية وجلاوزته أمرهم، كما انه عليه السلام حذّر يحيى وولديه من هارون. وفعلاً، تحقق لهم ما أخبر به الامام!

وإذا عرفنا هذا، وعرفنا أنّ البرامكة كانوا يتواصلون مع الإمام طيلة الأشهر الأخيرة من حياته، نعرف لماذا كان الفضل بن يحيى يكرم الإمام ويسكنه في داره؛ إذ لم يعهد أنّ سجيناً في زمن طغاة بني العباس يُحبس في دار "وزير" بل بمثابة "رئيس وزراء"، لكن البرامكة كان يمكنهم فعل ذلك مع الإمام بسهولة؛ لأن إدارة الدولة بالأساس تحت أيديهم وتصرّفهم وليس بوسع أحد أن يسألهم عن سبب فعلهم، وحتى لو علم أحد فيمكنهم التحجج بأنهم أرادوا استجوابه وما شابه!

١- الغيبة، الطوسي: ٢٥.

ونعرف أيضاً: أنّ الإمام الكاظم لما كان ينعى إليهم نفسه، ويعلم أنّ أيامه قربت ولا خلاص له من سجن هارون الأخير إلا بالشهادة، فأكيد أنه أبلغهم بولاية ابنه علي الرضا بعده! وفيما يخص هذا الأمر، أقول:

الواضح من سيرة هارون أنه كان يرى في ابنه المأمون لياقة للخلافة أكثر من ابنه الأمين، لكنه بالرغم من ذلك نزل عند رغبة زوجته "زبيدة" وعموم البيت العباسي الذي كان يرى في ولده محمد الأمين هاشمياً محضاً أُماً و أباً، بخلاف عبد الله المأمون فإنّ أمه "مراجل" كانت جارية فارسية، فعقد للأمين ولاية العهد في سنة ١٧٥ هـ [١]. وبالنسبة إلى البرامكة فقد أيدوا – في بادئ الأمر – مشروع ولاية الأمين للعهد، لكن الملفت أنهم عدلوا عن رأيهم لاحقاً (بعد ثمان سنين، أي في سنة ١٨٢ هـ) و أيدوا إشراك المأمون بموضوع ولاية العهد كمنافس لأخيه [٢]!

بعض الباحثين فسّر تصرّف البرامكة بما يعود إلى رجحان مؤهلات الخلافة والحكم عند المأمون، أو بسبب أنّ أمه فارسية الأصل وحسب، لكن الصحيح – وفق ما سردناه – أنّ إصرار البرامكة على إقحام المأمون في معادلة ولاية عهد هارون لم يكن بعيداً عن التخطيط الذي كان يحيى وولداه يمارسونه بذكاء وروية لمشروع ولاية عهد الإمام الرضا المستقبلية إن لم يكن سحب البساط من العباسيين من الأساس، بل لا يبعد – بحكم اختصاص الإمام الكاظم بهم – أن يكون الأمر قد تم بتنسيق معه ضمن مسعاه لتسهيل مهمة ولده الرضا في إنجاز رسالته المكلف بها من قبل الله، خصوصاً وأنّ الإمام الكاظم كان يعلم بأنّ مال أمر الخلافة سيكون للمأمون وقد أوصاه – ذات مرة – أن يحسن إلى ولده "الرضا" إذا ملك! بحسب ما رواه المأمون نفسه [٣].

١- انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ١١ / ١١.

٢- انظر: دروس من التاريخ – نكبة البرامكة، محمد فارق الإمام.

٣- يقول المأمون عن أحد لقاءات الإمام الكاظم عليه السلام بأبيه هارون: (... ثم قام (الكاظم) فقام الرشيد لقيامه، وقبّل بين عينيه ووجهه، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبد الله! ويا محمد! ويا إبراهيم! امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم، خذوا بركابه، وسووا عليه ثيابه، وشيّعوه إلى منزله، فأقبل إلي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام سراً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة. وقال لي: "إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي"...) الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٦٥ – ١٦٧.

وعموماً، فإنّ هارون وإن كان عهد بتربية ولديه للبرامكة لكنهم بحكم خبرتهم العملية الطويلة – خصوصاً يحيى البرمكي – أدركوا أنّ الميل لآل محمد بان على شخص المأمون بالذات وأنّ الأثر الذي تركه جعفر بن يحيى عليه يفي بإنجاز المطلوب [١]. لذلك يلاحظ المتتبع تاريخياً أنّ البرامكة ضغطوا على هارون لإشراك المأمون في قضية ولاية العهد في سنة ١٨٢ هـ أي قبل شهادة الإمام بأشهروقبل اكتشاف هارون لأمرولائهم وتشيعهم بشكل قطعي [٢]!

إدراك هذه الحقائق، يسعفنا الآن في فهم سر معاقبة هارون للفضل بن يحيى البرمكي الوارد في النص التاريخي الأول (نص المفيد) لما أوكل الأمور في بغداد (مؤقتاً) إلى عمّه العباس بن محمد والسندي بن شاهك وأمر الأخير بطاعة العباس، وفي النص أيضاً: رأينا أنّ يحيى البرمكي حاول مسرعاً أن يتدارك الموقف بحنكته المعهودة فهمس في إذن هارون وامتص غضبه بالقول إنّ ولده الفضل حدث (شاب) و أنه سيقوم بإنجازما يريد، وأسرع راجعاً إلى بغداد لمعالجة الوضع!

لا شك أنّ ما بلغ هارون عن البرامكة في ذلك الوقت كان بمستوى من الخطورة جعل الناس في بغداد تموج على حد وصف الرواية: "... ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلك أياماً ..."؛ لأن "الولاء لآل محمد" إن ثبت على يحيى وولديه فهو بنظر هارون "انقلاب" على مستوى هرم السلطة ورأسها! لذا أسرع يحيى البرمكي في معالجة الموقف ودفع شبهة التشيع عنه وعن ابنيه التي علقت بذهن هارون نتيجة ما بلغه

١- تأثر المأمون بالبرامكة بشكل كبير، ولذا كان يقول عنهم بحسب ما ذكره القاضي يحيى بن أكثم عنه: "لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة" وفيات الاعيان، ابن خلكان: ٦ / ٢٢١.

٢- ابن العبري: (وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين وولّاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان ولقبه المأمون وسلّمه إلى جعفر بن يحيى البرمكيّ) تاريخ مختصر الدول: ١٢٩.

السيوطي: (وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ولقبه الأمين وله يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك قال الذهبي فكان هذا أول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الإمامة، ثم بايع لابنه عبد الله من بعد الأمين في سنة اثنتين وثمانين ولقبه المأمون وولاه ممالك خراسان بأسرها، ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين في سنة ست وثمانين ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي فلما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة قال بعض العقلاء لقد ألقى بأسهم بينهم وغائلة ذلك تضر بالرعية) تاريخ الخلفاء: ٣١٤ – ٣١٥.

حفاظاً على المخطط المرسوم. علماً، أنّ ما جرى مع البرامكة كان الإمام الكاظم قد حذّرهم منه قبل حصوله: "و انظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة، وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفسك، فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه أنه يأتي عليكم فاحذروه"!

ويبدو أنّ علاج يحيى البرمكي نجح (مؤقتاً) في دفع العقاب عنهم – بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام – إلى أمد قبل أن يتيقن من ولائهم لآل محمد عليهم السلام فنكّل بهم أشد تنكيل في سنة ١٨٧ هـ بحسب رواية المؤرخين.

يقول السيد أحمد الحسن: (فيما يخص البرامكة، فإنّ عملهم مع العباسيين يعود إلى جدّهم القائد خالد بن برمك الذي جاء مع أبي مسلم الخراساني، وكان بمثابة رأس حربة بين رجالات الدعوة العباسية التي رفعت شعار "الرضا من آل محمد". فاشترك معهم خالد البرمكي على هذا الأساس، وكان من كبار قادة الثورة، ثم كانت له مكانة خاصة عند السفاح أثناء خلافته؛ إذ اختاره وزيراً له بعد أبي سلمة الخلال مباشرة، وكان صديقاً مقرّباً لأبي سلمة، وولاء أبي سلمة لآل محمد أمر معروف وكان السبب في قتله [١]، وبحكم صداقتهما وعملهما المشترك ربما حدثت بينهما حوارات ونقاشات أدت بالنتيجة إلى حصول تعاطف وميل عند خالد باتجاه آل محمد [٢].

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الثالث – بحث: "قادة الثورة العباسية"، إذ كرنا أنّ أبا سلمة صحّح اعتقاده وتشيع لآل محمد وكان ذلك سبباً في قتله، يقول السيد أحمد الحسن: (حركة العباسيين في بدايتها كانت تدعو إلى الرضا من آل محمد، فبالنتيجة كل من قام بهذه الحركة هو محب لآل محمد أو محب لتولّيهم، لكن الإشكال كان بتشخيص آل محمد، فهناك من شمل بني العباس، وهناك من اقتصر على بني فاطمة، وهناك من اقتصر على الأئمة عليهم السلام، وهؤلاء هم القلة. النتيجة آل الأمر لبني العباس. وخلال الثورة وبعد انتهاء الثورة كثير من الثوار وقادتهم انتهى بهم الأمر للميل للأئمة عليهم السلام، أو التشيع لآل محمد عليهم السلام، والخلّال من هؤلاء، مات شيعياً موالياً أو قتل) انتهى.

٢- مسألة ميل خالد بن برمك لآل محمد واضحة، فمثلاً: لما أراد المنصور نقل القصر الأبيض من المدائن لم يقبل خالد بالرغم من أنه صاحب فكرة بناء بغداد أصلاً، وكان سبب رفضه هو وجود مصلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيه!

- قال ابن كثير: (وذكر أنّ خالد بن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها (بغداد)، و أنه كان مستحثاً فيها، وقد شاور المنصور الأمراء في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الإمارة بها، فقال: لا تفعل فإنه آية في العالم، وفيه مصلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فخالفه ونقل منه شيئاً كثيراً ...) البداية والنهاية: ١٣ / ٣٨٩.

العباسيون من البداية اعتمدوا على البرامكة، فبنى لهم خالد بن برمك أساس الدولة بل هو من اختار وخطّط وأسّس بغداد للمنصور، وسبب اختياره هو أنّ المدائن (بغداد القديمة) كانت عاصمة الاقليم لإمبراطوريتهم الفارسية، وبعده أولاده يحيى ثم الفضل وجعفر، فهؤلاء هم الحكام الفعليين في الدولة العباسية، والسبب في ذلك أنهم كانوا أذكياء ومخلصين لعملهم، فهم كانوا يضعون الخطط والقرارات ويرسمون الاستراتيجيات ... إلخ.

الديوان العباسي كان فيه أشخاص كثر، والمفروض أنهم موالون للعباسيين، لكن الواقع الذي كُشف لنا من خلال الروايات أنّ بعضهم كانوا موالين لآل محمد مثل: علي بن يقطين كمثال واضح. الآن، افترض التالي: لو لم يروَ شيء عن علي بن يقطين، وجاءتنا الرواية السياسية عنه فقط، فماذا سيكون التصور السائد عنه؟ بالتأكيد، سيكون عبارة عن وزير في الدولة العباسية، وأغلب الشيعة ربما تنظر إليه بازدراء و انتقاص وربما يسبّه البعض، أو يكتبون عنه قصص ونحو ذلك!

علماً، أنا الآن لا أريد أن أبرّئ البرامكة من أي سوء، لكن أقول: لا إشكال أن يعدّل الإنسان عقيدته، فيسير ابتداء مسيراً خاطئاً ثم باللحظات الأخيرة يعدل عقيدته. وهذا بالضبط ما حصل مع يحيى البرمكي؛ خصوصاً وأنّ البرامكة من البداية دعاة إلى الرضا من آل محمد، وكانوا دائماً متهمين بالتعامل بلين مع الحسنيين والحسينيين ومع آل محمد عليهم السلام.

الحقيقة، إنّ كثيراً من العاملين مع خلفاء بني العباس كانوا يريدون التخلص من مسألة المواجهة مع الأئمة عليهم السلام، بما فيهم عيسى بن جعفر العباسي "والي

- ابن خلدون: (واستشار (المنصور) خالد بن برمك في نقض المدائن والإيوان فقال: لا أرى ذلك لأنه من آثار الاسلام وفتوح العرب وفيه مصلى علي بن أبي طالب فاتهمه بمحبة العجم وأمر بنقض القصر الأبيض فإذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه فقال خالد: لا أرى اقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم فأعرض عنه) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ١٩٧.

البصرة"؛ إذ أرسل إلى الرشيد كتاباً يذكر فيه أنه يريد أن يطلق موسى بن جعفر من حبسه أو يرسل إليه من يتسلّمه منه! هذا منطق والٍ عباسي، و ابن خلفاء عباسيين!

باختصار: ليس كل الموجودين في دولة الخلافة العباسية سيئين إلى ما لانهاية، فبعضهم كانوا يعتبرون المواجهة مع الأئمة "ورطة" يحاولون تجنبها قدر الإمكان؛ خصوصاً عند من يرى أنّ دنياه محدودة، وبالتالي فهو إن لم ينصر الإمام لا يكون محارباً له، ولا يرغب بأن يوضع في فوهة المدفع، كما يقال!

وبالنسبة للبرامكة: لنفرض أنهم لم يكونوا مؤمنين بالإمام الكاظم لكن كان في داخلهم شك بإمامته، كما لو كان هناك إنسان مؤمن وبداخله شك، أي كان متردداً وخائفاً من أن يكون الكاظم عليه السلام إماماً فعلاً. وبالنتيجة، هم لا يريدون أن يأتوا الله يوم القيامة وهم مواجهون ومحاربون لخليفة من خلفاء الله، وبنفس الوقت ليس حالهم وسيرتهم مع خليفة الله كحال المؤمنين المصدّقين به تماماً، و إنما هم بين بين! على أي حال، يوجد مثل هكذا نوع من الناس في دنيا الامتحان، وغير صحيح التعامل معهم كالمعاملة مع المنكرين.

البرامكة وإن كانوا مقرّبين من الحاكم ونافذين في الدولة ولديهم صلاحيات كبيرة جداً، خصوصاً جعفر بن يحيى البرمكي، لكن لم تكن مصلحتهم تتلخص كلياً في الحكم والخلافة، فالفضل بن يحيى مثلاً بلغ به الحال (في مسألة تصرفه وسلوكه مع الإمام الكاظم عليه السلام) أن لعنه هارون! ماذا يمكننا أن نسمي هذا؟ في أقل الحدود كان لديه شك أو حيرة بإمامة الإمام!

يحيى البرمكي و ابناه جعفر والفضل كانوا مرعوبين في قضية تعاملهم مع الإمام الكاظم عليه السلام! فهذا موسى بن جعفر، وليس أي إنسان!

البرامكة يعيشون في مجتمع مسلم، وأكيد يعرفون من هم آل محمد، فهم في دواخلهم يخاطبون أنفسهم بعدم الإقدام والتورط بظلم موسى بن جعفر!

في رواية: ورد أنّ هارون يقول ليحيى البرمكي عن موسى بن جعفر: "إذا لم يدعِ النبوة فنحن في خير" [١]، يستهزأ بالإمام! لكن يحيى كان يتكلم مع هارون بهدف التأثير عليه، أي يسعى للإفراج عن الإمام، وفي رواية: طلب يحيى من هارون الإفراج عن الإمام صراحة! وفيها يقول الراوي: "وكان يحيى يتولاه وهارون لا يعلم ذلك" [٢]!

يحيى بالأخير آمن بموسى بن جعفر، والراوي الذي علّق بهذا التعليق هو نفسه المتواصل مع يحيى وكان يروي عن يحيى. نعم، قد يكون يحيى كافراً بالإمام الكاظم قبل ذلك، حاله حال غيره كالمسيب بن زهير مثلاً، أو كالحر الرياحي. الحر لولا أنه قُتل في صف الإمام الحسين لكان قيل عنه إنه كان كافراً بالحسين! لو افترض أنّ الحر ضرب فرسه وذهب نحو الإمام الحسين لكن عثر فرسه وسقط عنه إلى الأرض وضرب رأسه بحجر ومات، فمن يعرف به أنه كان قاصداً نصرة الحسين وليس حرب الحسين؟! لا أحد غير الله. ولو تبقى المسألة على الناس لقيل: "أهلكته شارة الحسين"، مع أنه عند الله ذهب لينصر الحسين، واسمه مدوّن في سجل أنصاره!

يحيى البرمكي في اللحظات الأخيرة من عمر الإمام الكاظم صلوات الله عليه كان يطلب من هارون إطلاق سراحه، ويتحجج له بأنّ الإمام أفسد شيعة العباسيين (أتباعهم) سواء في داخل السجن أو خارجه، فما من شخص يحتك بالإمام إلا وأحبّه وتأثر به، وكان غرض يحيى من ذلك دفع هارون باتجاه الإفراج عن الإمام وعدم إبقائه في السجن!

وبهذا نعرف أنّ السم الذي دُسَّ إلى الإمام إنما هو فعل قام به السندي بن شاهك بأمر هارون، وليس يحيى ولا ابنه الفضل كما قد يظن البعض.

١- الغيبة، الطوسي: ٢٥. تقدم ذكر الرواية.

٢- والرواية تقدم ذكرها، وهذا مقطع منها:

(عن محمد بن عباد المهلبي قال: لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحير الرشيد، فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه؟ فقال له يحيى بن خالد البرمكي: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمتن عليه وتصل رحمه، فقد - والله - أفسد علينا قلوب شيعتنا.

وكان يحيى يتولاه، وهارون لا يعلم ذلك. ...) الغيبة، الطوسي: ٢٤ – ٢٥.

والخلاصة: صحيح أنّ البرامكة هم قادة دولة بني العباس، ولديهم تصرفات قد لا تكون صحيحة خلال فترة حكمهم، لكنهم بالنهاية آمنوا بالإمام الكاظم قبل شهادته، وفي ذلك روايات نقلها الطوسي "شيخ الطائفة"، ولا أقل توجب هذه الروايات الاحتياط والتوقف في أمرهم وعدم القطع بضلالهم وجواز الإساءة لهم. وبالتالي، غير صحيح ما تعرضوا له من حملة تشويه وإساءة متعمدة لهم قديماً وحديثاً بل ربما يظهرهم البعض بأنهم أسوأ من يزيد لعنه الله) انتهى [١].

ويقول السيد أحمد الحسن أيضاً:

(تاريخياً، لو نظرنا إلى البرامكة لوجدنا أنّ العباسيين منحوهم سلطة مفتوحة، إلى درجة أنّ الخليفة العباسي يعتبر يحيى أخاه، ويقول هارون الرشيد عن يحيى: "أبي"! بل إنّ أمهات الخلفاء كانوا أمهات لأبناء البرامكة وزوجات البرامكة أمهات لخلفاء بني العباس!

وكمثال: ولد لهارون الأمين والمأمون، فسلّم المأمون لجعفر بن يحيى والأمين للفضل بن يحيى لتربيتهما، فربى الفضل وزوجته الأمين في بيتهم من الألف إلى الياء، وكذلك فعل جعفر وزوجته مع المأمون.

بالنتيجة المأمون تشيع، وجاء بالرضا عليه السلام ولياً لعهده في خلافته، فما هو السبب الذي دعاه إلى أن يأتي بالإمام الرضا ويمنحه ولاية العهد! السبب: تربية جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، فهو الذي خط له هذا المنهج وزرعه فيه. ومسألة الإتيان بالرضا إلى رأس السلطة ليس بالأمر السهل، كما أنّ القرار الذي اتخذه المأمون لم يكن مفاجئاً ووليد اللحظة، و إنما هو ثمرة جهود ولّدت لديه هذه القناعة، خصوصاً وأنّ الرضا عليه السلام لم يكن شخصية سياسية ولا وزيراً أو مشاركاً بالحكم والعمل السياسي بأي شكل من الأشكال، إنما هو رجل يدعو لدين الله ويقيم في المدينة. وبالتالي، فمسألة طرح اسمه لأرفع منصب سياسي بالدولة بعد الخليفة كولي عهد للمأمون بحاجة إلى عمل وجهد، فمن الذي قام بذلك و أقنع المأمون باتخاذ هكذا قرار مصيري وخطير؟ لا شك أنّ الذي

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

ولّد القناعة في نفس المأمون هو من ربّاه، فنشأ المأمون على محبة الإمام الرضا والتشيع له وحتى لما أتى به كانت هذه سيرته بالبداية لكن بمرور الوقت رأى الناس تتجه إلى الإمام الرضا كما لو أنه الحاكم الفعلي، وأكيد تؤثر الأنا والظلمة وحب الدنيا في مثل هذه المواقف فغيّر موقفه من الإمام. وعموماً، ما أردت قوله الآن: إنّ جعفر بن يحيى هو من أثر على المأمون وهو بمثابة أبيه، فالأب هو من يربي ومن ربى المأمون هو جعفر بن يحيى.

قلت فيما سبق: إنّ خالد البرمكي هو رأس الحربة في الجيش العباسي، وهو قائد محنك على المستويين العسكري والسياسي وليس شخصية عادية، وبفضل خططه تأسست الدولة العباسية وقامت واستقرت على يديه بل هو المؤسس الحقيقي لعاصمة الدولة بغداد، وكان لديه ميول لأهل البيت عليهم السلام من البداية و ابنه يحيى ورث ذلك منه ثم ورّث ذلك الميل لأهم أبنائه: الفضل وجعفر. بالطبع، لا يمنع أن يجتمع مع الميل أو الولاء لآل محمد الانشغال بالدنيا والاغترار بها فترة طالت أو قصرت لكن هذا لا يعني أن يختم المغتر حياته بالضلال حتماً، فرحمة الله قد تدرك الإنسان في لحظة كما حصل مع الحر الرياحي مثلاً) انتهى [1].

أما بخصوص تنكيل هارون بالبرامكة، يقول السيد أحمد الحسن:

(الذي حصل في قضية البرامكة هو انقلاب. فمن يحكمون فعلياً هم البرامكة، وبلحظة يمكنهم أن يسقطوا الدولة إذا قرّروا ذلك، كانوا إذا يرسلون كتاباً لجهة ما يتم التعامل مع كتابهم على أنه كتاب الخليفة، لأن الخليفة نفسه يقول: "كتابه كتابي"! فعلياً، البرامكة هم الحكام، أما الخلفاء العباسيين فمنشغلين بالدنيا والملذات

أما ما ذكر في قضية البرامكة من أسباب، فأغلبها لم يكن حقيقياً ولا واقعياً؛ باعتبار أنّ البرامكة إيرانيون، والبعض كان حاقداً عليهم من باب أنّ هذا عربي وهذا إيراني فارسي إلى غير ذلك من أمور تافهة، وليس بحثاً عن الحقيقة بقدر ما هو مرض يتجسد بصورة عنصرية وقومية أو طائفية ونحو ذلك.

١- من حوار خاص مع السيد احمد الحسن.

فمثلاً: بعض الأسباب ترجع قضيتهم إلى التحريض الذي مارسه البعض ضدهم ودفع هارون الرشيد للانتقام منهم؟ مع أنّ الثابت تاريخياً أنّ هارون كان يسلّمهم أولاده ليربّوهم له، وكان ينادي يحيى أمام العامة: "أبي"! وكان يُلبس ثوب الخلافة الخاص به بمجلس الخلافة لجعفر بن يحيى ويجلسه معه على كرسي الخلافة ليثبت للناس قربه منه. فمن يتمكن من التأثير على هارون في أمر البرامكة وهذه منزلتهم عنده؟!

لكن ما حصل هو انقلاب كامل، إذ يعلم البرامكة بوجود إمام معصوم بعد شهادة الكاظم عليه السلام وهو الإمام الرضا، وهو الأحق بهذا المقام ولم يعد بإمكانهم أن يطيقوا حكم العباسيين بعد قتل هارون للإمام موسى بن جعفر فقرروا أن يتخذوا موقفاً حاسماً تجاهه، لكن هارون اكتشف الامر في اللحظات الأخيرة، فنكّل بهم. وأكيد أنّ هارون قد بلغه ما فعله يحيى و ابنيه الفضل وجعفر مع الإمام الكاظم قبل شهادته، من قبيل إخراجهم للإمام من سجن السندي بن شاهك والإتيان به لدورهم، ولهذا اختلفت الروايات في تحديد مكان سجن الإمام فمرة تذكر دار الفضل بن يحيى أو داريحيى وأخرى تذكر سجن السندي وهكذا، وكان غرض البرامكة من ذلك التوسعة على الإمام والتخفيف عن أذاه وكانوا متألمين لما يجري عليه.

يحيى أو ولده الفضل كان بمثابة رئيس وزراء الدولة الإسلامية ومتى ما أراد أن يُخرج الإمام من سجنه والإتيان به لبيته يمكنه ذلك ولا يستطيع السندي ولا غيره من الوقوف بوجهه، بالنتيجة كل هذه الأحداث أوصلها السندي وغيره إلى هارون، وهكذا شيء فشيء تجمعت عنده الأدلة على ولاء البرامكة لآل محمد عليهم السلام.

أما من يصر على أنّ البرامكة أساءوا للإمام موسى بن جعفر أو وشوا به إلى هارون، وبالتالي فهم سيّئون وضالون ... إلخ، فهذا غير صحيح وليس فيه إنصاف، فلنفترض أنّ ذلك حصل في فترة سابقة، لكنه لا يمنع من القول بهدايتهم في نهاية المطاف، فكثير من الناس أساءوا للأنبياء أو الأوصياء وآذوهم وسبّوهم لكن عاقبة أمورهم كانت خيراً. فلا إشكال أن يكون يحيى بن خالد وشى بالإمام موسى بن جعفر ودفع هارون لاعتقاله أو قتله طالما أنه تاب واهتدى للحق، وإلا ماذا فعل الحر بن يزيد الرياحي؟ أوليس قد اعترض قافلة الحسين وعياله و أتى بهم و أنزلهم كربلاء وحاصرهم؟! فلماذا تقبل من الحر توبته ونصرته للحسين ولا تقبل من يحيى بن خالد البرمكي وولديه توبتهم ونصرتهم لموسى بن جعفر؟!

وهل يقبل أحد الآن بتوجيه إساءة إلى الحر؟! فلماذا يقبل بتوجيه إساءة ليحيى بن خالد وبنيه؟!

ثم إنّ ما حصل مع يحيى وبنيه وعوائلهم هو نعمة وليست نكبة كما يصفها الكثيرون من أهل الدنيا، فقيمة نصرة موسى بن جعفر عظيمة جداً، وما قيمة القتل والسجن في سبيل نصرته، فالإنسان يموت في نهاية الأمر شاء أم أبى لكن الموت في نصرة الإمام لا يقارن بالموت على الفراش!) انتهى [1].

نحن ببيان هذه الحقائق لا نريد أن ننفي إخلاص البرامكة في خدمة مشروع العباسيين وهارون تحديداً قبل اهتدائهم للحق، ولا أن نصحح لهم كل أفعالهم التي فعلوها قبل اهتدائهم للحق، لكننا نقول: الأمور عند الله بخواتيمها، والبرامكة ختموا أمرهم بخير بعد اعتقادهم بإمامة موسى بن جعفر وولده علي الرضا عليهما السلام وكان إيمانهم سبباً فيما لاقوه من أذى الطاغية العباسي.

والحمد لله رب العالمين.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

المصادر

القرآن الكريم

١. إثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي، منشورات الرضي – قم.
٢. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
٣. الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان، تحقيق: على أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٤. اختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، ١٤٠٤ هـ.
٥. أخبار الدول و آثار الأُول، أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني، طبعة حجرية.
٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
٩. إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية، حيدر بامات، ترجمة: ماهر عبد القادر وآخرون، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.
١٠. الاعتقادات في دين الامامية، الصدوق، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
١١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
١٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
١٣. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي.
١٤. إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٥. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٦. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧.

١٧. الأمالي، محمد بن النعمان "المفيد"، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٢، ١٩٩٣ م.

١٨. الأمالي، المرتضى، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٩٠٧ م.

١٩. الإمام الصادق حياته عصره آراؤه وفقهه، الشيخ محمد أبو زهرة، مطبعة أحمد علي مخيمر.

٢٠. الإمام الصادق والمذهب الأربعة، أسد حيدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

٢١. الإمام الصادق، محمد حسين المظفر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ م.

٢٢. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، د. نور الدين آل علي، دار الذخائر للمطبوعات – قم، الطبعة الأولى/ ١٩٨٨ م.

٢٣. الإمامة والتبصرة من الحيرة، علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢٤. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٢٥. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

٢٦. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، يوسف بن عبد البر النمري، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.

٢٨. إيضاح الاشتباه، الحسن بن يوسف بن المطهر، العلامة الحلي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٢٩. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

٣٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

٣١. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٢. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.

٣٣. بيت الحكمة في عصر العباسيين، خضر أحمد عطا الله، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الأولى.

٣٤. التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ، تحقيق: دار الفكر، دار البحار – بيروت، ١٩٥٥ م.

٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٩٩٤ م.

٣٦. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، المعروف: ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

٣٨. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

٣٩. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، منشورات الشرف الرضي – قم، ١٤١١ هـ.

٤٠. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.

٤١. تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، عبد الحليم منتصر، دار المعارف – مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧١ م.

٤٢. تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، دار الميسرة – بيروت.

٤٣. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.

٤٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنك أهل بيت - قم.

٤٥. تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٤٦. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٧. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.
٤٨. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.
٤٩. التفسير الكبير (تفسير الرازي)، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة.
٥٠. التمهيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، المعروف: ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري/ وزراة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ.
٥١. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران.
٥٢. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمي – بيروت.
٥٣. تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
٥٤. تهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.
٥٥. التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الصدوق، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
٥٦. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، منشورات الرضي - قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
٥٧. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، المعروف: ابن عبد البر، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٨.
٥٨. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ.
٥٩. خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٠. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.

٦١. الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.
٦٢. الخمر والنبيذ في الإسلام، علي المقري، مكتبة الفكر الجديد، رياض الريس للكتب والنشر.
٦٣. الدعوات، سعيد بن هبة الله، المشهوربقطب الدين الراوندي، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧ هـ.
٦٤. دلائل الإمامة، محمد بن جريربن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٦٥. ذوب النضار، جعفربن محمد بن جعفر ابن نما الحلي، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٦٦. ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود بن هبة الله بن محاسن، المعروف: ابن النجار البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادريحيى، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
٦٧. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
٦٨. رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٩. الرجعة ثالث أيام الله الكبرى، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٧٠. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي حسن الخرسان، منشورات الرضي – قم.
٧١. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، الطبعة الرابعة.
٧٢. سر السلسلة العلوية، أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري، تعليق: محمد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي – قم، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.
٧٣. السنة، ابو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.

٧٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٧٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

٧٦. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.

٧٧. السيدة نفيسة كريمة الدارين، النبوي جبر سراج، المكتبة التوفيقية – القاهرة.

٧٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.

٧٩. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، الفخر الرازي

٨٠. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٨١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.

٨٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.

٨٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر- بيروت.

٨٤. صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٧ م.

٨٥. الصحيفة السجادية، أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، دفتر نشر الهادي – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٨٦. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس العاملي البياضي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.

٨٧. الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٨. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

٨٩. العالم العربي، د. نجلاء عز الدين، ترجمة: محمد عوض إبراهيم، د. محمد يوسف نجم وآخرين، دار أحياء التراث العربي، عيسى البابي الجلبي وشركاه.

٩٠. عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

٩١. العلل، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله بن محمود عباس، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٩٢. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

٩٣. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني "ابن عنبة"، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦١ م.
٩٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩٥. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، المعروف بـ "العوالم - الامام الحسين"، الشيخ المحدث عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الغمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ
٩٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين "الصدوق"، تعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ١٩٨٤ م.
٩٧. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق وتقديم: د. يوسف علي طويل، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ م.
٩٨. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأولى.
٩٩. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، طبع على طريقة اوفست في مطابع بهمن.
١٠٠. الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، منشورات انوار الهدى – قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٠١. الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
١٠٢. الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق، عبد الحسين الشبستري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
١٠٣. فتاوى السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعرفة – بيروت.
١٠٤. فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب، علي بن موسى ابن طاووس الحسني، تحقيق: حامد الخفاف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.
١٠٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية.
١٠٦. الفرج بعد الشدة، القاضي الحسن بن أبي القاسم التنوخي، منشورات الشريف الرضي – قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٤ هـ. ش.

١٠٧. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، مطبعة العدل – النجف.
١٠٨. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
١٠٩. فلاسفة الشيعة حياتهم آراؤهم، عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
١١٠. فهرست ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم، تحقيق: رضا – تجدد.
١١١. فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أبو العباس أحمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٦ هـ.
١١٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.
١١٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.
١١٤. كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر الفقاهة، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
١١٥. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر- بيروت، ١٩٦٥ م.
١١٦. كتاب التوابين، عبد الله بن قدامة، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الشرق الجديد – بغداد.
١١٧. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، مطبعة نكارش - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١١٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، المعروف: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١١٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، دار الكتاب الإسلامي – بيروت.
١٢٠. كفاية الأثر، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام – قم، ١٤٠١ هـ.
١٢١. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
١٢٢. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر- طهران.

١٢٣. كنز العمال، علاء الدين علي المتقي الهندي، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٩ م.
١٢٤. الكيمياء حتى عصر دالتون، هوليارد، باريس، ١٩٢٨ م.
١٢٥. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ويليه كتاب: حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف. الناشر: أنوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
١٢٦. المتشابهات، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢٧. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة المحققة الأولى، ١٣٨٦ هـ.
١٢٨. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.
١٢٩. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ.
١٣٠. المحاضرات والمحاورات، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٣١. المحلى، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر.
١٣٢. مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.
١٣٣. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
١٣٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
١٣٥. مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
١٣٦. المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
١٣٧. مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، علي ابن الإمام جعفر الصادق، تحقيق وجمع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

١٣٨. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٩٨٧ م.
١٣٩. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٨ هـ.
١٤٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
١٤١. مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: شفق - طهران، الناشر: ابن المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٤٢. المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تقديم: د. صلاح الدين الهواري، داروكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
١٤٣. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت.
١٤٤. المصباح، إبراهيم الكفعمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
١٤٥. مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.
١٤٦. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.
١٤٧. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ما جد بن أحمد العطية.
١٤٨. مطالع البدور في منازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي، مطبعة إدارة الوطن، الطبعة الأولى، ١٢٩٩ هـ.
١٤٩. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول، محمد بن يوسف الزرندي الشافعي، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.
١٥٠. معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ.
١٥١. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩.
١٥٢. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥ م.
١٥٣. مقدمة في تاريخ الطب العربي، د. التيجاني الماحي، مطبعة مصر- الخرطوم، ١٩٥٩ م.

١٥٤. المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقب بالمفيد، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.
١٥٥. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت.
١٥٦. مناقب الإمام الأعظم، محمد بن محمد بن شهاب، المعروف بابن البزاز الكردري، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند - حيدرآباد، الطبعة الأولى، ١٣٣٢١ هـ.
١٥٧. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
١٥٨. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
١٥٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
١٦٠. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، الحسن بن يوسف بن المطهر، المعروف بالعلامة الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية – مشهد، ١٣٧٩.
١٦١. مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى ابن طاووس الحسني، نشر: كتابخانه سنائى.
١٦٢. المواقف؛ الأيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٦٣. موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ. ش.
١٦٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت.
١٦٥. الناصريات، علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، مطبعة مؤسسة الهدى – طهران.
١٦٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كستاتسوماس وشركاه.

١٦٧. النزاع والتخاصم بين بني امية وبني هاشم، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: علي عاشور.
١٦٨. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي الماحمي، ١٩٧٣ م.
١٦٩. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى، ١٩٦٧ م.
١٧٠. هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، عبد الجبار الجومرد، المكتبة العمومية – بيروت، ١٩٥٦ م.
١٧١. الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت.
١٧٢. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
١٧٣. وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان.
١٧٤. وهم الإلحاد، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد.
١٧٥. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
١٧٦. يوم الحسين، د. علاء السالم، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٥ م.

الفهرست التفصيلي

كلمة البدء.. ..... ٥

(١) الإمامة الإلهية بعد الحسين (ع) ٧

عدم خلو الأرض من حجّة بعد الحسين(ع)؟ ٧

حاكمية الله سنة إلهية لا تتبدل: ٨

لا تخلو الأرض من حجة: ١٠

الرسول (ص) ينص على أوصيائه: ١٣

الحسين (ع) علامة فارقة للأئمة بعده: ١٦

الحسين(ع) كمعرّف بالأئمة: ١٧

الحسين(ع) كموجّه لرسالة الأئمة: ٢٢

الأئمة بعد الحسين (ع) لم يستخدموا السلاح: ٢٧

وجهتا الدين والإمامة: ٢٧

مجيء القائم (ع) هو الغاية: ٣٠

وصلُ يومين إلهيين؛ هدف الأئمة: ٣٤

مقام "القائم" و"صاحب الأمر" تطاولت له الأعناق! ٤١

هلك المستعجلون! ٤٧

(٢) إمامان شاهدان على الطف ٥١

الإمام علي بن الحسين (ع): ٥١

النص على إمامته وألقابه: ٥١

الإمام زين العابدين(ع) وواقعة كربلاء: ٥٣

رأى وروى كربلاء بألم لم يبارح قلبه: ٥٣

حزنه الرسالي وإحياؤه ذكر الحسين(ع): ٥٦

موقفه من ثورات الثأر: ٦٠

شيء من سيرة الإمام زين العابدين(ع): ٦١
رسالة الإمام زين العابدين(ع): ٦٩
هداية الأمة المؤمنة لدين الله الحق: ٦٩
دفاعه عن علي وفاطمة صلوات الله عليهما: ٧١
الإمام زين العابدين(ع) و ابن الزبير: ٧٢
الإمام زين العابدين(ع) وبني أمية: ٧٤
الإمام(ع) وعبد الملك بن مروان: ٧٤
سك أول عملة في الإسلام: ٧٨
الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام(ع): ٨٢
الإمام(ع) والزهري: ٨٣
الإمام زين العابدين(ع) وأهل بيته: ٨٩
عمّه، ابن الحنفية: ٩٠
عمّه؛ عمر بن علي: ٩٠
ابن عمّه، الحسن المثنى (): ٩١
ابن عمّه؛ زيد بن الحسن و ابنه الحسن بن زيد: ٩٣
شهادة الإمام زين العابدين(ع): ٩٤
الإمام محمد بن علي الباقر(ع): ٩٧
النص على إمامة الباقر(ع) ولقبه: ٩٧
النص على إمامته: ٩٧
لقب "الباقر": ٩٩
الإمام الباقر(ع) وواقعة كربلاء: ١٠٣
أدرك الحسين(ع) وروى بعض أحداث كربلاء: ١٠٣
الإمام الباقر(ع) يُحيي ذكر الحسين(ع): ١٠٥
نهيه عن الإساءة لمن طلب بثأر الحسين(ع): ١٠٧

رسالة الإمام الباقر(ع):..١٠٨
طبيعة رسالة الباقر(ع):..١٠٨
باقر العلوم و انطلاق ثورته العلمية:..١١٠
أوجه العطاء العلمي ونصرة دين الله:..١١٤
المجلس العلمي للإمام الباقر(ع):..١٢٠
اصطناع الأمة المؤمنة:..١٢٣
الإمام الباقر(ع) يخبر بملك بني العباس:..١٢٨
الإمام الباقر وأهل بيته:..١٣١
من جهة إخوته:..١٣١
من جهة أبناء عمومته:..١٣٣
الإمام الباقر(ع) وبني أمية:..١٣٤
الإمام الباقر(ع) وعمر بن عبد العزيز:..١٣٤
الإمام الباقر(ع) وهشام بن عبد الملك:..١٣٧
شهادة الإمام الباقر(ع):..١٤١
(٣) الإمام الصادق عطاءٌ حسيني لا ينفد ١٤٥
إمامة الصادق(ع) ولقبه:..١٤٥
النص على إمامته:..١٤٥
لقب "الصادق":..١٤٧
شهادة بعض علماء المسلمين بحقه:..١٤٨
الإمام الصادق(ع) وو اقعة كربلاء:..١٥٢
الصادق يتنفّس الحسين ويروي أحداث مقتله:..١٥٢
روايته بعض أحداث كربلاء:..١٥٢
حزنه يوم عاشوراء:..١٥٣
مصيبة الحسين أعظم المصائب:..١٥٤

إحياء ذكر الحسين(ع): ١٥٥
إقامة المأتم و إنشاد الشعر في الحسين(ع): ١٥٥
ما شرب ماءً إلا وذكر مصيبة الحسين(ع)! ١٥٦
الحث الأكيد على زيارة الحسين(ع): ١٥٦
رسالة الإمام الصادق(ع): ١٦٢
رسالة الصادق(ع) رسالة أبيه بشمول وتركيز أكبر: ١٦٢
الصادق(ع) يرفع معدل العطاء العلمي لأقصى درجة ممكنة: ١٦٢
أمة مؤمنة أكثر قوة وصلابة: ١٦٤
صور العطاء العلمي للإمام الصادق(ع): ١٦٨
التقية والبداء: ١٧٨
الإمام الصادق(ع) ومو اقف الحسنيين: ١٩٠
أثر الدنيا والحسد في مو اقف الحسنيين: ١٩١
زيد بن الحسن و ابنه: ١٩٣
عبد الله بن الحسن المثنى وولداه: ١٩٤
الحسن بن الحسن المثنى: ١٩٩
موسى بن عبد الله يروي ما جرى مع الصادق(ع): ٢٠١
مهدي الحسنيين وموقف الإمام الصادق(ع) منه: ٢١٠
ثورات الحسنيين ومقتلهم: ٢٢١
انفراط الحلف الحسني العباسي في وقت المنصور: ٢٢٢
ثورة محمد بن عبد الله ومقتله: ٢٢٦
ثورة إبراهيم بن عبد الله ومقتله: ٢٣٠
ملاحظات: ٢٣٢
الإمام الصادق(ع) والمنصور العباسي: ٢٣٩
سعي المنصور للكيد بالإمام الصادق(ع): ٢٣٩

المنصور بعد قتل الحسنيين: ٢٤٢
المنصور يؤسس ويرعى المذاهب الفقهية: ٢٤٤
تنبيه: ٢٥٢
المنصور يؤسس لتقديس الصحابة وعدم جواز القدح فيهم: ٢٥٣
إجرام المنصور بحق العلويين وشهادة الإمام الصادق(ع): ٢٥٤
إجرام المنصور بحق العلويين: ٢٥٤
شهادة الإمام الصادق(ع): ٢٥٦
(٤) الإمام الكاظم صبرٌ حسينيٌ جميل ٢٦٥
إمامة الكاظم(ع) وألقابه وحزنه على كربلاء: ٢٦٦
النص على إمامته: ٢٦٦
ألقابه وما قيل فيه: ٢٦٨
بعض ألقابه: ٢٦٨
بعض الشهادات بحق الكاظم(ع): ٢٦٩
حزنه على مصيبة جده الحسين(ع): ٢٧٢
رسالة الإمام الكاظم(ع): ٢٧٤
شبه بين الإمامين؛ الكاظم وزين العابدين(ع): ٢٧٤
طبيعة رسالة الكاظم(ع): ٢٧٦
الإمام الكاظم(ع) وأهل بيته: ٢٨٢
الإمام الكاظم؛ أوسط أبناء أبيه سناً: ٢٨٢
بعض إخوة موسى بن جعفر(ع): ٢٨٥
إسماعيل بن جعفر: ٢٨٥
عبد الله بن جعفر "الأفطح": ٢٨٩
محمّد بن جعفر: ٢٩٦
إسحاق بن جعفر ونفيسة بنت الحسن: ٢٩٦

علي بن جعفر:..... ٢٩٩
تتميم:..... ٣٠٢
الإمام الكاظم(ع) وبني العباس:..... ٣٠٤
مع المنصور و ابنه المهدي:..... ٣٠٤
مع الهادي العباسي:..... ٣٠٦
وقعة فخ:..... ٣٠٧
مصير إدريس ويحيى ولدا عبد الله المحض:..... ٣١٢
الهادي العباسي يتوعد الإمام الكاظم(ع) بالقتل فأهلكه الله!..... ٣١٤
الإمام الكاظم(ع) مع هارون العباسي:..... ٣١٦
من هو هارون؟..... ٣١٦
عداء هارون العباسي للعلويين وآل محمد بالخصوص:..... ٣١٩
موقف الإمام الكاظم(ع) من حكومة هارون العباسي:..... ٣٢٥
المواجهة بين الإمام الكاظم(ع) وهارون العباسي:..... ٣٣٠
الحبس الأول للإمام الكاظم(ع):..... ٣٣٥
الحبس الثاني للإمام الكاظم(ع):..... ٣٣٩
شهادة الإمام الكاظم(ع):..... ٣٤٦
ما حلَّ بالبرامكة نكبة أم نعمة؟..... ٣٥٦
من هم البرامكة؟..... ٣٥٦
لماذا فتك هارون بالبرامكة؟..... ٣٥٨
نصوص تاريخية تلقي بظلالها على الحدث:..... ٣٦٠
السبب الحقيقي في التنكيل بالبرامكة:..... ٣٦٥
المصادر..... ٣٧٩
الفهرست التفصيلي..... ٣٩١